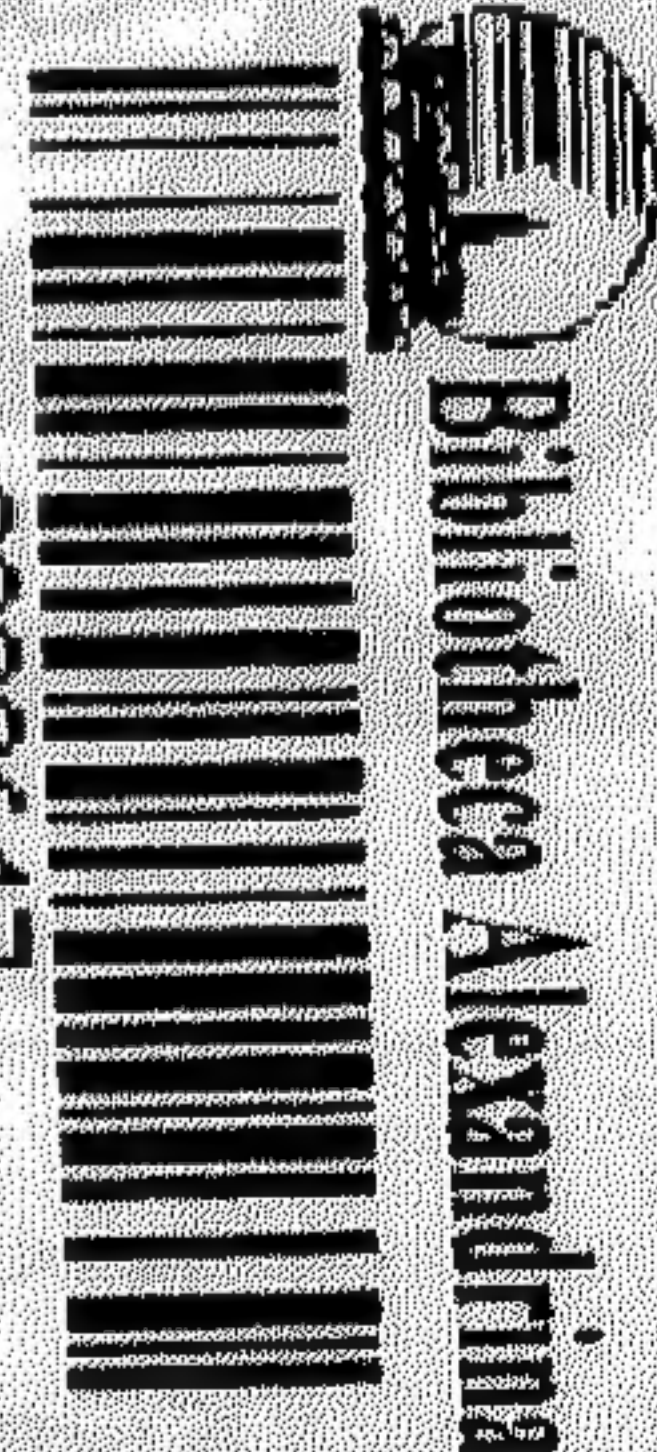
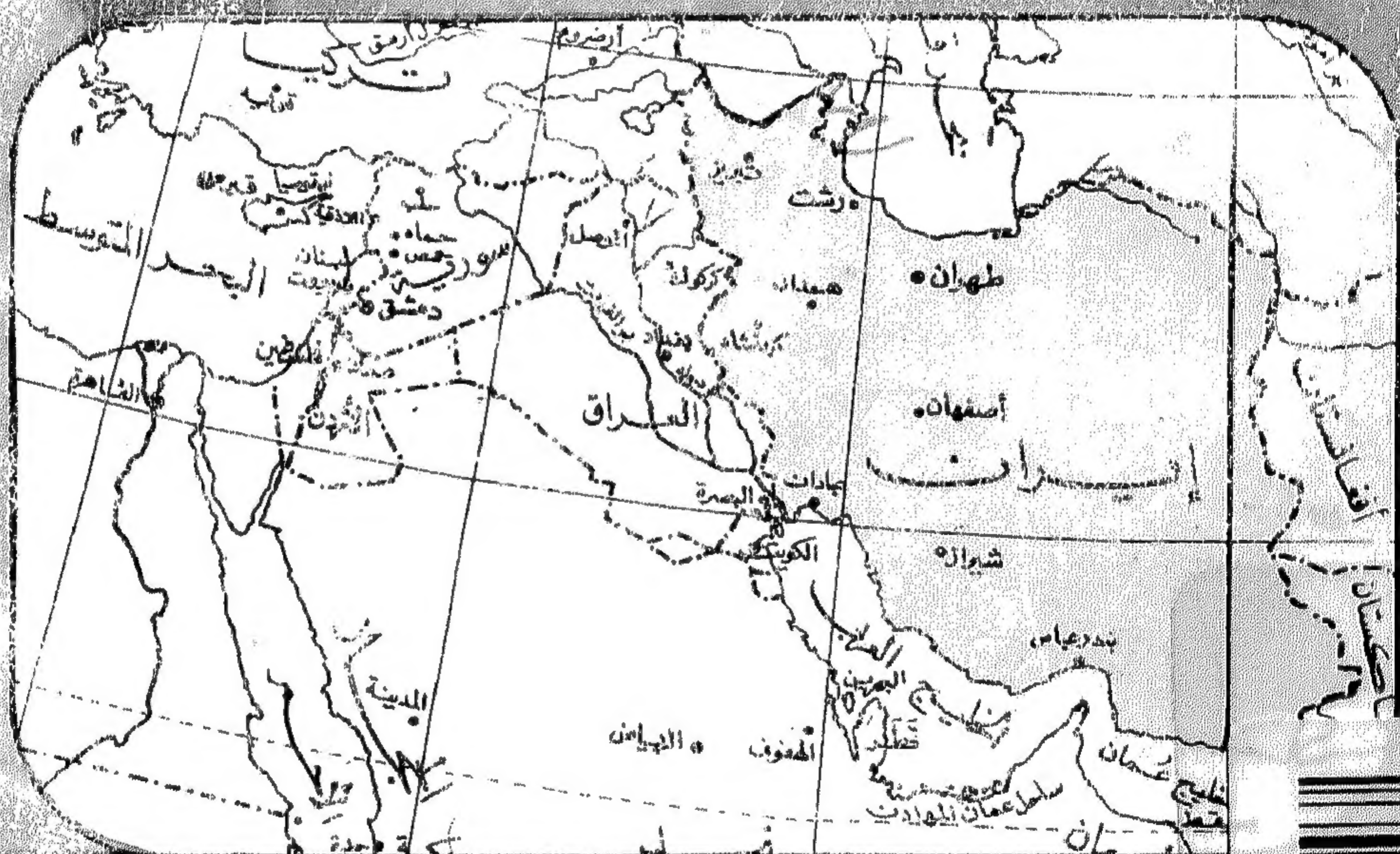


دانشگاه
خوارزمی

IRAN & PAST & PRESENT



Bibliotheca Alexandrina

0002647

by Donald N. Wilber

دونالد ویلبر

دارالکتاب المصری
دارالکتاب اللبنانی

م.ع.ن
یزید
دکتر عبدالمجید محمد حسین

Publication of the

١١٢ / ٨٨٢١

ايران

ماضيها وحاضرها

IRAN: PAST & PRESENT

رقم النسخة : ٩ ٥ ٥
١٠
٤٤٢٨

تأليف

دونالد ولبر

by Donald N. Wilber

ترجمه عن الانجليزية

الدكتور عبد النعيم محمد حسنين

أستاذ كرسي ورئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها
بكلية الآداب جامعة عين شمس

جميع الحقوق محفوظة

الناشرون

دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني

بيروت

القاهرة



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

دار الكتاب المصري

القاهرة ع.م.ع.

٢٢ شارع قصر النيل - ص.ب ١٥٦
ت ٧٤٤١٦٨ / ٧٤٤٣٠١ - برقية (كتامصر)

TELEX: 92336

ATT: 134 K.T.MCAIRO

دار الكتاب اللبناني

بيروت - لبنان

ص.ب ٣١٧٦ - برقية (كتالبنان)
ت ٢٥١٤٩٤ / ٢٢٧٥٣٧

TELEX: K.T.L 22865 LE
BEIRUT

الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

عرّف دونالد دولبر مؤلف هذا الكتاب « إيران ماضيها وحاضرها » بإيران منذ أقدم ما عرف عنها إلى عام ١٩٥٠م حين نشر الكتاب في عصر الشاه محمد رضا بهلوي آخر ممثلي النظام الملكي في إيران ، وقت بترجمة الكتاب لما تضمنه من معلومات صحيحة مفيدة للدارسين والمثقفين في عام ١٩٥٨ بعد بضع سنوات من صدوره بالإنجليزية ، وصدرت ثلاث طبعات أخرى للكتاب في أثناء حكم الشاه نفسه مع تكملة لبعض المعلومات في الهوامش ، دون زيادة على نص الكتاب نفسه .

غير أن الأحداث تلاحقت في إيران في عام ١٩٧٨ بما يشير إلى اهتزاز النظام الملكي وتداعيه ، فاشتدت المعارضة للنظام الملكي - الذي يمثله الشاه - وكثرت المطالبة بالقضاء عليه وإسقاطه ، وركب رجال الدين وعلماء المذهب الشيعي - بزعامة آية الله الخميني - موجة الأحداث ، ونادى الخميني من منفاه بباريس بفرنسا بضرورة إقامة حكومة إسلامية في ظل نظام جمهوري في إيران يحل محل الملكية المنهارة - حينذاك - ولم تلبث الثورة الإسلامية أن حققت نجاحا باهرا في أوائل عام ١٩٧٩م ، فأسقطت النظام الملكي بعد عودة الخميني إلى إيران ، ودخولها دخول الظافرين ، فأسدل بذلك الستار على النظام الملكي الذي ظل قائما في إيران أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان .

واستقر المطاف بالشاه في القاهرة بجمهورية مصر العربية ، ولم يلبث أن توفي ودفن فيها ، صحيح أن ابنه رضا الثاني قد أعلن نفسه ملكا بعد ذلك ، لكن هذا لا يعني عودة النظام الملكي إلى إيران لأنه شيء شكلي على الورق ، لا يقض مضجع الثورة الإسلامية القائمة في إيران في الوقت الحاضر ، ولا يؤثر في سير الأحداث فيها في قليل أو كثير .

وأصبحت الثورة الإسلامية في إيران - منذ قيامها حتى هذه اللحظة - شغل العالم بعامة ، والدول الإسلامية والعربية بخاصة ، وكثرت الكتابات عنها من مؤيديها ومخالفها على السواء خاصة بعد اشتعال نيران الحرب في الخليج بين العراق وإيران ، وهى حرب دخلت عامها الرابع أى الجزء الأكبر من عمر الثورة الإسلامية نفسها ، منذ قيامها حتى الآن .

ولهذا وجدت من الضروري والمفيد أن أضيف إلى هذا الكتاب جزءا جديدا أتابع فيه سير الأحداث في إيران في العصر الحاضر حتى أصل إلى قيام الثورة الإسلامية حتى تكتمل ملامح صورة إيران في حاضرها كما اكتملت في ماضيها . وكنت في الحقيقة - منذ نجاح ثورة الخميني - أتردد في الكتابة عنها ، والتعريف بها ، حتى تتضح صورتها ، وكنت أنوى القيام بزيارة لإيران في ظل هذه الثورة ، حتى تكون دراستي على الطبيعة والواقع ، ولكن تطور سير الأحداث في إيران بعد نجاح الثورة ، ثم قيام الحرب بينها وبين العراق حالا بيني وبين إخراج تلك النية إلى حيز التنفيذ ، فاضطرت إلى الكتابة عنها في القسم الأخير الذى أضفته إلى هذا الكتاب تأليفا ، تحت عنوان « إيران في حاضرها » وأعني بهذا إيران في ظل ثورة الخميني .

وقد اجتهدت - قدر المستطاع - أن أكون موضوعيا فلا أتعصب لثورة الخميني ، كما لا أتحمّل عليها وأتعصب ضدها لأن التعصب يفسد العلم ويحجب الباحث عن رؤية الحقيقة ، كما أن التعصب ليس صفة محمودة في الباحث ، أيا كانت جنسيته وعقيدته .

ولهذا حاولت - في القسم الذى أضفته - أن أعرض للأحداث التى سبقت قيام الثورة الخمينية ومهدت لظهورها واشتعال نيرانها - كما وقعت - دون تعليق عليها ، تاركا للقارئ حرية فهمها - دون توجيه لها - والاشتراك معي في فهم الحقيقة التى تبدو من ثنايا هذه الأحداث .

وقد ساعدت سياسة الشاه محمد رضا بهلوى على إشعال نيران الثورة ضد النظام الملكى الذى يمثله ، واعترف بنفسه بعد خروجه من إيران واستقراره فى القاهرة - بعد نجاح ثورة الخمينى - أنه كان يدور فى فلك الغرب ، ويرسم مستقبل بلاده بمفرده ، فقال بالحرف الواحد^(١) «إن هناك إرادة ماشاءت أن أخرج من إيران ، أرادوا أن أخرج لأنى كنت مستقلا فى تفكيرى وتدبيرى ورسم مستقبل بلادى ، ولعلى كنت مستقلا أكثر مما يجب ، إننى الآن أرى كل شئ بوضوح ، أرى كل أخطائى ، ومن بين أخطائى المميتة أننى صدقت الغرب كالأعمى وأننى أخذت قضية صداقة الغرب شيئا مسلما به ، لقد كنت أعمى ، وبعد أن استسلمت لهذه الصداقة ، ذهبت بسرعة إلى ماتمنيته لبلادى أعطيت بلادى أكثر وأكبر مما تقدر على هضمه » .

والواقع أن الشاه محمد رضا بعد إسقاطه حكومة محمد مصدق الوطنية بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ، وعودته إلى إيران بعد فراره منها ، انتهج سياسة موالية للغرب باعترافه ، وصار يمثل دور شرطى الغرب فى منطقة الخليج ، ثم أنشأ جهاز السافاك^(٢) للبطش بمخالفه ، فشاع الخوف والرعب بين طوائف الشعب الإيرانى ونفى الزعيم الدينى آية الله العظمى روح الله الخمينى من إيران إلى العراق فى عام ١٩٦٤ ثم أوعز إلى العراق أن يخرج من أراضيه ، فخرج الخمينى إلى تركيا ثم إلى فرنسا حيث استقر به المطاف فى العاصمة الفرنسية باريس إلى أن عاد إلى إيران منتصرا وانتقم من الشاه بإسقاط نظامه الملكى وإعلان الجمهورية الإسلامية فى إيران .

وقد حاول الشاه أن يقوم بإصلاحات فحاول تطوير الزراعة والصناعة

(١) جاء هذا فى حديث صحفى أجراه معه أنيس منصور ونشر بالقاهرة فى مجلة ٦ أكتوبر العدد

١٩٢ الصادر فى ٢٩ يولية من عام ١٩٨٠ .

(٢) عرفت بجهاز السافاك فى القسم الأخير الذى أضفته إلى الكتاب .

وفرنجة المجتمع الإيراني ، فقام على حد تعبيره بثورة بيضاء في عام ١٩٦١ ولكنه فشل باعترافه فشلا ذريعا لأنه حاول أن يفعل في بلاده أكثر وأكبر مما تقدر على هضمه وكانت النتيجة أن تردت الأوضاع في إيران ، وأخذت تسير من سيئ إلى أسوأ وفشل حزب الشاه الحاكم في إصلاح الأوضاع الاقتصادية والحد من التضخم ، ومعالجة المشاكل الاجتماعية ، والتخفيف من سخط الشعب الإيراني على الشاه ونظامه ، فتمكن أعداء النظام الملكي من تنظيم صفوفهم وتعاونت القوى الثورية على اختلاف مذاهبها ومشاربها على إحراج النظام الحاكم ، ثم زلزلة أركانه وهدم بنيانه .

وقد عرضت الأحداث التي أدت إلى إسقاط النظام الملكي في إيران ، وإبداله بالنظام الجمهوري الإسلامي وفقا لمبادئ المذهب الشيعي الاثني عشري - كما حدثت - دون تلوين لها أو تغيير في ملامحها - كما ذكرت - فأظهرت الأحداث أن الخميني لم يكن المخطط الحقيقي للثورة التي عصفت بالنظام الملكي في أوائل عام ١٩٧٩ ، وإنما المخطط الحقيقي لهذه الثورة هو الدكتور أبو الحسن بنى صدر أول رئيس لجمهورية إيران الإسلامية بعد نجاح الثورة ، وهو مقيم حاليا في باريس بعد عزله وهروبه من إيران .

أما الخميني فقد ركب موجة الأحداث ووجد فيه الثوار رمزا يلتفون حوله ، وتتجمع صفوفهم حول رايته ، وبعد نجاح الثورة أمسك أعوانه بزمام الأمور في إيران ، وكانت الموجة عارمة ، فلم يتمكن الخميني نفسه من السيطرة عليها ، لأن الرغبة في الانتقام من أعداء الثورة ، غلبت على الرغبة في التصدي لحل المشاكل التي قامت الثورة من أجل التصدي لها وحلها ، فتفجرت المشاكل الداخلية وفي مقدمتها مشكلة الأقليات الدينية والعنصرية كمشكلة الأكراد ، كما تفجرت المشاكل الخارجية ، وفي مقدمتها مشكلة الحدود المشتركة بين إيران والعراق في منطقة الخليج وهي المشكلة التي أشعلت نيران حرب ضروس بين الدولتين مازالت مشتعلة إلى هذه اللحظة ، وهي حرب تهدد أمن الخليج والعالم كله ، ولا يعلم إلا

الله نتائجها الخطيرة ، بعد أن فشلت - حتى الآن - جهود الوساطة التي بذلت
لوضع حد لها ، وإنقاذ الدولتين المتحاربتين والعالم من ويلاتها .
وأرجو أن تكتمل بالقسم الأخير - الذي أضفته إلى هذا الكتاب - ملامح
صورة إيران في ماضيها وحاضرها على السواء .

وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القاهرة في ١٧ ربيع الثاني من عام ١٤٠٤ هـ

الموافق ٢٠ يناير من عام ١٩٨٤ م

عبد النعيم محمد حسنين

إيران في حاضرها

تمهيد :

تغيرت صورة إيران بعد نجاح ثورة الخميني تغيرا كبيرا غير ملامح صورتها تغيرا جذريا ، فتغير أسلوب حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، وظهر ذلك بوضوح في مظاهر النشاط البشري المختلفة في هذه البلاد ذات الحضارة العريقة التي تغوص جذورها في أعماق الزمن إلى مسافات بعيدة ، كما تغيرت صبغة الحضارة فيها ، فقد كان النظام الملكي سائدا فيها قبل شروق شمس الإسلام عليها ، وظل سائدا بعد أن دخلت إيران تحت راية الإسلام ، واستظلت بظله ، فسقط هذا النظام الملكي بعد أن ظل قائما أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان ، واستبدلته ثورة الخميني بالنظام الجمهوري ، وتغير كذلك أسلوب الحياة في إيران المعاصرة في جميع جوانبها ، وفي مختلف ميادينها بحيث أصبح لزاما على الدارس لحضارة إيران في ماضيها وحاضرها أن يدرس ثورة الخميني دراسة علمية وموضوعية لا تتحيز لها ولا تتحامل عليها ، لأن التعصب للشئ أو عليه يحجب عن الدارس الرؤية الصحيحة للأشياء على حقيقتها ويحول بينه وبين الحكم الصحيح على الأحداث ، نيتنى بذلك العلم الصحيح بها ، لأن العلم لا يفسده شئ بقدر ما يفسده التعصب سواء كان للشئ موضع الدراسة أو كان عليه .

وسأحاول في هذا القسم الأخير من كتاب « إيران ماضيها وحاضرها » وهو القسم الذي أعدته أنا - تأليفا - بعد أن كان ما سبقه ترجمة عن الانجليزية لما كتبه المستشرق الأمريكي دونالد ولبر . أقول سأحاول في هذا القسم أن أدرس ثورة الخميني دراسة موضوعية غير متعصبة لها أو عليها وأن أتبين آثارها في إيران في حاضرها الجديد الذي يختلف اختلافا جوهريا عن ماضيها التليد حتى تكتمل ملامح صورة إيران في ماضيها وحاضرها ، وفي حياتها المعاصرة ، وبالله التوفيق ، وهو جل شأنه وحده المستعان وعليه التكلان .

ثورة الخميني

مقدمات الثورة :

إن الشيء الذي لا شك فيه هو أن ثورة الخميني لم تقم بين عشية وضحاها بل سبقتها أحداث كثيرة تلاحقت على مدى ربع قرن من الزمان بعد سقوط محمد مصدق وفشل حركته المناوئة للنفوذ الأجنبي في إيران ، وبعد أن أخذ الشاه^(١) محمد رضا بهلوي آخر ملوك إيران يدور في فلك الولايات المتحدة الأمريكية ، ويمثل دور شرطي الغرب في منطقة الخليج .

ولئن ظهرت ثورة الخميني في صورة ثورة شعبية ، فإن مسببات ظهورها تكمن في تطور العلاقات بين السلطة الحاكمة ممثلة في الشاه محمد رضا وأعوانه ، وبين الشعب بمختلف طوائفه وأحزابه وإن الدارس للأحداث التي سبقت قيام الثورة ليستطيع أن يتبين في سهولة ويسر أن تغير أسلوب معاملة الشاه محمد رضا للشعب الإيراني ساعد على تقوية الاتجاه إلى الثورة عليه ، ويمكن الخميني من العودة من المنفى واقتلاع جذور الملكية من إيران .

ويمكن تلخيص أهم الأحداث التي مهدت لقيام الثورة فيما يلي :

أولاً : تغيير النظام الحزبي :

كانت في إيران أحزاب متعددة ، توالى ظهورها بعد قيام الحياة النيابية ، وكثرة ارتفاع الأصوات المطالبة بجعل النظام الديمقراطي هو النظام السائد في هذه البلاد ، غير أن الشاه أصدر أمراً بتوحيد الأحزاب الإيرانية القائمة في حزب واحد أطلق عليه اسم « حزب رستاخيز إيران » ومعناه بالعربية « حزب نهضة إيران » وأصبح هذا الحزب الجديد حزب الشاه الذي يأتمر بأوامره ، بينما أوقف الشاه نشاط الأحزاب المعادية له ، بحجة توحيد القوى السياسية وتوجيهها إلى اتجاه واحد ، وهي فكرة مستوحاة من النظم الاشتراكية .

(١) « الشاه » كلمة فارسية معناها « الملك » .

وقد ظل « حزب نهضة إيران » ممسكا بزمام الأمور في إيران طوال المدة التي تولى فيها أمير عباس هويدا منصب الأمين العام للحزب مع بقاءه رئيسا للوزراء ، فقد استطاع هويدا أن يخمد صوت المعارضة غير أن الشاه لم يلبث أن خشي من ازدياد نفوذ هويدا ، فعزله من رئاسة الوزارة ومن الأمانة العامة للحزب كذلك وعينه وزيراً للبلاط ، وأسند رئاسة الوزارة إلى جمشيد آموزگار الذي لم يلبث أن انتخب أمينا عاما للحزب .

ولم ينحج نظام الحزب الواحد ، فأخذت ريح التغيير تهب في الميدان السياسي وظهرت حركة انشقاق في صفوف الحزب نفسه ويبدو أن الشاه اختلف مع قادة حزب « نهضة إيران » الحاكم فسمح للصحف بانتقاد تصرفات الحزب والمطالبة بتأليف أحزاب أخرى معارضة ، ولاحت في الأفق السياسي في إيران ملامح تحول إيران من نظام الحزب الواحد إلى نظام تعدد الأحزاب مرة أخرى (١) .

ثانيا : ظهور معارضة قوية :

كان فساد نظام الحزب الواحد في إيران في أواخر عهد الشاه محمد رضا سببا في ظهور معارضة قوية في مجلس النواب الإيراني، وإن الدارس لما كتبه الصحف الإيرانية الصادرة في صيف عام ١٩٧٨ م ليدرك وجود هذه المعارضة القوية لنظام الحزب الواحد؛ فقد شهد مجلس النواب الإيراني في جلسته التي انعقدت يوم ٢١ يونيو ١٩٧٨ حربا كلامية عنيفة بين أنصار الحزب الحاكم ومعارضيه حتى اضطر رئيس المجلس إلى مغادرة القاعة (٢)، مما يشير إلى اضطراب الأوضاع السياسية في إيران في ذلك الوقت .

(١) صحيفة كيهان العدد ١٠٤٩٥ الصادر في ٣١ نيرداد ماه من عام ٢٥٣٧ ملكي .

(٢) ارجع إلى صحيفة اطلاعات في عددها رقم ١٠٤٩٥ الصادر في أول تيرماه عام ٢٥٣٧ ملكي .

وحاولت الحكومة تهدئة الأوضاع فأعلنت ترحيبها بالنقد الموجه لها ،
وسمحت بعودة المواطنين الذين كانوا يعارضون النظام وغادروا البلاد خوفاً من
بطش الحكومة ، وأكدت سماحها لهم بحرية النقد والعمل السياسى ، وسارعت
بإجراء تعديلات فى قيادات الحزب ، وبدأ الحزب عقد ندوات لمناقشة قضية
الحرية وتعدد الأحزاب ، وعبرت الحكومة عن رغبتها فى الإصلاح فزادت عدد
الطلاب المقبولين فى الجامعات ، كما زادت عدد المواطنين المسموح لهم بأداء
فريضة الحج ، كما أصدرت عدداً من القرارات للتخفيف من أزمة الإسكان
وأصدرت كذلك قراراً بتغيير مدير شركة البترول الوطنية كما أعلنت العزم على حل
المشكلات الاقتصادية التى تشكو منها البلاد (١)

ثالثاً : تشقى تحالف السلطة (٢) :

ومما زاد الطين بلة أن تحالف السلطة لم يلبث أن تشقى بعد ظهور المعارضة
القوية فى مجلس النواب الإيرانى واضطراب الأوضاع السياسية فى البلاد ، وفجر
هو شنىق النهاوندى أحد كبار المنشقين فى حزب نهضة إيران الحاكم الموقف حين
نشر تقرير لجنة تقصى الحقائق التى شكلها الشاه برئاسته ، فقد كشف التقرير فشل
الحكومة فى معالجة المشاكل الاقتصادية ومكافحة التضخم ، وعدم انسجام
القوانين المالية والضريبية مع التغيرات الاقتصادية ، وفساد الأجهزة الحكومية ،
وفقدان التخطيط فى الشئون الاقتصادية والعمرانية ، خاصة بعد سنة ١٩٧٤م كما
أن الزيادة فى دخل البترول ، مع ظهور الفساد فى الأجهزة التنفيذية .
جعل كل شىء يمكن شراؤه بالمال مما أدى إلى اضطرابات اقتصادية واجتماعية

(١) ارجع إلى صحيفة اطلاعات فى عددها رقم ١٠٦٥٤ الصادر فى أول تيرماه عام ٢٥٣٧ ملكى .

(٢) ارجع إلى كتاب مسألة الثورة الإيرانية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن لمزيد من المعلومات فى
هذه المسألة .

وقد اقترح التقرير عدة حلول وطالب بتنفيذها على الفور^(١) كما هاجم التقرير سلطتين قويتين في البلاد هما الحكومة والاتحادات النقابية .

وكان طبيعيا أن يثير هذا التقرير موجات من ردود الفعل من جانب الحكومة والاتحادات النقابية ، أما الحكومة فقد استجابت لما جاء في التقرير فأباحت المظاهرات السياسية والاجتماعية تحت رقابة القانون ، ولم تتدخل في انتخابات نقابة المحامين القوية مما سمح بنجاح شخصيات قوية معروفة بميولها الثورية فاختر حسن نزيه نقيبا للمحامين وعبد الكريم الأنوارى وهدايت الله متين دفتري نائبين للنقيب .

وأما الاتحادات النقابية فقد استنكرت ما جاء في التقرير فازداد تشقق تحالف السلطة مما أدى إلى ازدياد الاضطراب السياسى ، واختلال الأوضاع بعامة في إيران ، وأخذت نقابة المحامين بعد تحررها تساهم في توجيه الأحداث السياسية في إيران ، وطالب مجلس إدارتها بالدفاع عن المتهمين السياسيين في المحاكم المدنية والعسكرية ، كما طالب بإعادة محاكمة المعتقلين السياسيين^(٢) وتفكك الحزب الحاكم إلى أجنحة مختلفة المشارب والمناهج ، وهكذا ازداد التشقق في اتحاد السلطة ، وازدادت الأحوال في إيران اضطرابا وكثرت التيارات السياسية المتعارضة المتضاربة ، وصار الجو مشحونا بالذعر ، مليئا بالمتفجرات ، وبات الليالى من الأيام حبالى ، وقد يلدن كل عجيب .

أما الجامعات الإيرانية فقد ظلت طوال سنوات حكم الشاه خصما عنيدا للنظام ، لأنها كانت مشحونة بالأفكار التحررية المتباينة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، وأما الشاه فقد سلك أساليب متعددة في التعامل مع الجامعات

(١) نص التقرير منشور في كتاب مسألة الثورة الإيرانية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن ص ٤٧ -

٤٩ نقلا عن جريدة اطلاعات العدد ١٥٦٥١ الصادر في ١٩ تيرمن عام ٢٥٣٧ ملكى .

(٢) جريدة آيندكان العدد ٣١٦٧ الصادر في ٢٤ تيرمن عام ٢٥٣٧ ملكى .

تتراوح بين الاسترضاء والقهر ، فحاول إسكات الأصوات المعارضة لنظامه عن طريق إبعاد الأساتذة أو اعتقالهم أو فصلهم أو منع ترقيةهم أو تهديدهم في أنفسهم وعائلاتهم ، مع تعيين الموالين لنظامه في الوظائف الحساسة بالجامعات وإغداق المزايا والهبات عليهم ، كما حاول كذلك استرضاء الأساتذة بزيادة مرتباتهم ومكافآتهم زيادة كبيرة ، وإغراقهم بمزايا مادية لم يكن لهم سابق عهد بمثلا ، فسكت بعض الأساتذة وآثروا السلامة ، وظل البعض الآخر تعلو أصواتهم بمعارضة النظام بين الحين والحين .

وأما طلاب الجامعات فكانوا شغل النظام الشاغل ، فقد اعتنقت طائفة منهم المبادئ الشيوعية ، بينما وجد حمة المذهب الشيعي في الجامعات تربة مناسبة لنشر مبادئ التشيع ، فاعتنقتها طائفة أخرى من طلاب الجامعات لتصمد في وجه الشيوعيين الملحدين ، ولم يفكر النظام الحاكم في قهر الجامعة الإسلامية ليستفيد منها في مواجهة الشيوعيين .

وقد استعمل الشاه مختلف الأساليب لإسكات صوت الطلبة المتمردين على نظامه ، وتنوعت هذه الأساليب بين القهر والتعذيب والسجن والحرمان من استكمال الدراسة ، ونشر الجواسيس بينهم لإثارة الرعب في نفوسهم فكان الطلاب يتحينون الفرصة للعمل ضد الحكومة والنظام ، وهكذا تلاقى مطالب الأساتذة مع مطالب طلابهم حين اجتمعوا في جامعة طهران ، واتفقوا على مطالبة الحكومة بضمان حرية القول والبيان والفكر وإلغاء الحرس الجامعي ، ومنح الاستقلال الكامل للجامعات ومعاهد التعليم العالي ، وإعادة الجامعيين الذين طردوا من الجامعات لأسباب واهية أو استقالوا بسبب مضايقات النظام لهم ، وتوفير المناخ الملائم للطلاب للدراسة وإحياء النشاط الاجتماعي ، وإعادة الطلاب الذين طردوا من الجامعات بسبب نشاطهم السياسي^(١) .

(١) جريدة كيهان ، العدد ١٠٥٩١ الصادر في ٢٩ من عام ١٣٥٧ هـ . شمسى .

وهكذا أخذت مظاهر الاعتراض على الحكومة تتخذ شكلا أكثر عنفا
فكثرت مظاهرات الطلاب ، وازداد العنف ، وكثر اعتقال الأحرار وتقديمهم
للمحاكمة ، وبات حدوث ثورة مضادة للنظام الحاكم أمرا وشيك الحدوث .
رابعاً : فشل الشاه في احتواء الأوضاع الجديدة :

ولقد حاول الشاه احتواء الأوضاع الجديدة ، وامتصاص غضب المتمردين
من الطلاب وغيرهم من طبقات الشعب المختلفة ، ولكنه فشل في ذلك فشلا
ذريعاً ، وتوالى قيام المظاهرات ، وظهور أعمال العنف وعمت الفوضى ربوع
البلاد ، وكثر إحراق دور السينما ، وأصبح الشاه وحكومته في وضع قلق
مهزوز ، وبدأ أن سقوط نظام الشاه بات وشيك الحدوث .
خامساً : تشكيل حكومة جديدة :

وشعر الشاه بأن نظامه الملكي يسرع إلى الزوال ففكر في تشكيل حكومة
جديدة ، لعله بذلك يرضى الرأي العام ، خاصة بعد أن أدرك أن أعداء النظام
يحاولون إثارة المشاعر الدينية ضده ، فعين شريف إمامي رئيس مجلس الشيوخ
رئيساً للوزارة بدلاً من آموزكار وقام شريف إمامي بتشكيل وزارة من عناصر
معتدلة لتكون وزارة مصالح وطنية ، ولم تلبث الوزارة الجديدة أن أعلنت
برنامجها الذي يقضي بتنفيذ القوانين الإسلامية وتطبيق المبادئ الديمقراطية ومحاربة
الفساد، وضمان حرية الانتخابات وحرية نشاط الأحزاب وحرية السلطة القضائية
والاهتمام بالشباب والجامعات، والعناية بالزراعة وبالإنتاج الوطني بعامة وتوفير المياه
والكهرباء والخدمات الطبية، وإصلاح الطرق وتعقب المتهربين من دفع الضرائب
المستحقة عليهم وإصلاح الجهاز الإداري ومعاينة المسئولين المخالفين وتدعيم
السلطة التشريعية .

وكان هذا البرنامج كافياً لتهدئة جماهير الشعب الإيراني الساخطة على نظام
الشاه وبادرت الحكومة كذلك ، بإلغاء التقويم الملكي والعودة إلى العمل بالتقويم
الهجري الشمسي ، وكان الشاه قد أمر بالعمل بالتقويم الملكي بعد الاحتفال بمرور

خمسة وعشرين قرنا على تأسيس الملكية في الأمبراطورية الإيرانية كوسيلة للتعبير عن أصالتها وعراقتها ، ولييان عظمة الحضارة الإيرانية ، ولربط الشعب الإيراني بالنظام الملكي ، كما قامت الحكومة الجديدة بإغلاق نوادي القمار والحانات وما شابهها^(١) ، وأعلنت أنها ستتصل بكبار رجال الدين ورؤساء الجماعات الدينية والسياسية المختلفة للتشاور معهم من أجل إيجاد حلول سريعة للمشاكل التي يعاني منها الشعب الإيراني ، وبأدرت كذلك بالاعتراف بوجود ثلاثة عشر حزبا وجماعة سياسية وبحرية هذه الأحزاب في الحركة والنشاط .

غير أن شريف إمامي رئيس الوزارة الجديدة كان معروفا بتأييده لنظام الشاه وميله إلى الغرب ، فكان اختياره رئيسا للوزارة محاولة من الشاه للاستفادة من خبرة شريف إمامي السياسية في تهدئة الموقف المتوتر وإرضاء رجال الدين لأن شريف إمامي نفسه ينتمي إلى أسرة كبراؤها من رجال الدين .

وحاول شريف إمامي الاتصال برجال الدين ولكنه لم يجد ترحيبا منهم بالتعاون معه ، كما فشل في امتصاص غضب الشعب الإيراني الذي يعرف ولاء شريف إمامي الشديد للشاه ونظامه ، فلم تلبث المظاهرات أن اندلعت من جديد في العاصمة وغيرها من المدن الكبرى فازداد الوضع توترا ، وأخذت الشخصيات الدينية في الظهور على المسرح السياسي في إيران ، فظهر آية الله العظمى شريعتمداري وأخذ يدعو الجماهير الغاضبة إلى الهدوء حفاظا على مصالح البلاد كما قامت الحكومة باطلاق سراح عدد من رجال الدين المعتقلين وراجت إشاعة عن موافقة الحكومة على عودة آية الله العظمى الخميني من منفاه بالعراق^(٢) ، كما أعلنت الحكومة أن كل مواطن له الحق في التعبير عن رأيه بحرية

(١) جريدة رستاخيز : العدد ١٠٠٠ الصادر في يوم ٦ شهور من عام ١٣٥٧ هـ . شمسي .

(٢) كان الشاه قد نفى الخميني إلى العراق فبقى فيه خمسة عشر عاما ثم أخرجه العراق بإيعاز من

الشاه فرحل إلى تركيا ثم إلى فرنسا قبل أن يعود إلى إيران ويسقط النظام الملكي .

تامة في إطار القانون ، وأن الدراسة في الجامعات لن تعطل مرة أخرى (١) .

غير أن محاولات الحكومة الجديدة لتهدئة الأحوال ذهبت أدراج الرياح ، فلم تُجد شيئا ، وظلت المظاهرات المعادية للنظام تزداد شدة يوما بعد يوم ، وتنتشر في سائر أنحاء إيران ، ونشط كبار رجال الدين في مطالبة الحكومة بالإفراج عن رجال الدين المسجونين من أمثال آية الله منتظري وآية الله طالقاني والسماح بعودة آية الله العظمى طباطبائي وآية الله العظمى الخميني إلى إيران وكان شريعتمداري يتزعم رجال الدين حينذاك ويقود حركتهم ضد الحكومة ويعطيها مهلة لا تتعدى ثلاثة أشهر للاستجابة لمطالب رجال الدين . كما عاودت الجبهة الوطنية الظهور على المسرح السياسي بعد تنظيم صفوفها واختيار كريم سنجابي أمينا عاما لها ، ودعت إلى عودة العناصر الوطنية المقيمة بالخارج للمشاركة في العمل الوطني ، كما دعا سنجابي إلى السماح للشيعيين بممارسة العمل السياسي وإعطائهم حرية التعبير عن آرائهم ، فاستطاع حزب تودي المنحل معاودة الظهور من جديد من خلال هذه الأحداث ، ودعا الأحزاب المختلفة إلى تشكيل جبهة واحدة ضد الحكومة تعمل على إسقاطها وتأميم صناعة البترول وإنهاء الأحلاف العسكرية وتشكيل حكومة ائتلافية تقوم بتغيير النظام الحاكم ومحاكمة المسؤولين فيه وإلغاء القوانين المخالفة للدستور وإطلاق الحريات وطرد المستشارين العسكريين الأمريكيين .

وهكذا ازدادت حركة المعارضة ضد حكومة شريف إمامي التي قامت بدورها بإعلان الأحكام العرفية وتعيين حكام عسكريين على طهران والمدن الكبيرة الأخرى بينما ألغى الشاه زيارته التي كان يعتزم القيام بها لأوروبا الشرقية وأقال أمير عباس هويدا من وزارة البلاط (٢) .

(١) جريدة كيهان : العدد ١٠٥٥٢ الصادر في ٨ شهر يور من عام ١٣٥٧ هـ . شمسى .

(٢) جريدة كيهان العدد ١٠٥٥٩ الصادر في ١٦ شهر يور من عام ١٣٥٧ هـ . شمسى .

وحاول شريف إمامي الخروج بالبلاد من الأزمة التي تمر بها فقدم برنامجا جديدا لحكومته إلى مجلس النواب يقوم على إقرار الأمن وحفظ النظام وإجراء انتخابات حرة تشترك فيها الأحزاب الشرعية مع ضمان الحقوق والحريات الفردية والاجتماعية وترقية جميع العاملين في الدولة درجة مالية ، وتطهير الجهاز الإداري ومنع استغلال النفوذ، وضمان استقلال القضاء، وإعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية وتربية الماشية من كل أنواع الضرائب، وتسهيل زيارة الأماكن المقدسة لجميع الراغبين في زيارتها^(١).

والدارس لبرنامج الحكومة يستطيع أن يجد فيه مفاصد نظام الشاه وعيوبه التي ثار الشعب بسبب وجودها وطالب بالإصلاح ثم باسقاط النظام نفسه ، فلم تستطع حكومة شريف إمامي أن تهدئ من ثورة الشعب الإيراني ، فاستمر اندلاع المظاهرات في مختلف أنحاء إيران برغم الأحكام العرفية ، ثم بدأت المعارضة للحكومة والنظام تتخذ شكلا مسلحا منذ أكتوبر من عام ١٩٧٨ م وبدأت تهاجم رجال الأمن بالأسلحة المختلفة ، وأخذ القتل والجرحى يتساقطون من الجانبين .

وحاولت الحكومة تهدئة الموقف باطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين وإنقاص مدة سريان الأحكام العرفية والقبض على عدد من الوزراء السابقين والمسؤولين في الوزارات السابقة بتهمة الفساد والوعد بالقيام باصلاحات شاملة^(٢). كما أعلنت الحكومة سماحها للذين فروا بعد إعلان الأحكام العرفية

بالعودة إلى إيران مع تأمين حريتهم ، كما أطلقت سراح مهدي بازرگان زعيم الجمعية الإيرانية للدفاع عن حقوق الإنسان ، غير أن هذا كله لم يخمد نيران الثورة المتأججة ضد الشاه ونظامه .

(١) جريدة كيهان العدد ١٠٥٦٠ الصادر في ١٨ شهر يور من عام ١٣٥٧ هـ : شمسى .

(٢) جريدة اطلاعات العدد ١٥٧١٣ الصادر في ٢٦ شهر يور من عام ١٣٥٧ هـ : شمسى .

سادسا : تعديل نظام السافاك :

السافاك هو الكلمة التي تطلق على هيئة الأمن والمعلومات التي أنشأها تيمور بختيار الحاكم العسكري في ١٩٥٦ م (١٣٣٥ هـ . ش) لإنهاء حالة الطوارئ بعد أن سادت البلاد موجة من الاغتيالات السياسية استمرت ثلاث سنوات على أيدي أعضاء حزب توده الشيوعي ، وكان عمل هذه الهيئة هو تعقب الشيوعيين والقبض عليهم وسجنهم وقد قامت السافاك بمهام الحكم العسكري - بعد إلغائه - واستطاع تيمور بختيار بواسطة السافاك طوال الخمس السنوات التالية لإنشاء الهيئة المذكورة ، أن يعتقل المناهضين للنظام على اختلاف مذاهبهم وأن يقدم الكثيرين منهم إلى فرقة الإعدام ، غير أن بختيار نفسه سقط في عام ١٩٦١ م (١٣٤٠ هـ . ش) وفر من البلاد وصرخ للصحفيين في مطار روما بأن الحرية لا وجود لها في إيران^(١) .

ونخلف حسن پاكروان تيمور بختيار في رئاسة السافاك لمدة ثلاث سنوات وكان آخر عمل قام به بأمر من الشاه هو نفي آية الله الخميني في ٤ أكتوبر ١٩٦٤ م (١٣٤٣ هـ . ش) بتهمة التحريض على الثورة ضد النظام الحاكم ، والعمل ضد أمن البلاد واستقلالها ، ثم تولى بعده نعمة الله نصيري رئاسة السافاك لمدة أربعة عشر عاما قاسى الإيرانيون في خلالها ، أنواعا من الرعب لا مثيل لها، فقد كان المعتقلون يعذبون حتى الموت ويعتقلون لأتفه الأسباب، ولما اضطربت الأحوال في إيران في أواخر حكم الشاه أثارت المعارضة قضية جهاز السافاك ، فاضطر الشاه إلى عزل نصيري رئيس الجهاز وتعديل نظامه ، وجعل عمله قاصرا على مطاردة المخربين من الذين يعملون في داخل البلاد أو من القادمين من خارجها، حتى يغير السافاك صورته المخيفة ، ويصير عمله مشروعا، فيه خدمة للوطن .

(١) جريدة كيهان : العدد ١٠٥٩٩ الصادر في ١٨ بانماه من عام ٧ ، ١٣ هـ ش .

غير أن التعديل الذى أدخله الشاه على نظام السافاك لم يطفى غضب الشعب ، فطالب بالقبض على نصيرى ومحاكته واستجاب المسئولون لما طالب به الشعب ، فتم القبض على نصيرى وتقديمه للمحاكمة^(١) .

سابعاً : عجز الحكومة عن الصمود أمام ضغط المعارضة :

بلغت الأوضاع فى إيران درجة من الاضطراب فى أواخر عام ١٩٧٨ م بحيث عجزت الحكومة عجزاً تاماً عن الصمود أمام ضغط المعارضة الشديد المتزايد يوماً بعد يوم ، حتى طالبت المعارضة الحكومة بالكشف عن المفسدين والمستغلين والمختلسين من كبار رجال الدولة واعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة ، كما أثارت المعارضة قضية المعتقلين السياسيين بشكل جاد وطالبت بإطلاق سراح المسجونين من الوطنيين ، ووقف التعذيب فى المعتقلات ، وإطلاق حرية الصحافة ، ورفع الرقابة عن الصحف والمطبوعات .

وحاولت الحكومة مهادنة المعارضة فأعلنت وقف مساعداتها المالية لحزب نهضة إيران تمهيداً لخله وإلغائه، ثم قامت بحل الحزب فعلاً وتسليم أمواله ومبانيه ومنقولاته للحكومة ، وأمر الشاه بمنع أعضاء الأسرة المالكة من التدخل فى الشؤون الحكومية أو استخدام النفوذ للحصول على منفعة شخصية لهم أو لأفراد آخرين ، وأنشأ رئيس الوزراء لجنة لتعقب المنحرفين والمفسدين فى كافة الأجهزة الحكومية والوزارات وشركات القطاع العام وزادت مرتبات الموظفين لحمايتهم من الانحراف .

غير أن الحكومة لم تستطع مع هذا توفير الأمن والاستقرار فى إيران فظلت جماهير الشعب ثائرة ، وكثر الحديث عن المستقبل السياسى لإيران ، وارتفعت الأصوات مطالبة بتغيير النظام لإنقاذ البلاد من أخطار حرب أهلية يكتوى الجميع ببنارها .

(١) ارجع إلى كتاب الثورة الإيرانية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن ص ٧٣٠٧٢ للحصول على مزيد من المعلومات حول هذه المسألة .

ثامنا : ظهور رجال الدين على مسرح الأحداث :

واستطاع رجال الدين بزعامة آية الله العظمى شريعتمداري أن يستفيدوا من حالة الغليان الموجودة بين أفراد الشعب الإيراني في توجيه الثائرين بما لهم من نفوذ روحى عليهم ، وحاول شريف إمامي رئيس الوزراء أن يسترضى الجماهير الثائرة فأفرج عن الزعماء الدينيين المعتقلين - كما ذكرنا - ووعد بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وكان آية الله العظمى شريعتمداري بطبيعته رجلا معتدلا ، فقدّر ظروف الحكومة وموقفها الحرج ، ودعا الجماهير الثائرة إلى الهدوء والتزام النظام ، وإعطاء الحكومة فرصة لإثبات حسن نواياها ، فلم يعجب هذا التوجيه الجماهير الثائرة ، فاتجهت جبهات المعارضة الوطنية إلى آية الله العظمى الخميني لقيادة الثورة .

وكان الخميني حينذاك في باريس بعد أن غادر العراق في الخامس من أكتوبر من عام ١٩٧٨ (١٣٥٧ هـ . ش) ، ويعد هذا التاريخ بداية للعمل السياسى المنظم من جانب الخميني ضد النظام الملكى الحاكم في إيران ، بعد أن سمحت الحكومة الفرنسية له بممارسة نشاطه السياسى واستقبال أصدقائه وأتباعه ، فبدأت تصريحاته السياسية تخرج من العاصمة الفرنسية منذ ذلك الوقت ، فشجعت هذه التصريحات أقطاب المعارضة في البرلمان على إثارة قضية إخراج الزعيم الدينى من البلاد واستجواب الحكومة حول أسباب إخراجها ومطالبتها بإعادته إلى البلاد .

ثم التقى الخميني في باريس بمهدى بازرگان رئيس لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان ، فاتفقا على تشكيل جبهة بزعامة الخميني مهمتها مناوأة النظام الحاكم والعمل على إسقاطه^(١) بالتعاون مع جميع أجنحة الثورة السياسية المخالفة للنظام داخل إيران وخارجها .

(١) جريدة اطلاعات : العدد ١٥٧٣٩ الصادر في ٢٥ نهرمان ١٣٥٧ هـ . ش .

ونجحت خطة الخميني فانضمت - إلى جبهته - جبهة إيران الوطنية بزعامة كريم سنجابي الذي طار إلى باريس والتقى بالخميني ثم أعلن أن الجبهة الوطنية ستلتزم بالعمل بتوجيهات الخميني ، كما تصاعد نشاط رجال الدين في إيران على ضوء تصريحات الخميني ، وصار مطلبهم الوحيد - الذي أعلنوه صراحة - هو إقامة حكومة إسلامية بعد إسقاط النظام الملكي ، وصار هذا المطلب مقبولا لدى جميع القوى الوطنية المعارضة لنظام الحكم ف راحت تؤيدة بكل طاقاتها . ثم أعلن الخميني أن إيران ينبغي أن تصبح جمهورية إسلامية ، فأقدمت الحكومة على تحديد إقامة شريعتمداري - الزعيم الديني المعتدل - وكان هذا العمل من أفظع أخطائها التي زادت الثورة ضد النظام اشتعالا وضراوة ، خاصة بعد أن أعلن الخميني أن كل من يتصل بالنظام أو يتفاوض معه يعد عدوا للحركة الإسلامية .

وحاول الشاه دفع الفوضى السياسية عن البلاد ، فأخذ يبحث عن رئيس وزراء قوى يستطيع الإمساك بزمام الأمور وإقرار الأوضاع المضطربة في إيران ، ثم وقع اختياره في النهاية على شابور بختيار الرجل الثاني في الجبهة الوطنية لتولى رئاسة وزارة تحلف وزارة شريف إمامي ، ولكن الخرق كان قد اتسع على الراقع فقد كان النظام الملكي حينذاك في حالة احتضار .

تاسعا : بداية نهاية النظام الملكي :

كان النظام الملكي في إيران - في أواخر عام ١٩٧٨ م (١٣٥٧ هـ . ش) في حالة احتضار يوشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وكانت الأحداث تتلاحق ، وتضيق الخناق على الشاه ، بحيث وجد نفسه مضطرا إلى التعاون مع الجبهة الوطنية ، دون زعيمها سنجابي الواقع تحت تأثير الخميني ، فاتصل بالرجل الثاني في الجبهة شابور بختيار وعرض عليه تولى رئاسة وزارة تحلف وزارة شريف

إمامي ، وقبل بختيار على أن يعين الشاه مجلس وصاية ينوب عنه بعد مغادرته البلاد في عطلة يقضيها في الخارج (١) .

وفشل بختيار منذ البداية في معالجة الموقف ، وثار عليه جميع الحركات المعادية لنظام الشاه ، وطرده الجبهة الوطنية من صفوفها ، كما طرده الخميني من الحركة الإسلامية ، ورفضت الأحزاب المعارضة التعاون معه بينما أعلن بختيار تعهده بالقيام بالإصلاحات التي يطالب الشعب بها ، من خلال الدستور ، واتفق مع الشاه على مغادرة البلاد في إجازة حتى تستقر الأوضاع ثم يعود بعدها ملكا يملك ولا يحكم .

ولكن بختيار فشل فشلا ذريعا ، لأنه كان يجهل ما خططه الخميني بمساعدة أنصاره في داخل إيران وخارجها ، فحاول الاستعانة بالجيش للسيطرة على الموقف ، فتزلت وحدات من القوات المسلحة إلى الشوارع ، وكان معنى هذا تصعيد الصراع إلى ذروته ، فقد عُدَّ نزول الجيش إلى الشوارع عملا عدائيا ضد الشعب واستفزازا صريحا له ، فأعلن رجال الدين الثورة الشعبية ، ودعوا جماهير الشعب إلى النزول إلى الشوارع تصديا للاستبداد ، فأخذت الجماهير تتدفق على الشوارع والميادين بتحريض من قيادات المعارضة ، وحاول الجيش إبعاد الناس وتفريق جمعهم واضطر في النهاية إلى الانسحاب إلى ثكناته وترك جماهير الشعب تتصرف كما تشاء ، فكان هذا إيذانا بانتهاء النظام الملكي وسقوطه ، ونجاح ثورة الخميني وأنصاره .

عاشرا : عودة الخميني وإعلان الثورة الإسلامية :

تهيأت الظروف لعودة الخميني إلى إيران بعد فشل بختيار في السيطرة على الموقف بمساعدة الجيش ، واضطر بختيار في النهاية إلى الرضوخ للأمر الواقع والموافقة على عودة الخميني .

(١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد الصادر في ١٩٨٠/١٢/٢٤ وفيه مذكرات الشاه .

ووصل الخميني إلى إيران فاستقبل استقبال الأبطال الفاتحين المنتصرين والتف الناس حوله فأصبح سيد الموقف ، واضطر بختيار إلى مغادرة البلاد والذهاب إلى باريس فبدأت بذلك مرحلة جديدة من تاريخ إيران هي مرحلة الثورة الإسلامية بزعامة الخميني والمجلس الثوري الإسلامي الذي يبدو أنه شكل قبل عودة الخميني إلى إيران .

وقد عين الخميني فور عودته مهدي بازركان رئيسا للحكومة مؤقتة تدير دفة الأمور في البلاد ، وحاول إرضاء جميع القوى الوطنية التي شاركت في الثورة ، فكانت الحكومة في الحقيقة حكومة زعامات أكثر منها حكومة إسلامية متجانسة ، واضطر الخميني إلى الإبقاء على المجلس الثوري ليحكم البلاد عن طريقه بمساعدة الحرس الثوري الذي يكفل له السيطرة على الموقف . وأعلنت الحكومة أن مهمتها هي إجراء استفتاء في البلاد على نظام الحكم واختيار رئيس للجمهورية ، ومضت في الإعداد لهذا الاستفتاء الشعبي ، الذي بازكته كافة الجماعات السياسية ، حتى حزب توده الشيوعي أعلن أنه سوف يصوت لصالح الجمهورية الإسلامية ويؤيدها^(١) .

وهكذا سقط النظام الملكي في إيران بعد أن ظل قائما أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان ، وكان يعد أعرق النظم الملكية ، وأطولها عمرا ، وأعماقها تأثيرا في النظم الملكية المختلفة القائمة في أنحاء العالم ، وتلك سنة الله في خلقه ، وهو وحده - جل شأنه - مالك الملك ، وهو سبحانه القائل : « قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير^(٢) » صدق الله العظيم .

(١) جريدة كيهان : العدد ١٠٦٩٤ الصادر في ٢٤ اسفند من عام ١٣٥٧ هـ . ش .

(٢) سورة آل عمران : آية ٢٦ .

إيران المعاصرة فى ظل ثورة الخمينى :

ليس من الأمور السهلة على الدارس أن يقوم ثورة الخمينى ، ويبين آثارها فى إيران استنادا إلى ما تكتبه الصحف المختلفة أو ما تذيعه أجهزة الإعلام المتنوعة ، سواء منها المؤيد للثورة أو المعادى لها فالمعلومات المستقاة من المؤيدين للثورة أو المعارضين لها لا تصلح مادة علمية صحيحة يعتمد عليها فى الدراسة والتقييم وإصدار الأحكام العلمية الصحيحة أو القريبة من الصحة ، ولذلك فقد ترددت كثيرا فى الكتابة عن ثورة الخمينى وآثارها فى إيران المعاصرة ، وكنت أنتظر فرصة مواتية لزيارة إيران وهى فى ظل ثورة الخمينى ، كما زرتها من قبل مرات عديدة فى ظل النظام الملكى ، حتى تكون دراستى واقعية على الطبيعة ولكن الزيارة لم تيسر لى - حتى الآن - ووجدت من الضرورى والمفيد أن أكمل كتاب إيران ماضيها وحاضرها حتى لا يصدر كما صدر قبل ثورة الخمينى منتها عند عهد الشاه محمد رضا بهلوى ، ففضلت أن أضيف إليه هذا الجزء الأخير عن ثورة الخمينى فى إيران ، وقد استقيت أكثر معلوماتى عن الصحف الإيرانية التى ييسر الحصول عليها وبخاصة الصحف التى صدرت قبيل الثورة ومن كتب الخمينى وقادة الثورة أنفسهم وحاولت أن أكون موضوعيا - بقدر المستطاع - فأعرض الأحداث كما وقعت دون تفسير موجه لها ، فكثيرا ما تكون الحقيقة كامنة فى ثنايا الأحداث بحيث يستطيع الدارس والقارئ استخلاصها يقينا أو ترجيحها والله الموفق للصواب والهادى إلى سواء السبيل .

والشئ الذى لا شك فيه بين الدارسين أن الزعيم الدينى الإيرانى آية الله العظمى روح الله الخمينى هو الذى خطط لقيام ثورة فى إيران ضد نظام الشاه محمد رضا بهلوى الذى أخرجه من إيران فى عام ١٩٦٤ ونفاه إلى العراق وهو الذى أطلق على ثورته اسم الثورة الإسلامية ولكن الأحداث تثبت غير ذلك والخمينى - كما هو معروف - عالم دينى وزعيم شيعى ، جاوز الثمانين من عمره حتى

الآن ، ومازال يشترك في توجيه سير الأحداث في إيران ، ويحاول أن تكون له الكلمة الأولى في كل الأمور .

والخميني كغيره من علماء الشيعة الإمامية قد درس علوم القرآن والحديث والفقه من وجهة النظر الشيعية ، وحاول الاستفادة من تجارب ثوار الشيعة السالفين مع السلطات الحاكمة ، وهو يعتقد أن الإصلاح لا يتم إلا على يد حكومة إسلامية بالمفهوم الشيعي لهذه الحكومة ، فهو يعتقد أن انحراف العالم يمكن أن يؤدي إلى انحراف أمة ، فمسئولية العلماء تختلف عن سائر الناس في حجمها وثقلها ، ولهذا كان التركيز على العلماء في توجيه دفعة الحكم في إيران بعد الثورة، والمقصود بهم علماء المذهب الشيعي الذين يلقب الواحد منهم بآية الله ، ويلقب الواحد من كبارهم بآية الله العظمى .

والعلماء بمبادئ الدين الإسلامي وأصول المذهب الشيعي الإمامي^(١) هم أجدر الناس بإقامة الحكومة الإسلامية ، وتولى أمور المسلمين ، لأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وقد عين الرسول صلى الله عليه وسلم - خليفة^(٢) يتولى أمور المسلمين بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، ثم تعاقب الأئمة من نسل علي كرم الله وجهه بعد استشهادهم إلى الإمام الثاني عشر محمد المهدي - رضي الله عنه - وهو الإمام الغائب ، الذي غاب غيبة كبرى في ١٥ شعبان من عام ٢٦٠ هـ وسيكون ظهوره إيذاناً بقيام الساعة ، فينبغي أن يكون هناك وكيل للإمام أو نائب عنه يتولى أمور المسلمين ويرعى حرمة الله ، ويطبق مبادئ الإسلام ، والعلماء هم

(١) الشيعة الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية هم الذين تقوم لهم دولة في إيران منذ العصر الصفوي ابتداء من عام ٩٠٦ هـ أي منذ خمسة قرون تقريباً ، وسموا إمامية لاعتقادهم بضرورة وجود إمام يتولى أمور المسلمين ، وسموا اثني عشرية لاعتقادهم في اثني عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكري المهدي الغائب، وسموا جعفرية نسبة إلى الإمام السادس جعفر الصادق الذي قنن المذهب الشيعي .

(٢) يرى الشيعة أن الرسول (ص) عين علياً خليفة له في أثناء عودته من حجة الوداع .

أجدر الناس بتولى هذه المهمة نيابة عن الإمام الغائب فهم أولى الناس بإقامة الحكومة الإسلامية والإمساك بزمام الأمور في بلاد المسلمين^(١) .
وعلى أساس هذا الفكر الشيعة قام الخميني بثورته ، وأطلق عليها اسم «الثورة الإسلامية» ، وطالب بإقامة حكومة إسلامية ، وتقدم علماء الشيعة وفقهاؤهم للإمساك بزمام الأمور في إيران - بعد نجاح الثورة - وأصبح لهم سلطان قوى في إيران المعاصرة .

وقد بين الخميني في كتبه التي ألفها عن الحكومة الإسلامية وعن الجهاد الأكبر ضرورة إصلاح المجامع الدينية والعلمية وفقا لبرنامج تعليمي وثقافي وإعلامي ، لتحقيق إصلاح فكري وأخلاقي ومحو الآثار الفكرية والنفسية الناتجة عن دعايات الأجانب وسياسات الحكومات الخائنة الفاسدة^(٢) ، كما دعا العلماء إلى التحلي بالفضائل واجتناب الرذائل حتى يكونوا أهلا لقيادة أمة من الناس ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة ، والاستماتة في الدفاع عن الإسلام ، وأكد الخميني ضرورة أن يقوم العلماء بإصلاح أنفسهم قبل الخروج للناس وتولى أمورهم^(٣) .

وقد وضع الخميني تخطيطا للأجهزة والمؤسسات التي تدير دفة الأمور في إيران في ظل الحكومة الإسلامية ، كما اشترط أن يكون الحاكم فاضلا عالما بالأحكام والقوانين ، عادلا في تنفيذها ، فيكون الحكم بهذه الصورة واجبا خطيرا ، وتكليفا لا تشريفا ، كما اشترط أن يكون الحكم شوري - كما قررت مبادئ الإسلام - فلا يكون الفقيه وليا مطلقا بل ينبغي أن يشكل الفقهاء مجتمعين

(١) الخميني : حكومت إسلامي ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) الخميني : حكومت إسلامي ، ص ١٦٤ .

(٣) الخميني : الجهاد الأكبر ، ص ٤٤ من الترجمة العربية .

حكومة شرعية لتنفيذ الحدود وحفظ الثغور والنظام ، كما لا ينبغي أن يكون
الوالى بخيلا أو جاهلا أو مرتشيا أو ظالما^(١) .

وبين الخميني أن الحكومة الإسلامية لا تتنافى مع التقدم والرقى السائدين في
عالم اليوم ، لأن الدين الإسلامى هو المنقذ للبشرية ، وتعاليمه تدفع الإنسان إلى
الرقى والتقدم نحو الكمال ، والاستفادة من التقدم العلمى والاكتشافات العظيمة
والوسائل الحديثة ومن أحدث الأساليب العلمية ، مع التمسك بمكارم الأخلاق
التي جاء بها الإسلام الذى رضىه الله ديناً لعباده .

والدارس لما كتبه الخميني وأعلنه عن الحكومة الإسلامية يجد أنه قدم أفكارا
عامة ، تتعلق بالنظرية وطريقة تطبيقها ، ولم يقدم برنامجا زمنيا يمكن أن يوضع
موضع التنفيذ لأن التطور السريع للأحداث في إيران قبيل عودة الخميني إليها
من المنفى لم يتخ له الفرصة ، لكي يطرح برنامجا تنفيذيا على الشعب ، ولم يشر
هو نفسه في تصريحاته قبل نجاح الثورة وبعد نجاحها إلى أنه وضع مثل هذا
البرنامج ، كما تدل الأحداث - التي ذكرناها بإيجاز - على أنه لم يكن المخطط
الحقيقي للثورة ، وأن جماهير الشعب الإيراني الثائر على النظام الملكى هي التي
رفعته إلى قمة الزعامة فصار رمزا لوحدة القوى الثورية .

حقيقة أن الخميني قبل الزعامة ، ولكنه لم يستطع السيطرة على الأحداث
سيطرة تامة ، وصحيح أن نظريته لإقامة حكومة إسلامية كانت دليل علماء
الدين الذين اشتركوا في الثورة ، وأن حزب الجمهورية الإسلامية قد قام على
أساسها ، واختار الخميني صاحب النظرية زعيما وأبا روحيا للحزب ، وأن
الخميني قد قبل زعامة هذا الحزب حين رأى الحزب يحمل أفكاره غير أنه لم
يستطع بعد ذلك السيطرة على الحزب نفسه ، فلم يطبقوا نظرية الخميني تطبيقا
صحيحا ، ومالوا إلى العنف ، والتطرف في البطش بخصومهم تحت بصر الخميني

(١) الخميني : حكومت إسلامي ، ص ٥٢ - ٦٣ .

وسمعه ، فقد رأى الخميني في وجودهم في الحكم تدعياً لوجوده ، وفي بقائهم في السلطة بقاء لزعامته .

تطور الأحداث بعد نجاح الثورة :

تولى مهدي بازرگان رئاسة الحكومة المؤقتة بعد نجاح ثورة إيران الإسلامية بزعامة الخميني ، وكان بازرگان زعيم جمعية الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان ، كما كان ثائراً مصلحاً ، واقعي النظر ، معتدل الأفكار يعشق الحرية والإصلاح الاجتماعي إلى جانب تدينه ، فحظي بثقة الخميني وكان صوتاً عاقلاً يكره التطرف والانتقام السريع من أنصار النظام الملكي ، ولذلك لم يؤيد هؤلاء الأنصار في رغبتهم في إجراء محاكمات سريعة لاعتقاده بأن هذا الأمر يسيء إلى سمعة الثورة الإسلامية ، لأن الإسلام دين تسامح لا دين حقد وعداوة وانتقام . غير أن اعتدال بازرگان لم يجد شيئاً أمام عاصفة الأحداث الهوجاء التي كانت تحتاج إيران بعد نجاح الثورة ، والرغبة العارمة في الانتقام والبطش بأنصار النظام الملكي بعد زواله ، وذهبت حكومة بازرگان بعد انتخاب أعضاء مجلس النواب ، وتلتها حكومة محمد علي رجائي وانتقل بازرگان بثقله السياسي من مقاعد الحكم إلى مقاعد المعارضة ومعه كثير من أعضاء حكومته الانتقالية ، وثار بعضهم على النظام الجديد ، فتعرض للاعتقال والسجن أو اضطروا إلى الفرار خارج البلاد أو التحق بمعارضى النظام الملكي في باريس وباقي دول أوروبا . وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن موجة التطرف طغت على سير الأحداث في إيران - في ظل ثورة الخميني - حتى بدأ الصراع بين القوى الثورية نفسها ، فاختلف حزب آية الله طالقاني ، وهو من علماء الدين المتطرفين ، مع حزب الخميني ، وقام أنصار الخميني باعتقال أبناء طالقاني وإيداعهم السجن ، وكاد الطرفان يقتتلان لولا وساطة علماء الدين المعتدلين بزعامة آية الله شريعتمداري - وانتهى الأمر بإطلاق سراح أبناء طالقاني ، ولكن نفوس الطرفين ظلت طاغية بالغضب والحقد .

وقد عارض طالقاني فكرة إحلال جيش شعبي محل الجيش النظامي ، وهي الفكرة التي نادى بها حزب الخميني ونفذها فعلا كما طالب طالقاني بتنزع السلاح من أيدي الأفراد غير المسؤولين وإبقائه في أيدي المسؤولين دون غيرهم^(١) ولكن حراس ثورة الخميني من أعضاء حزبه ركبوا رؤوسهم ، ولم يستمعوا إلى نصائح شركائهم في الثورة ، مما يدل على مدى تصدع القوى الثورية نفسها بعد نجاح الثورة ، حتى إن آية الله طالقاني نفسه أعلن قبل موته أنه ليس من الصلاح أن يمسك رجال الدين بزمام المسؤوليات الحكومية وطالب بعودتهم إلى المسجد والتنحي^(٢) عن تحمل المسؤولية بعد إيجاد حكومة مركزية لأن المسجد مهمتهم الأصلية .

والواقع أن موت طالقاني أوجد فراغا في ساحة السياسة الإيرانية ، لأن وجوده على رأس حزب قوى كان فيه نوع من التوازن الذي كان لازما للحد من النزاع بين الزعامات الثورية في إيران ، لعدم وجود حكومة حقيقية تسيطر على الأوضاع السياسية ، وتقف في وجه عاصفة الأحداث الهوجاء التي اجتاحت إيران بعد عودة الخميني ونجاح ثورته .

وكما وقع خلاف بين آية الله طالقاني وحزب الخميني ، وقع خلاف بين الحزب وبين أحد كبار أنصاره ألا وهو الدكتور أبو الحسن بنى صدر الذي ساعده الخميني نفسه في تولي رئاسة الجمهورية وكان أبو الحسن بنى صدر من أقرب المقربين إلى الخميني قبل قيام الثورة ، وفي أثناء وجوده في باريس ، بل إن الكتب التي ألفها مثل كتاب « إيران: غربة السياسة والثروة » وكتاب « قواعد الحكم الإسلامي وضوابطه » لتدل على أنه المخطط الحقيقي للثورة فقد أكد بنى صدر - مرارا - في كتاباته أن لديه برنامجا عمليا لإقامة حكومة إسلامية ، وأن

(١) جريدة كيهان العدد ١٠٦٤١ الصادر في ٣٠ بهمن ١٣٥٧ هـ . ولزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتاب مسألة الثورة الإيرانية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن ص ١٠٩ وما بعدها .
(٢) وجه طالقاني هذه النصيحة في حديث إذاعي تليفزيوني له في ١٣ جزاء ١٣٥٨ هـ ش .

هذا البرنامج فيه من الأسس والضوابط ما يكفل استمرار هذه الحكومة وتحقيق أهدافها .

وكان بنى صدر كذلك بجانب الخميني في باريس قبل قيام الثورة ، وفي طهران بعد قيامها ، ثم رئيس المجلس الثورة السري ، ثم مستشارا اقتصاديا لحكومة بازركان المؤقتة ، وصاحب فكرة وجود الحرس الثوري ولجانه ، وإيجاد جيش شعبي ، وإعلان إمامة الخميني ، وقطع خطوط العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية ، والوقوف في وجه استيلاء رجال الدين على السلطة بعد حصول الحزب الجمهوري على الأغلبية في البرلمان ، وإعطاء الأجيال الشابة فرصة الاشتراك في إدارة دفة الأمور في إيران .

ولكن عاصفة الأحداث الهوجاء في إيران بعد نجاح الثورة أطاحت ببني صدر وعزلته من منصب رئاسة الجمهورية واضطرته إلى الهرب إلى باريس حيث هاجم الاتجاه إلى العنف الذي غلب على المسكين بزمام الأمور في إيران . وكان عزل بنى صدر دليلا على عجز الخميني عن السيطرة على الموقف في إيران ، لأنه هو الذي ساعد بنى صدر من قبل على الوصول إلى منصب رئاسة الجمهورية ، لأن سلطان رجال الدين المسكين بزمام الأمور كان أقوى من قبضة الخميني على هذا الزمام .

وفي غمرة الأحداث العاصفة ، وذروة التنازع على السلطة في إيران بعد نجاح ثورة الخميني ، طفت على سطح الأحداث مشاكل داخلية وأخرى خارجية ، أصبحت شغل الثورة شاغل ، فأهملت التصدي لسائر المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي قامت الثورة من أجل التصدي لها وحلها ، وانشغلت الثورة منذ منتصف عام ١٩٨٠ م إلى يومنا هذا بالتصدي لهذه المشكلات الطارئة على حساب المشكلات الأساسية القائمة في إيران . وكانت أهم المشاكل الداخلية التي طفت على سطح الأحداث مشكلة الأقليات المذهبية والعنصرية ، وقد فشلت الحكومة في إقامة حوار مع الأكراد ، فلجأوا إلى الكفاح المسلح وأخذت الحروب الداخلية تندلع بين حين وآخر بين

أنصار الثورة ومجاهدى الأكراد ، ولا زالت المشكلة الكردية تطل برأسها في إيران وتهدد استقرارها ووحدتها حتى يومنا هذا .

وقد أسرف أنصار الخميني المسكين بزمام الأمور في إيران في محاكمة مخالفينهم وإعدامهم حتى بلغ عدد من نفذ فيهم حكم الإعدام بضعة آلاف ، وقوبل هذا التصرف من جانب أنصار الثورة برد فعل من أعدائها ، وفي مقدمتهم أعضاء منظمة مجاهدى خلق فقاموا باغتيال العديد من أنصار الثورة وكبار المسؤولين فيها مثل حجة الإسلام محمد بهشتي سكرتير عام حزب الجمهورية الإسلامية ومحمد علي رجائي رئيس الجمهورية ، ومحمد جواد باهنر رئيس الوزراء ، ورئيس الأركان وعدد كبير من الوزراء وأعضاء البرلمان وكبار الشخصيات في حزب الجمهورية الإسلامية الحاكم .

وأما أهم المشاكل الخارجية التي طفت على سطح الأحداث في إيران بعد ثورة الخميني فقيام الحرب بين العراق وإيران بسبب اختلاف الدولتين على بعض مناطق الحدود بينهم في الخليج ، وكانت الدولتان قد عقدتا اتفاقا بينهما في عام ١٩٧٥ لتسوية الخلافات القائمة حول هذه المناطق ولكن دولة العراق كانت تشعر بأن الاتفاق ليس في صالحها ، فقامت قواتها في سبتمبر من عام ١٩٨٠ بغزو المناطق المختلف عليها ، وما زالت الحرب قائمة بين الدولتين منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا .

وقد دخلت الحرب العراقية الإيرانية عامها الرابع برغم الوساطات المتعددة التي قامت بها مختلف الدول من إسلامية وعربية وغيرها لوضع حد للحرب الدائرة بين الدولتين الجارتين المسلمتين بسبب تشدد حكومة الثورة الإسلامية في إيران ورفضها لجميع الوساطات التي بذلت وتبذل لوضع حد لهذه الحرب التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من شباب الدولتين ، وأثرت تأثيرا واضحا في اقتصادهما لكثرة ما أنفق فيها من أموال ، وهي مشكلة ذات أثر خطير على أمن منطقة الخليج بخاصة وعلى سلام العالم واقتصاده بعامة ، وليس لها من دون الله كاشفة .

خاتمة

هذا عرض سريع للأحداث التي اجتاحت إيران في السنوات الست الأخيرة ، استعرضت فيه الأحداث التي مهدت لقيام الثورة وساعدت على إشعال نارها ، وهيأت للزعيم الديني أية الله العظمى روح الله الخميني .. وهو في منفاه في باريس - أن يركب موجة الأحداث ، ويعبر الزعيم الروحي للثورة ، ثم مكنته من العودة إلى إيران بعد خمسة عشر عاما من خروجه منها وإقامته في منفاه في العراق وفرنسا ، وصيرته قائدا وموجها للثورة عقب نجاحها ، وإسقاطها للنظام الملكي بعد أن ظل قائما في إيران أكثر من خمسة وعشرين قرنا ، فأصبح الخميني الإمام النائب عن الإمام الغائب وفقا لتعاليم المذهب الشيعي الإمامي وصار أتباعه ولاية الأمور في إيران تطبيقا لنظرية الشيعة في الحكم .

وقد حاولت في هذا العرض أن أكون موضوعيا فلا أتعصب لثورة الخميني أو عليها ، حتى لا يفسد التعصب البحث العلمي ، بل تركت الأحداث تفصح عن الحقيقة بقدر الإمكان ، وقد بينت الأحداث أن الخميني لم يكن المخطط الحقيقي للثورة ، ولكنه ركب موجتها ، وأن شدة اندفاع القائمين بالثورة ، ورغبتهم العارمة في الانتقام من معارضيها ، حال بين الخميني - زعيمها الروحي - وبين السيطرة على الموقف ، وكبح جماح الثوار ، ولم يمكنه - حتى الآن - من تطبيق نظريته في كيفية إقامة حكومة إسلامية في إيران ، فبعد البون بين النظرية والتطبيق .

كما أن اندفاع أعضاء حزب الجمهورية الإسلامية - الذي يتزعمه الخميني - في تنفيذ سياسة البطش الشديد بمخالفهم يسبب في تفتت القوى الثورية نفسها ، واحتدام الصراع بينها ، وساعد على تفجر المشاكل الداخلية وفي مقدمتها مشكلة الأقليات الدينية والعنصرية كمشكلة الأكراد وظهور مشاكل خارجية كمشكلة رسم الحدود بين إيران والعراق وهي المشكلة التي تسببت في قيام حرب ضروس بين الدولتين منذ أكثر من ثلاث سنوات ، مازالت رحاها دائرة حتى هذه اللحظة ، ولا يعلم إلا الله متى تضع هذه الحرب اللعينة أوزارها .

وقد أدت هذه الأحداث جميعها إلى شغل ثورة الخميني عن التصدي
لمعالجة الأوضاع التي من أجلها قامت الثورة وأسقطت النظام الملكي لتوفر
للشعب الإيراني حياة أفضل .

وأرجو أن يكون هذا العرض كافيا لتوضيح ملامح صورة إيران المعاصرة في
ظل ثورة الخميني بعد خمسة أعوام من نجاحها .

والله أسأل أن يأخذ بيد عالمنا الإسلامي إلى ما فيه خير الشعوب الإسلامية
وتحقيق الأمن والاستقرار والرفاهية لها ، حتى تنتصر على أعدائها .
وهو نعم المولى ونعم النصير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لا جدال في أن منطقة الشرق الأوسط من أهم مناطق العالم ، لما لها من أهمية اقتصادية واستراتيجية ، مما جعل الدارسين في مختلف ميادين الدراسة يهتمون بدراسة هذه المنطقة ، ويعنون بدراسة دولها وشعوبها للإلمام بمختلف شئونها . وقد ازداد اهتمام المستشرقين بمنطقة الشرق الأوسط وحرصهم على دراسة دولها وشعوبها في الخمسين سنة الأخيرة زيادة كبيرة وأصبحت دراساتهم تخدم أغراضا سياسية واقتصادية وحرية إلى جانب الأغراض العلمية .

والواقع أن دراسات المستشرقين لدول منطقة الشرق الأوسط وشعوبها مهمة ومفيدة ، غير أنها لا تخلو من الهوى في كثير من الأحيان ، الأمر الذي يجعل أحكامهم غير دقيقة ، لما يشوبها من تعصب يعمى الدارس عن رؤية الحقيقة رؤية صحيحة وإثباتها دون تغيير ، كما تقضى طبيعة البحث العلمي الصحيح . وطبيعى أن يوجد عدد من المستشرقين يتعدون في دراساتهم عن الهوى ، ويجعلون إثبات الحقيقة العلمية غايتهم المنشودة ، فيحرصون على تحريها ، ويعملون على إدراكها بمختلف الوسائل الممكنة .

ومن الإنصاف أن أقر أن « دونالد ويلبر » كما يبدو في كتابه « إيران ماضيها وحاضرها » من المستشرقين الأمريكيين الذين ابتعدوا عن التعصب والهوى في الدراسات التي قاموا بها .

وقد قام « دونالد ويلبر » برحلات عديدة إلى منطقة الشرق الأوسط ، وأقام في بعض دولها مددا متفاوتة ، منقبا عن الآثار الموجودة فيها ، ودرستها لها وكانت إيران إحدى دول الشرق الأوسط التي زارها مرات عديدة ، وأقام فيها بضع سنوات في إحدى هذه المرات (من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٦) ثم ألف كتابه هذا ، ليعرف بها منذ أقدم عصورها التاريخية إلى العصر الحاضر .

وهذا الكتاب - الذى يسرنى أن أقدمه مترجماً إلى العربية للمشتغلين بالدراسات المتصلة بالشرق الأوسط فى الوطن العربى من الكتب العظيمة الفائدة رغم صغر حجمه ، فهو يعرف بإيران من النواحي الجغرافية والتاريخية والسياسية والعمرانية والثقافية والاجتماعية والفنية ، ويعرض مختلف مظاهر النشاط البشرى فى هذه البلاد ، بطريقة تفيد القارئ ، كما تفيد الدارس المتخصص .

وقد عالج المؤلف موضوعات مختلفة فى صفحات قليلة وحاول أن يبين الأسس التى قامت عليها الحضارة الإيرانية فى عصورها المختلفة وأعطى اهتماماً خاصاً لإيران الحديثة ، فعرف بها تعريفاً شاملاً يدل على إحاطته التامة بكل ما يتعلق بهذه البلاد فى شتى النواحي .

ومن الحق أن أقرر أن المؤلف صور إيران الحديثة تصويراً صادقاً أميناً يعطى بنى قومه فكرة صحيحة عنها وكان دقيقاً فى التصوير ، بعيداً عن الهوى ، يعرض الأشياء كما هى دون زيادة أو نقصان ، وأن كل من عاش فى إيران واطلع على مظاهر النشاط البشرى فيها ليقرر أن الصورة التى عرضها دونالدويلر لإيران فى كتابه صحيحة ودقيقة .

وقد تيسر لى أن أزور إيران فى أوائل عام ١٩٤٩ وأن أعيش فيها عامين ، وأن أزور مناطق مختلفة فيها ، فلما اطلعت على كتاب دونالدويلر لمست جانب الصدق فيه ، فرأيت نقله إلى اللغة العربية حتى تيسر الاستفادة منه لكل من يعرف العربية ، ولا يتسنى له الاطلاع عليه باللغة الإنجليزية التى ألف بها : وما لاشك فيه أن المؤلف وفق فى عرض جوانب الحضارة الفارسية التى تغوص جذورها فى أعماق الزمن - كما وفق فى وصل حضارة إيران القديمة بحضارتها الإسلامية .

وبديهي أن الشعوب العربية يهملها أن تلم بجوانب الحضارة الإيرانية المختلفة لأنها تعلم أن الأمة الفارسية أمة ذات حضارة عريقة ، وأنها ارتبطت بصلات وثيقة بالأمة العربية منذ أقدم العصور ، فقد اتصل الفرس بالعرب قبل

الإسلام ، وتبادل الطرفان التأثير والتأثر ، ثم ازدادت الصلات بينهما توثقا بعد الإسلام ، فقد ساهمت الأمة الفارسية المسلمة بنصيب وافر في بناء صرح الحضارة الإسلامية الخالدة وكان لها نشاط ملموس في مختلف الميادين العلمية والأدبية والفنية .

وأن كل من يعرف اللغة الفارسية ليدرك ما أحدثه الإسلام من تقارب بين الأمتين العربية والفارسية ، فإن هذه اللغة مكتوبة بالخط العربى وفيها كثير من العناصر العربية مما ييسر دراستها لأهل العربية .

وقد ظلت الصلات بين الشعب الإيرانى والشعوب العربية قوية على مر العصور ، ومازالت وطيدة الى العصر الحاضر ، لأن الشعوب الإسلامية بعامة يوجد بينها الجهاد من أجل تدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى لتوطيد عزتها وكرامتها وتحقيق الرقى والمجد والرفاهية لأبنائها والانتصار على أعداء الحرية والسلام .

ولهذا كله تبدو فائدة الإلمام بمظاهر النشاط البشرى فى إيران فى مختلف عصور تاريخها بعامة وفى العصر الحديث بخاصة بالنسبة للشعوب العربية التى يعد الشعب المصرى رائداها دون منازع ، الأمر الذى يظهر أهمية ترجمة كتاب المستشرق الأمريكى دونالدويلبر الأستاذ بجامعة برنستون الأمريكية «وإيران ماضيها وحاضرها» إلى اللغة العربية .

وأنى أسأل الله أن يحقق الهدف الذى أقدمت من أجله على ترجمة هذا الكتاب إنه سميع مجيب . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

عبد النعيم محمد حسنين

مقدمة المؤلف

« إيران » و « فارس » اسمان استعمالا للدلالة على قطر واحد ، ولكنهما ليسا مترادفين تماما ، فلما هاجرت الأقوام الآرية من موطنها الأصلي جنوبي بحر الآرال إلى الهضبة المرتفعة الواقعة أسفل بحر قزوين ، سموا الموطن الجديد « إيران » ومعناها « موطن الآريين » .

وكان موقع القصور الملكية التي شيدها ملوك الدولة الأكمنية ، التي حكمت — أصلا — في الإقليم الواقع شمال شرقي رأس الخليج الفارسي ، يسمى « پارسا » وقد نقلت هذه الكلمة في عهد الاسكندر الأكبر — إلى اليونانية وأصبحت « پرسپولیس » (Persepolis) .

وكانت امبراطورية الأكمنيين القوية تسمى « إيران » ولكن اسم الإقليم الذي قامت فيه قصورهم ما لبث أن أطلق على الولاية كلها فصارت « پارس » أو « فارس » ومن ثم أخذ الناس — في كثير من الدول الأخرى — يطلقون على الدولة اسم « فارس » .

والاسم الرسمي للدولة الإيرانية في عصر الساسانيين هو « ايرانشهر » . وفي (عام ١٩٣٥ م) ، (١٣٥٤ هـ) طلبت الحكومة الإيرانية من الدول الأجنبية مراعاة للتناسق والتوحيد أن تطلق على البلاد رسميا اسم « إيران » فظفرت هذه التسمية ذات الدلالة الصحيحة بالاستعمال العام ، ولكن لغة البلاد — من ناحية أخرى — تسمى اللغة الفارسية ، أو « فارسي » كما يقول الأهالي ، لأنها لغة إقليم « پارسا » القديم ، وهي تكتب بحروف عربية .

والإيرانيون أكثر إلماسا بالولايات المتحدة وبالأمريكيين من الأمريكيين بإيران . وقد تبلورت في أذهانهم فكرة تتضمن كثيرا من المدح

والاطراء للولايات المتحدة باعتبارها بلاد الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص ،
والتقدم المادى .

ومنذ أكثر من قرن من الزمان ، ورجال الارساليات الأمريكية يعملون
باخلاص — فى إيران ، وقد استطاعوا أن يتصلوا بألوف من الإيرانيين —
من مختلف الطوائف — عن طريق مستشفياتهم ومدارسهم .

وقد استمدت الحركة الدستورية — فى عام (١٩٠٦ م ، ١٣٢٤ هـ) كثيرا
من حماسها الملحوظ إلى النظم الديمقراطية ، من الدراسات التى قام بها زعماء
ذلك العصر عن نظم الحكم فى أمريكا ، وبعد عام (١٩٠٦ م ، ١٣٢٤ هـ) ذهب
كثير من الشباب إلى الولايات المتحدة للدراسة ، فدرسوا فى الكليات ، وقاموا
بدور عملى فى الحياة الأمريكية ، ثم رجعوا إلى إيران ليلقوا الأحداث عن
أمريكا ، أو ليكتبوا المقالات عنها .

وترجمت إلى اللغة الفارسية — كتب لمؤلفين أمريكيين ، ونشرت
فى طهران ، وقد فضلت الكتب القيمة الخاصة بالتعليم والطب والعلوم
الاجتماعية ، ولكن ترجمت كذلك بعض القصص الخيالية وقد بيعت آلاف
النسخ من الترجمة الفارسية للكتاب الذى أصدره ديل كارنيجى بعنوان
« كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر فى الناس ؟ » .^(١)

وفى السنوات القليلة الأخيرة ، وصلت المجلات الأمريكية إلى إيران
بأعداد متزايدة ولا زالت الطبعات الحالية لمجلات :

The Reader's Digest, The Saturday Evening Post, Collier's ,
Time , Life , Vogue,

وغيرها تطلب باستمرار ، ولا يقتصر طلبها على الجمهور بل إن محررى
صحف طهران يهتمون بها وينشرون منها تراجم فارسية لأهم المقالات عن
الولايات المتحدة ودورها فى الشؤون العالمية .

(1) Dale Carnegie : How to win friends and influence People .

والسيارات الأمريكية وعربات النقل هي الوسائل العادية للسفر والنقل في إيران ، وقد أوجدت الخدمات الصادرة التي تؤديها السيارات الأمريكية ، فوق طرق إيران الخشنة ، وسهولة الحصول على قطع غيار لها بثمان معقول ، ثقة تامة في الصناعة الأمريكية .

وتعرض الأفلام الأمريكية — مع تذييل لها بالفارسية — في دور العرض المحلية بكثرة تفوق الأفلام المنتجة في روسيا أو إنجلترا أو فرنسا أو مصر ، رغم أن الأفلام تكون قديمة — نوعاً ما — في الوقت الذي تصل فيه إلى طهران ، والأفلام الهزلية الموسيقية منتشرة جداً ، وكان العرض الأول لفيلم « ذهب مع الريح » Gone with the wind من المناسبات الاجتماعية الواضحة .

وتحتوي محلات بيع أدوات الكتابة على مجموعات كبيرة جذابة من صور نجوم هوليوود ، كما أن بعض المجلات الأسبوعية تفسح مجالاً كبيراً فيها للصور السينمائية ، ورغم وجود دور العرض السينمائية في المدن الكبيرة فقط ، فإن الأخبار المتناقلة عن الأفلام تصل إلى عدد كبير من الناس ، فيأخذون — عن طريقها — فكرة واضحة عن كيفية حياة الأمريكيين وأعمالهم .

والذين يعرفون الفارسية في الولايات المتحدة قليلون جداً ومتفرقون ، أما في إيران ، فيوجد بين كل ألف وخمسمائة من الأهالي واحد على الأقل يجيد الإنجليزية إلى حد ما ، لأن الإنجليزية كانت تدرس في المدارس الأمريكية بصفة أصلية ، وتدرس في مدارس البلاد بصفة اختيارية وقد جذبت الفصول التي فتحت لتعليم الإنجليزية في طهران وغيرها من المدن الكبيرة — في السنوات القليلة الأخيرة — أعداداً كبيرة من الشباب والشيوخ على السواء .

وقت ألفت كتب كثيرة عن إيران في السنوات الأخيرة ، وكان بعضها من تأليف مؤلفين أمريكيين ؛ ولكن هذه البلاد ظلت مع ذلك غير معروفة كثيراً في الولايات المتحدة .

ويعرف الأمريكيون — عادة — شيئاً عن تاريخ إيران القديم : عن الملك

قورش ، وايستر^(١) ومردخاي^(٢) ، وعن إعادة بناء المعبد في القدس —
من نصوص العهد القديم — وعن النبي زردشت ، وعن الدولة الأكمنية
في عهد قورش ودارا واكرسيس (خشايثيا) وعن نهاية هذه الدولة —
آخر الأمر — على يد الإسكندر ، وعن هجمات قبائل المغول المدمرة بقيادة
جنكيزخان . ولكن إمام الشعب الأمريكي — بصفة عامة — بالحضارة الإيرانية
يكاد ينحصر في السجاد والأبسطة الإيرانية التي تعد الولايات المتحدة أكثر
الدول شراء لها ، وفي المثل الذي يقول : جنة فارسية (Persian Garden) رمزا
للجمال الخيالي ؛ وفي الشعر الفارسي الذي لا يقل من حيث السك والكيف عن
أى أدب من آداب الأمم الأخرى .

وقد ساعدت الحرب العالمية الثانية على تركيز الاهتمام العام حول إيران ،
فقد جاء ما يقرب من ثلاثين ألف جندي إلى هذه البلاد . ايمجلوا حركة
الإمدادات الحربية على طول خط تموين طويل ، كان يمتد عبر المحيطات
إلى رأس الخليج الفارسي ، ثم يواصل سيره — بعد ذلك — بالسكك الحديدية ،
وبالطريق الرئيسي — عبر حدود إيران الطبيعية مع روسيا — إلى الجبهة الروسية .

وفي ديسمبر من عام (١٩٤٣ م ، ١٣٦٣ هـ) ، سمع العالم كله عن الاجتماع
التاريخي بين روزفلت وستالين وتشرشل في مؤتمر طهران ، وهو الاجتماع
الذي أدى إلى كتابة مقالات كثيرة عن إيران .

وأغلب الكتب الحديثة المتعلقة بإيران تتناول نواحي ضيقة من حياتها
السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ويهدف هذا الكتاب إلى إعطاء معلومات محددة عن ماضي هذه البلاد
القديمة وحاضرها ، وتقديم صورة صادقة عن هذه الدولة بصفة عامة ،
ولا تدخل — في نطاقه — تفاصيل الموضوعات التي تختلف فيها الآراء ،

(١) استير اليهودية التي تزوجها ملك الفرس والتي عملت على مساعدة اليهود (المراجع) .
(٢) ذكر في كتاب استير وهو ابن عمها الذي أنقذ اليهود من الهلاك الذي دبره لهم هامان .
(المراجع) « عن العهد القديم » .

مثل العلاقات بين إيران والدول التي تجاورها ، وقد حاول المؤلف بقدر ما يستطيع أى كاتب أجنبي ، أن يقدم إيران من وجهة النظر الإيرانية ، وعندما ذكر أوجه النقص الملحوظة في بنائها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فإنه حاول أن يتجنب الأحكام المبينة على أسس غربية أجنبية .

وقد ذكرت المصادر في آخر الكتاب ، وفضلا عن هذا فإنني أعبر عن تقديري وامتناني للدكتور عيسى صادق ، والدكتور حسين بيرنيا ، وعلى باشا صالح ، والدكتور آرثر . س . بويس (Dr Arther C. Boyce) ، ويوسف م . أبتون (Joseph M. Upton) زملائي في «جمعية العلاقات الإيرانية الأمريكية» (Iran - America Relations Society) بطهران ، فقد أمدتني مقالاتهم المنشورة في مجلة «إيران والولايات المتحدة الأمريكية» ، المجلة الشهرية للجمعية ، بمادة موثوق فيها عن الحالة الاقتصادية ، ونظم التعليم ، والثقافة ، والمدنية ، والآثار القديمة ، في إيران .

واتبعت في كتابة أسماء الأشخاص ، والأماكن الجغرافية السابقة على الإسلام ، والأسماء العربية والفارسية طريقة كتاب «دراسة شاملة للفن الإيراني» (A Survey of Persian Art) بيد أن حروف المد الطويلة لم تتميز ، ولم ترسم علامات التشكيل للتمييز بين الحروف العربية الساكنة — ذات النبرات المتشابهة ، وقد اخترت — في حالة قليل من أسماء الأشخاص والأماكن — الصورة المألوفة التي راجت في الاستعمال وفضلتها على الهجاء الصحيح لهذه الأسماء .

بعد أن طبع هذا الكتاب طبعته الأولى ، قام الشاه محمد رضا بهلوى بزيارة رسمية للولايات المتحدة ، وطاف بالبلاد من الغرب إلى الشرق ، وقد ساعدت أجاديته العديدة ، والمقالات التي نشرتها الصحف — في أثناء زيارته — على زيادة اهتمام الأمريكيين بإيران ، فانتهم المؤلف فرصة إعادة طبع الكتاب فأعاد النظر فيه مرات عديدة ، هادفاً بذلك إلى جعل الكتاب يتناول الموضوع إلى آخر لحظة ممكنة ، ويشتمل على فصل بعنوان « مستقبل إيران » ،

مارس ١٩٥٠

د . ن . و . و .

تراش ایران



الفصل الأول

المميزات الطبيعية

الموقع:

إن موقع إيران الجغرافي قد جعلها معبرا للمواصلات البرية بين منطقة الشرق الأقصى في آسيا ، ومناطق البحر الأبيض المتوسط وأوروبا ، وقد حمت كهوفها قبل فجر التاريخ المدون الصيادين الذين كانوا من أقدم من انساحوا جنوبا نحو السهول الواطئة ليستقروا في القرى ، وليرعوا الحبوب ، وليربوا الحيوانات الأليفة ، كما أنها تعترض خطوط هجرات قبائل وسط آسيا مما أدى إلى استقرار كثير من هذه القبائل فيها .

وبسط حكامها نفوذهم — في العصور التاريخية — شرق الهضبة الإيرانية وغربها ، وأسسوا أول امبراطورية كبيرة في العالم ؛ وظلت طرق التجارة الرئيسية بين الشرق الأقصى والغرب تمر بشمال إيران مئات السنين ، وحينما أصبح للطرق البحرية — فيما بعد — نفس الأهمية التي للطرق البرية ، وجدت إلى جانبها طرق برية تصل بين الثغور الواقعة على الخليج الفارسي والمراكز التجارية الرئيسية ، سواء الواقعة منها داخل حدود الدولة أو وراء حدودها .

وقد أصبح الدور الرئيسي الذي كانت تلعبه طرق التجارة البرية عبر إيران محصورا جدا بعد شق قناة السويس ، وكان أفول إيران كمر للتجارة بداية لفترة من ضعفها السياسي والحربي ، وفي الوقت نفسه فإن موقعها الاستراتيجي جعلها مجالا للتنازع بين القوى الكبيرة التي تعارضت مصالحها فيها تعارضا تاما . وكانت حدودها الحالية — التي عينت في القرن التاسع عشر نتيجة لسلسلة من الحروب عجزت فيها عن حفظ نفسها أمام جيران أكثر منها قوة .

وتشغل إيران الآن مساحة قدرها ٦٢٨,٠٠٠ ميل مربع ، أي ما يقرب من مساحة الجزء الذي يقع شرق نهر المسيسيبي من الولايات المتحدة باستثناء

نيوانجلند New England وهي مساحة أقل كثيرا من مساحتها في أى وقت من تاريخها ؛ لأن حدودها فيما مضى كانت أبعد امتدادا إلى الشرق من حدودها الحالية ، وكانت مطابقة على وجه التقريب لحدودها الغربية في الوقت الحاضر ؛ وكان التوسع صوب الشرق نتيجة لاعتدال التربة في ذلك الاتجاه ، ونتيجة أيضا للترابط الوثيق لغويا وقوميا بين شعوب المنطقة وأهل الحضبة الإيرانية . ورغم مساحتها المحدودة في الوقت الحاضر ، فإن الدولة ما زالت تسمى الامبراطورية الإيرانية ، وحاكمها هو « الشاهنشاه » أى : « ملك الملوك » ؛ وهو لقب استعمل في إيران — لأول مرة — منذ أكثر من ألفى سنة .

وتقع إيران بين بحر قزوين والخليج الفارسي ، ولها حدود مشتركة مع العراق وروسيا السوفيتية وأفغانستان وباكستان ؛ ويسكن نطاقها أقوام لهم لغات مختلفة أو من أجناس بشرية متباينة ، تتعدى موطن سكناهم أو تحركاتهم القبلية الحدود الفعلية للبلاد .

الجيولوجيا والطبوغرافيا :

درست جيولوجية إيران جيداً ، بواسطة المتخصصين في هذه الدراسة من الإيرانيين والأوروبيين — ولكن دراستهم لم تكن في صورة منظمة — ونشرت خرائط جيولوجية لإيران على نطاق ضيق ، ولكن دراسات أكثر تفصيلا قد تمت فيما يتعلق بمناطق معينة ، لارتباطها بالبحث عن حقول البترول وغيره من مصادر الثروة المعدنية .

والمسافر العادى الذى يشق طريقه في إيران يلم بتاريخها الجيولوجى عن طريق قممها المرتفعة ، وسلاسل جبالها المتعرجة — التى تثب فجأة من السهول المستوية — وعن طريق التلوين الزاهى لكثير من التكوينات الجيولوجية ، وتكدس صخورها ، وتعقدها بشكل يلفت النظر .

والمسافر بالطائرة الذى يدخل إيران — عادة — من الغرب أو من الجنوب الغربى يطل على مجموعة من السلاسل تشبه السطح المتعرج المدرج ، فتأخذ قمم الجبال في الارتفاع بالتدرج ، بحيث تكون كل قمة أعلى من التى تسبقها ،

حتى يبلغ ارتفاع الهضبة الإيرانية مداه ، وهنا أيضاً ترتفع الجبال من كل جانب ، وإذا نظر الناظر من هذا الارتفاع إلى القرى والحقول المحروثة فإنه يجدها قد فقدت معالمها ، وتبدو له البلاد جميعها ، في صورة صحراء قاحلة خالية من الحياة .

ويبلغ ارتفاع جبال زاغروس وأبرز ١١,٠٠٠ قدم ، وقد تكونت في العصور الجيولوجية التي تقع بين العصرين الباليوزيكي (Paleozoic) والبليوسيني (Pliocene) وهي بالنسبة للجبال حديثة العهد كما يعرف ذلك من صورة جوانبها الحادة المتكسرة .

ويبدو أن التكوين العام لهذه السلاسل الجبلية . وللهمزة الإيرانية ، كان نتيجة ضغط متواصل على منطقة إيران من مجموعة الجبال الروسية في الشمال ، ومجموعة الجبال الإفريقية في الجنوب ، وبما ثبت حقيقة أن الضغط الجنوبي كان أقوى ، نشوز منحدرات أبرز وحدتها إذا ما قيست بطيات زاغروس وبسطتها ، وكانت طريقة تكوين الجبال معقدة بسبب التحركات العمودية ، وامتداد حركة التصدع .

والطابع السائد في المناظر الطبيعية بمعظم الولايات الإيرانية هو المخروطات البارزة التي تخلفت عن البراكين الثائرة . والقمم البركانية الرئيسية هي : دماوند أعلى قمم الجبال في إيران وقد انعكست صورتها في كثير من القصص القديمة المتعلقة بالأبطال والجن ؛ ويبلغ ارتفاعها ١٨,٦٠٠ قدم ، وهي في الشمال ؛ وديسلان ، وارتفاعها ١٤,٠٠٠ قدم ، وسهند وارتفاعها ١٢,٨٣٨ قدم ، وأرارات في الشمال الغربي (أرارات الصغرى تقع داخل حدود إيران ، ولكن أرارات الكبرى تقع خارج حدودها مباشرة) ، وبزمان ، و د جهلتن ، — ويبلغ ارتفاعهما ١٣,٢٦٢ قدماً — في أقصى الجنوب الشرقي ، ولا زال اثنان من هذه المخروطات يظهران بعض النشاط البركاني ، وقد لاحظ متسلقو الجبال الذين صعدوا إلى قمة دماوند وجود غازات كبريتية تنبعث منها ، كما أن ذيلاً من الغاز الكبريتي ينبعث من قمة جهلتن فيكلها .

وتقع حقول البترول — في الجنوب — في إقليم من القباب الجيرية البيضاء، بينما المنطقة الواقعة إلى الجنوب من طهران مغطاة بطبقة كثيفة من الملح، وهو التكوين الجيولوجي الذي يصاحب عادة آبار البترول.

ويمكن أن توصف إيران بصفة عامة — بأنها هضبة مرتفعة — يبلغ ارتفاعها حوالي ٤,٠٠٠ قدم فوق سطح البحر — مملوءة بالجبال. وتوجد فيها أربع مناطق طبوغرافية هامة، كل منها واضحة في مميزاتها، وانبساطها إلى ما وراء الحدود الإيرانية، وهي الآتية:

١ — سلاسل جبال زاغروس وأبرز الضخمة، وهي تشبه حرف «V» كبيرة منقوشة على سطح البلاد، وتقع رأس الـ «V» في شمال غربي إيران، وتمتد داخل حدود تركيا، وفي القوقاز الروسية، وتمثل سلسلة زاغروس — التي تندفع نحو الجنوب الشرقي — الذراع الجنوبي لهذا الحرف، وهي توازي الحدود العراقية وساحل الخليج الفارسي موازاة شديدة، في حين أن الذراع العلوي — وهو سلسلة أبرز — يبدو كحائط عبر شمالي البلاد، وهو يتكسر إلى سلاسل أخرى تندفع إلى أفغانستان وتركستان.

٢ — المنطقة التي داخل الـ «V»، وتبدأ — كالهضبة العليا — بسلاسل جبالها الفرعية، ثم تنبسط تدريجياً حتى تصير الصحراء الخالية التي تستمر في الامتداد جنوبي أفغانستان وباكستان.

٣ — إقليم خوزستان — تحت الذراع الأسفل للحرف «V»، — وهو امتداد للسهل المنخفض الموجود في العراق.

٤ — ساحل بحر قزوين — فوق الذراع العلوي للـ «V»، — وهو أقل ارتفاعاً من سطح البحر، ويكون منطقة مناخية مستقلة.

حقيقة أن كل هذه التكوينات الطبوغرافية تمتد إلى ما وراء حدود إيران، ولكن ليس معنى ذلك أن البلاد سهلة الدخول، لأن حدودها الحالية تحرسها حواجز طبيعية هائلة؛ فالحدود الغربية كلها، والبلاد الداخلية التي يحتضنها الخليج الفارسي — محمية بحواجز مرتفعة من الصخور، حيث تصل

الممرات المرتفعة إلى ارتفاع يزيد على ٧.٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، ثم تنحدر ثانية إلى مستوى الهضبة ؛ وبمثل هذه الحال تعزل الممرات المنيعه السهل الساحلى لبحر قزوين عن باقى إيران ، أما الحدود الشماليه الشرقيه ، والشرقيه فإن النفوذ إليها يكون فى أرض ذات تلال أو عبر مساحات واسعة من الصحراء الخاليه .

الرى والصرف :

توجد فى إيران أربعة أحواض للصرف مطابقة — تماما — للمناطق الطبوغرافية الأربع ، وهى : أحواض قزوين ، وبحيرة رضائية ، والخليج الفارسى ، والصحراء الهائلة .

ويغذى حوض الخليج الفارسى بثلاث وسائل مستقلة هى :

النهيرات الصغيرة التى توجد فى الشمال الغربى من إيران ، وتصب — فى النهايه — فى نهر دجلة ، ونهر قارون وفروعه ، وهو يصب فى رأس الخليج الفارسى ، والقنوات العديده التى تقطع الساحل الطويل — الذى يبلغ طوله ألف ميل — للخليج الفارسى .

ولا تصب معظم أنهار إيران ونهيراتنا فى المستودعات المائية الثلاثه المذكورة ، بل فى الصحارى الداخليه الواسعه حيث توجد ثلاث مساحات للصرف تنفصل كل منها عن الأخرى بواسطة خطوط من التلال ، ولكنها تؤدى وظيفه الحوض الواحد ، وللمصارف الداخليه علاقه وثيقه بالحياه الاقتصاديه فى إيران .

وتعيش الغالبية العظمى للسكان على طول خطى الحرف «٧» الذى ترسمه سلاسل الجبال الرئيسيه ، وتمتد الجبال فى صفوف متوازيه تضم فيما بينها أوديه ضيقه طويله ، محاطة فى نهايه كل منها بحواجز جبليه متقاطعه . والنموذج العام للجبال والوديان يمكن أن يشبه بعدد من درجات السلم ، كل درجه موضوعه بحيث تكون موازيه للأخرى تقريبا ؛ فالأجزاء العموديه فى السلم تمثل خطوط الجبال ، والدرجات تمثل الحواجز التى توجد فى نهايه كل واد .

ويبلغ متوسط اتساع الوادى حوالى ٨ أميال عرضاً، ومن ٢٥ إلى ٤٠ ميلاً طولاً، وهو مسطح فى قاعه حافات تعلو وتتصل اتصالاً مباشراً مستقيماً بالجبال التى ترتفع فوقه، وتتجمع القرى وتتقارب جداً على هذه الحافات أكثر منها فى الخط الأوسط، حيث يوجد عادة طريق رئيسى، يجتاز فى الوقت الحاضر عدداً قليلاً من آلاف الجبال التى تعترض الوديان.

وتقضى القبائل الرحل الصيف فى المناطق المرتفعة، وهى المناطق التى تسودها فى الشتاء الثلوج الكثيفة والبرد الشديد اللذان يجعلان الحياة القروية المستقرة فيها مستحيلة؛ وتتكاثر الجماعات الزراعية فى الوديان؛ حيث تكون الأرض السهلة، أكثر ملاءمة للزراعة. وقد عاش الفلاحون قروناً عديدة معيشة منعزلة يسدون حاجاتهم بأنفسهم وساعدت الحواجز التى تفصل بينهم وبين العالم الخارجى على دوامهم التاريخى، ومحافظةهم على سلاطتهم البشرية وسلامتهم نسبياً، واستقلالهم فى أوقات الغزو الأجنبى.

الأنهار

أهم الأنهار التى تصب فى بحر قزوين هى من الغرب إلى الشرق: نهر «أرس» (Araxes) ونهر سفيد رود وفرعه الطويل قزل أوزون، ونهر جالوس، ونهر هراز، ونهر لار، ونهر جرجان، ونهر أترك، ولا يحمل واحد منها مقداراً هائلاً من المياه إلا فى الربيع.

وتصلح نهاياتها لتوالد الأسماك، خاصة الأسماك الكبيرة الموجودة فى بحر قزوين — المعروفة بالآليل — وهى التى يؤخذ منها الكافيار الرائع، وتعد هذه الأنهار مستودعات لقوى مائية كبيرة لم ينتفع بها حتى الآن.

وأكبر الأنهار التى تصب فى الخليج الفارسى هو نهر قارون^(١) — ويعد مجراه الأسفل ملتقى لمجراه الأعلى مع نهر آب دز. ونهر قارون صالح للملاحة تخترقه البواخر الصغيرة، حتى الأهواز، أى إلى مسافة ٧٠ ميلاً من مصبه،

(١) المراجع: يكتب أيضاً فى السكتب الفارسية «كارون».

وتستطيع القوارب الصغيرة أن تتقدم فيه وتشق طريقها في تياراته الشديدة إلى ما بعد الأهواز . ويبلغ اتساع النهر مائة ياردة عند الأهواز ، وقد أقيم عليه عندها معبر جميل مرتفع من الصلب ، ومعبر للسكة الحديدية .

والأنهار التي تصب داخل البلاد هي « زاینده رود » الذي يجتاز أصفهان ، و « جاجرود » و « كرج » و « كن » بالقرب من طهران ، وقره صو بالقرب من همدان وهابله شرقي كاشان وقم — وهو يجري بالقرب من مدينة بنفس الاسم — ونهر دكر ، وهو يمر بالمدينة القديمة برسبوليس . ويوجد — في أقصى الشرق — نهر هلمند الذي تساق مياهه المختزنة في قنوات لرى جزء من إقليم سنجستان ، رغم أن الجزء الأكبر من مجراه يقع في أفغانستان .

وهذه الأنهار هي أهم مجارى الأنهار الدائمة ؛ وأغلب الأنهار الأخرى تجرى ثم تجف في أواسط الصيف ، وأكبر مثل للأنهار الكبيرة التي تجرى بهذه الصورة نهر زاینده رود الذي تغذى مياهه إصفهان وكثيرا من المحلات الزراعية القريبة منها ، ويبلغ اتساعه عند إصفهان — في فصل الربيع — أكثر من مائة ياردة ويبلغ عمقه ستة أقدام ، وليست عليه خزانات أو قناطر لتنظيم صرف المياه ، ولذلك فإن مياهه المتدفقة تصب في المناطق الصحراوية وتغور في الأراضي الخالية المتعطشة ، وفي أواخر الربيع ، تسحب المحلات الزراعية الواقعة في أعلى الهر من ناحية أصفهان — مياهه إلى الحقول لزراعة الأرض ، وينتج عن هذا أن يتحول النهر في أواسط الصيف إلى مجرى ضحل في محاذة أصفهان — يكفي لحاجات المنطقة ، بينما تظل القرى البعيدة الواقعة في أسفل النهر محرومة غالبا من أى ماء على الإطلاق .

البحار والبحيرات :

يقع بحر قزوين — وهو أكبر كمية محبوسة من المياه في العالم — على بعد ٨٥ قدما تحت سطح البحر ، وهو ضحل نسبيا ، وحجمه ينكمش تدريجيا منذ عدة قرون ، وما يحتوى عليه من الملح أقل كثيرا مما تحتوى عليه مياه المحيطات ، ورغم أن الأسماك كثيرة فيه ، فإن شواطئه المائلة لا تصلح مرافق

طبيعية حسنة ، كما أن العواصف العنيفة المفاجئة تجعلها خطيرة على القوارب الصغيرة .

وتبلغ بحيرة رضائية — التي كانت تسمى قديما بحيرة أورميا — ٨٠ ميلا طولا و٣٥ ميلا عرضا ، وهي تقرب من مساحة بحيرة أوتاه الكبيرة (utah) . ومتوسط عمقها خمس أو ست ياردات وأقصى عمق لها إحدى عشرة ياردة . وتصب في هذه البحيرة نهيرات صغيرة قليلة ، مما أدى إلى انكماش مستمر في مساحتها وإلى زيادة كبيرة في نسبة الملوحة بها بحيث لا تستطيع سمكة أن تعيش فيها ، وتصل نسبة الملوحة فيها إلى ٢٣٪ وهي مكونة من الأملاح ، وسلفات المغنسيوم والكلسيوم والصوديوم والبوتاسيوم . وأغلب الخرائط تظهر جزيرة كبيرة — باسم شاهي — بارزة في منتصف هذه البحيرة ، ولكن المياه انحسرت في خلال السنوات الأخيرة ، بحيث يمكن السير — في أثناء أشهر الصيف — من الأرض اليابسة إلى شواطئ هذه الجزيرة مباشرة .

وتوجد عدة مستنقعات على طول الحدود بين إيران وأفغانستان ، تتسع وتنكمش تبعا لفصول السنة ، وأكبرها دهامون صباري ، وهي زاخرة بالطيور المتوحشة . أما البحيرات ذات المياه العذبة فنادرة للغاية في إيران ، ومن المحتمل أنها لا تتجاوز عشر بحيرات في جميع أرجاء البلاد ، وجميعها آسنة ، وأغلبها لا يزيد في مساحته على حجم البرك .

الصحاري :

تمتد الأقاليم الصحراوية الواسعة في إيران عبر الهضبة من الشمال الغربي — بالقرب من طهران و قم — إلى مسافة ٨٠٠ ميل تقريبا ، إلى الجنوب الشرقي مجتازة الحدود ؛ وما يقرب سدس مساحة إيران صحراء قاحلة .

وأكبر صحراويين تعرفان باسم : دشت لوت ، ودشت كوير ، وكلمة دشت معناها الصحراء ، ولوت معناها الخالية ، وكوير معناها الصحراء الملحة ، وهذه المساحات الصحراوية تتداخل بعضها في البعض ، ولو أن كلا من الصحراويين

له دلالة محلية معينة ، وبعض أجزاء الصحارى تشتمل على بحيرات ملحة تبتلعها في الربيع سيول الأنهار الداخلية الجارقة كل عام فإذا حل الصيف اختفت تحت قشرة صلبة من الملح . وهناك مساحات أخرى من الأراضي الصخرية البور ، ومساحات شاسعة من التربة الملحة أو الصحارى المكسدة بأكوام الزمال ، وجميعها — تقريبا — تتخللها سلاسل من التلال . وتوجد في أماكن قليلة متباعدة عيون غزيرة تنبع من الأرض العراء ، فتخلق واحات خصبة مثل قرية «طبس» الجذابة الواقعة في وسط الحدايق الغناء والبساتين وأشجار النخيل . وقد راج القول بأن صحراوى دشت لوت ، ودشت كوير لا تعبران إلا بطريق واحد يمتد من يزد إلى فردوس ، ولكن عربات النقل الثقيلة والمركبات الحربية قطعت — في خلال السنوات الأخيرة — مسافات كبيرة من هاتين الصحراوين وإن بقايا خيام القوافل والقرى التي وجدت هناك لدليل واضح على أن هاتين الصحراوين كانتا — منذ زمن ليس بالبعيد — صالحتين لحياة الإنسان ، كما وجدت بعض آثار فراش خشن من صنع الإنسان ؛ حيث كانت القوافل في القرون الأولى تسلك هذه الممرات الصحراوية ؛ ومع ذلك ، فمن الثابت أن الكوارث كانت تحل بالقوافل ، فيخسر كثير منها ضحايا لنفاد إمدادات الماء في الصيف أو لأمطار الشتاء المفاجئة التي تحول سطح الأرض إلى مستنقعات زلقة ، وتعرض القافلة إذا ضلّت طريقها إلى أن ينساق رجالها وجالها إلى القشرة الملحية ، فإذا هم ينفذون منها إلى الوحل الذي تحتها فيأسرهم فلا يستطيعون منه خلاصا .

المنـاخ :

يكاد سقوط المطر في إيران ينحصر في أشهر الشتاء فقط — من نوفمبر إلى أوائل أبريل — وهو نتيجة لانخفاضات جوية تتحرك شرقا من منطقة البحر الأبيض المتوسط ، أما العواصف الرعدية الصيفية — المألوفة لنا — فنادرة تماما ، كما تنحصر الأمطار التي تحدث — أحيانا في وسط الصيف ، في رذاذ خفيف .

ومتوسط سقوط الأمطار على أغلب أجزاء الهضبة الإيرانية أقل من ١٢ بوصة ، أو ما يقارب مستوى الأمطار في ولاية نيفادا Nevada ، وتستقبل الأقاليم الصحراوية الواسعة والركن الجنوبي الشرقي للبلاد أقل من ٥ بوصات من المطر سنوياً ، ويستفيد الركن الشمالي الغربي بـ ١٥ إلى ٣٥ بوصة ، وتزرع هناك النباتات والمحصولات التي لا تحتاج إلى رى كثير على نطاق واسع ومع ذلك يزرع الفلاحون قدراً محدوداً من القمح الشتوى في المناطق التي تستقبل أقل كمية من الأمطار أملاً في أن يجلب الشتاء ثلاثة أو أربعة أمطار طيبة تنتج لهم محصولاً يستحق الحصاد ، وتحدث السيول الغامرة أحياناً ، وتتدفق هذه السيول بشدة من الجبال فتغمر الطرق ، وتخرب القرى وتقضى على المحصولات .

ويمثل ساحل بحر قزوين صورة تختلف تماماً عن الصورة السابقة لأن متوسط سقوط الأمطار هناك يتراوح بين ٤٠ و ٦٠ بوصة ، وتسقط الأمطار فيه طوال العام ، فتوجد هنالك المستنقعات الواسعة ، والغابات المملوءة بالأوراق الرطبة ، التي تساعد على انتشار الحيات التي يشتهر بها هذا الإقليم . ويقابل نزول الأمطار في الوديان نزول الثلوج على الجبال العالية ، وكثير من قمم الجبال العالية تظل متوجة بتيجان من الثلوج إلى أواخر الصيف . أما سقوط الثلوج الشديدة — في سهول الوديان فنادر تقريباً ، وتذوب الثلوج — عادة — في مدن مثل طهران واصفهان وكرمانشاه في خلال أيام قليلة ، ولا يسقط الثلج عادة — جنوبي خط يربط بين انديمشك وشيراز ويزد وقاين ، ويسقط — نادراً — على ساحل بحر قزوين . ولكن الممرات العالية التي تعترض الطرق الجبلية الرئيسية قد تسد أياماً — أو حتى أسابيع — في أواخر الشتاء . ويقفل طريق جالوس الذي يبدأ من طهران إلى بحر قزوين — عادة — ثلاثة أشهر في السنة .

وتتحكم كمية الثلوج الموجودة فوق الجبال العالية — في الهجرات الربيعية للقبائل الرحل ، إذ أن قطعانها لا تستطيع أن تخترق بعض الممرات حتى شهر مايو في كثير من الأحيان .

وتتمتع الهضبة الإيرانية بشتاء معتدل تماما ، وصيف حار ، فمثلا قد تصل درجة الحرارة في طهران في فترة تمتد أياما كثيرة متوالية في وسط الصيف إلى ١٠٠ درجة ، ولكن الليالي تكون معتدلة نسبيا . ونسبة الرطوبة في الصيف تبلغ ٢٠٪ تقريبا . ولا تصل درجة الحرارة في الشتاء إلى صفر إلا نادرا ، وهي — دائما — فوق درجة التجمد في وسط النهار ، وإقليم خراسان وآذربيجان أكثر اعتدالا في الصيف ، وأشد برودة في الشتاء . وتسود بعض الظروف الجوية الأقل احتمالا . منطقة رأس الخليج الفارسي ، والمنطقة الواقعة على امتداد شواطئه ، وفي الأقاليم الصحراوية التي في الجنوب الشرقي .

ومن المسائل المختلف فيها : هل الجو في عبادان (آبادان) وخرم شهر والاهواز أشد حرارة أم الجو في الصحاري ١٢٠ . . فقد وصل متوسط درجة الحرارة في المنطقتين إلى ١٣٠ درجة ، ولكن تمتاز المنطقة الواقعة في رأس الخليج الفارسي بأنها موبوءة بالرطوبة الشديدة . ويتدرج ساحل بحر قزوين من الدفء إلى الحرارة في أثناء السنة ، ويبلغ فصل المطر أقصاه في شهر يناير ، وتصل نسبة الرطوبة إلى ٩٠٪ ، بينما هي ٧٥٪ في شهر يولية . ويكون الانتقال من فصل إلى فصل في إيران مفاجئا تماما .

وأول يوم من السنة الإيرانية هو ٢١ مارس ، وفيه تمتلئ أشجار الفاكهة بالبراعم ، وتتغطى الحقول بنبات القمح الأخضر الجليل ، ثم تأخذ البساتين في الازدهار ، وتتغطى سفوح الجبال بالزهور البرية . فإذا أقبل الصيف أخذت حرارته تحرق الأزهار وتميتها ، أما الخريف فلا تدل عليه الألوان الزاهية ولا الضباب الخفيف المعروف في صيف الهند ، بل يحدث فيه انتقال سريع من الصيف إلى الشتاء .

والقاعدة الغالبة في إيران هي صفاء السماء في أكثر الأيام ، فالسما تظل غير ملبدة بالغيوم مدة تزيد على نصف السنة ، ويوجد حوالي خمسين يوما فقط — في كل سنة — تسود فيها العواصف الشديدة المظلمة ، وتهب الرياح القوية في فترات معينة ، وهي تملأ الجو — غالبا — بسحب من الغبار . وتهب الرياح الصيفية بانتظام — في جنوب شرقي إيران — في فترة تمتد بضعة أسابيع ،

وتتجاوز سرعتها ستين ميلا في الساعة ، وتستغل قوتها في إدارة طواحين الهواء ،
لطحن محصول القمح المحلي .

ويخاف الإيرانيون برد الشتاء أكثر من حر الصيف ، لأن السفر والنقل
قد يتوقفان تماما ، ولأن الفلاح يضطر إلى الاحتفاظ بتموينه الغذائي
المحدود ، يضاف إلى ذلك سبب أكثر أهمية وهو أن البرد لا يمكن أن يعالج
بنظام ثابت للتدفئة . وتتجه جميع المنازل بمختلف أحجامها — نحو الجنوب حتى
تشرق شمس الشتاء المحببة — التي قد تكون أحيانا دافئة جدا — في الحجرات
الرئيسية من المنزل .

وأنواع الوقود تارة باهظة الثمن ، ولا توجد في القرى والمدن أية وسيلة
لتدفئة المنزل كله ، ولذلك تستدفي " الأسر باستعمال " كرسي ، وهو عبارة عن
موقد فيه فحم نباتي يشعل ببطء ، يوضع فوق الأرض تحت منضدة دائرية
أو إطار يرتفع عنه حوالى قدمين ، وتفرش ألحفة العائلة فوق المنضدة —
بحيث تكون دائرة يبلغ اتساعها حوالى ثلاث أو أربع ياردات حول الموقد .
ويضطجع أفراد العائلة في أثناء النهار ، وينامون أثناء الليل تحت هذه
الألحفة ، مادين أجسامهم نحو موقد النار في صورة دائرة ، تاركين رؤوسهم
غير مغطاة لتعرض وحدها لهواء الحجرة البارد .

الفصل الثانى التاريخ

إيران فى عصر ما قبل التاريخ :

إن تقدم الإنسان منذ ظهوره كنوع من الكائنات منذ أقدم الأزمنة حتى الوقت الحاضر يمكن أن يوضح على مقياس رسم طوله خمسون بوصة تمثل كل بوصة منها ١٠.٠٠٠ سنة . ووفقا لهذا المقياس ، أصبح الإنسان زارعا عند النقطة التى تشير إلى ٤٩١ ١/٢ بوصة ، وتعلم الكتابة عند نقطة ٤٩١ ١/٢ بوصة وبلغ الثقافة والحضارة التى بلغهما أيام الدولة الأكمنية عند نقط ٤٩٣ ١/٢ بوصة وأغلب المادة التى سنذكرها فى هذا الفصل تتعلق بالربع بوصة الأخير على هذا المقياس ، وبجهاد الإنسان الطويل ضد نفسه ، وضد زملائه ، وضد الطبيعة . ولكن ينبغى أن نذكر شيئا عن فترة ما قبل التاريخ الساحرة ، وهى الفترة التى سبقت التسجيل والتدوين .

كان الرجال فى فترة ما قبل التاريخ — فى العصر الحجري^(١) — صيادين ، فصنعوا أسلحة وآلات خشنة ، ومارسوا الصيد الذى تعتمد عليه حياتهم ، واحتموا بالكهوف ، وكان سكان أية رقعة قليلين ، فكان عددهم يتناسب مع عدد الحيوانات الموجودة فى تلك الرقعة ، وكاد الموت يهددهم جوعا على الدوام .

ومن المحتمل أن بعض الجماعات البشرية تحركت داخل مناطق محدودة ، ولكن ضغط الجوع أدى بهم إلى هجرات أوسع ، ويبدو أنه حدث اختلاط كبير فى الأقاليم الواسعة منذ عصور قديمة جدا ، وكان التطور فى الشرق الأوسط — فى أثناء العصر الحجري — أسرع وأسبق منه فى أوروبا .

(١) يسمى هذا العصر The Paleolithic or Stone Age (الترجم)

وقد أدت ثلاثة اكتشافات حيوية إلى تغير ملحوظ في أسلوب الحياة ، وربما في النظم الاجتماعية أيضاً ، وهذه الاكتشافات هي : إدخال الزراعة ، واستعمال المعادن ، والتعاشيش الجماعي — ومن المرجح أن أفراد الشعوب البدائية ظلوا مدة طويلة يجمعون النباتات البرية كالأرز ، والقمح ، وجذور النباتات ، ولكن الخطوة الحاسمة التي خطوها بعد ذلك كانت ، حينما جمعوا الحبوب بعد حصادها في الخريف ، واحتزنوها — لأول مرة — ثم زرعوها في الربيع التالي .

وقد أدت هذه السيطرة على وسائل الحياة ، إلى تحركات المجموعات البشرية من الجبال الأكثر ارتفاعاً ، إلى السهول المستوية — في أسفلها — حيث يصلح السطح المستوي للزراعة ، وهو تغير عظيم خلقت الطبوغرافيا كلاً من وسائله وبواعثه . وكانت الحبوب البرية مثل الحب الوحشي الذي تولد منه القمح — والذي — لا يزال يزرع في إيران من المزروعات المألوفة لا في أحواض الأنهار الكبيرة في الشرق الأدنى ، بل في منحدرات الجبال ، وكذلك كان نضال الإنسان ضد الظروف المحيطة به ، واستجابة الظروف لهذا النضال ، أقوى في التلال الباردة منه في السهول الحارة . فلم تلبث الحقول المزروعة أن أحاطت بالمستعمرات المسكونة ، ولم يلبث السكان أن استأنسوا الحيوانات في نطاقها ، ولم يلبث هذا الأسلوب الجديد للحياة الجماعية أن أدى إلى تغيرات في الصلات الاجتماعية بين الأفراد وبين الجماعات .

ومعلوماتنا قليلة عن سكان إيران الأولين — في عصر ما قبل التاريخ — وقد سموا حينذاك القزوينيين أو القوقازيين ، ويميزاتهم الجسمية والجنسية ليست واضحة تماماً رغم أن بين أيدينا مادة دقيقة تتمثل في شواهد قائمة ؛ هي النقوش البارزة المنحوتة في الصخر في كورانيجون في جنوب غرب إيران ، والتي يرجع تاريخها إلى حوالي ٢٥٠٠ ق . م . وهي تشتمل على منحوت واضحة لوجوه أربعين شخصاً تقريباً من هؤلاء السكان .

ويظن أن القزوينيين اكتشفوا الزراعة قبل عام ٥٠٠٠ ق . م . وأنهم بدأوا يزرعون الأرض التي سميت إيران فيما بعد .

وقد أنتجت الزراعة طعاما أمكن الاعتماد عليه أكثر في التكوين وتيسير العيش ، ولا بد أن السكان قد زادوا تبعا لذلك ، وانهم انساحوا في الأرض وانتشروا في مناطق فسيحة منها .

وقرب نهاية العصر الحجري الحديث — عصر الآلات الحجرية المصقولة^(١) — تناثرت القرى الكبيرة فوق السهول المنبسطة وكانت كل مستعمرة سكنية مملوءة ببيوت مزدحمة متقاربة ، ولم يكن هناك نظام منسق للشوارع والطرق .

ومن المرجح أن الأسلحة والأدوات البرونزية والأدوات الأخرى قد صنعت بكميات كبيرة بعد عام ٣٠٠٠ ق . م . نظرا لكمية البرونز التي استخرجت من الاكتشافات الأثرية .

ويقوم بالاكتشافات الأثرية للأماكن القديمة في إيران علماء الآثار الفرنسيون في سوس ونهاوند ، وسريل ، وأسد آباد ، وبالقرب من كاشان ، والبعثة السويدية في جرجان والمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو بالقرب من برسبوليس ومتحف جامعة فيلادلفيا ، ومتحف كانساس سيتي (Kansas City) في دامغان ، والمعهد الإيراني في جرجان وفي لورستان ، وقد تمت أعمال قيمة في ميادين التنقيب والاكتشاف ، وفسر ارنست هرتسفلد (Ernest Herzfeld) وسير أورل شتين (Sir Aurel Stein) الكتابات المتعلقة بعصر ما قبل التاريخ .

وتظهر مواقع المستعمرات القديمة كأنها ربي بارزة ، يبلغ ارتفاع بعضها حوالي ١٠٠ قدم ، وتوجد منها آلاف كثيرة في إيران . وقد تأسست هذه المستعمرات الأصلية على السهول المنبسطة أو على ارتفاع طبيعي يسير . وسقطت البيوت المبنية من الطين بفعل الأمطار الغزيرة ، وبُنيت على انقاضها — بعد تسويتها — منازل جديدة ، وألقي فائض الانقاض في الطرق الضيقة ، وبذلك ارتفع مسطح هذه الطرق ، وهكذا أخذ ارتفاع المستعمرات عن الوديان يزدان تدريجيا على مر القرون ، وكان استيطان أي مكان ينتهي متى صارت المساحة

(١) يسمى هذا العصر Neolithic period (المترجم) .

التي على قمة رابية اصطناعية صغيرة جدا ، أو إذا هلك سكانه في الحروب ، أو بسبب الكوارث الطبيعية ، ثم تهب الرياح حاملة التراب والرمال ، فوق المكان المهجور ، فتعلوه الخضرة وتغطي آثار سكنى البشر . ولكن ما زالت الأمطار الغزيرة تكشف باستمرار عن قطع الخزف والخواتم ، والأشياء الصغيرة الأخرى إلى أسفل الرابية لتبين مدى وجود هذه المستعمرة القديمة ، وتاريخ كيانها بالتقريب .

ويبدأ التنقيب في المكان الذي يقع عليه الاختيار عند قمة الرابية ، حيث يستكشف جزء محدود منها ، أو تستكشف المساحة كلها بالتدرج ، ونظام الحفر شبيه بقطع مجموعة من الشرائح الأفقية ، ثم يسجل عن كل شريحة الوضع العمودي ، والتصميم المحلى لكل بناء — أو أى شئ آخر — ليكون من المتيسر أن تلاحظ التغيرات الواضحة في البناء ، وفي نماذج الفخار والأشياء الأخرى ، ويمكن أن يعبر عن المسطحات الأفقية الواضحة بحرف أو رقم مميز ، ويساعد تشابه المسطحات في الأماكن المختلفة على إثبات وجود نظم حضارية عامة أو على بيان التأثيرات التي انتقلت من منطقة إلى أخرى ، كما يسمح هذا الأسلوب الخاص بالمقارنة بين المسطحات بتقدير تواريخ العصور السابقة على تواريخ السجلات المكتوبة .

وتشتمل الأشياء الموجودة في أى موقع قديم على آلات وأدوات للزراعة والنسيج ، وأختام وتعاويز ، ولعب للأطفال ، وقطع من الفخار . ويمدنا الفخار الموجود بكميات كبيرة — في كل موضع — بمعلومات حاسمة ، وتقدم لنا رسومه وأشكاله حقلا خصيبا للتأمل والدراسة .

وكان أقدم فخار مصنوعا باليد ، ولكن عجلة الفخار استعملت بعد ذلك ، ويوجد اختلاف كبير — في الحجم والشكل — بين الأواني المستخرجة ؛ وقد وجدت في القبور قطع من الفخار كان كثير منها من الرقة وسهولة الكسر بحيث تتعذر ملامتها للاستعمال اليومي ، مما يرجح أنها إنما صنعت لمجرد سد حاجات الميت في القبر وفي الدار الآخرة ، وقد زينت الأواني المطلية باللون الأحمر

أو الأسود بنماذج هندسية ، وبصور حيوانات رشيقة ، وفي أحيان نادرة بصور كائنات بشرية ، وقد صورت الحيوانات المنتشرة في الإقليم بمهارة مدهشة ، ومن الطريف حقا ، أن نلاحظ أن فناني القرية استطاعوا أن يرسموا أحيانا صورا طبيعية لهذه الحيوانات بطريقة فنية بديعة ، تصور فيها هذه الدواب بوجوهها الجانبية فتبدو أشبه بالصورة التي أبدعها الخالق ، أكثر مما تبدو كنسخة مستعمدة منها .

ومن الممكن أن نقول إن كل النماذج الهندسية المستعملة على الخزف كان لها معنى رمزي في أذهان الفنانين والناس الذين عاشوا في العصر الذي صنعت فيه وأنها تمثل بجهودات الإنسان لإدراك معنى العالم ، وشغفه بما حوله ، وخوفه من الطبيعة ، ولما كان الإنسان يعتمد على الجو الملائم للحصول على الغلات التي يقتات بها ، فقد رمزت كثير من رسوماته إلى القوى الطبيعية الممثلة للجو ، أو كانت تحويرا للرمز إلى ما يشبه صورة الحيوان ، فمثلا : القمر مقترنا بالمطر يرمز له بهلال ، ويمثل الهلال بقرون الوعل المنحنية ، وقد صورت رموز أخرى تمثل الشمس والمطر الهاطل ، وبركة كبيرة ، وشجرة نضيرة فوق قمة جبل ، وبيّنت الرموز — أيضا — العقائد الدينية المنتشرة ، والخرافات والأساطير التي استقرت في أذهان الناس تماما بحيث توارثتها الأجيال ، وسجلتها في النهاية عن طريق الكتابة .

إيران قبل الأكمنيين :

هاجرت طائفة واحدة — على الأقل — من الطوائف التي سكنت طويلا في الهضبة الإيرانية من موطنها القديم إلى موطن آخر ، فقد انتقل الكاز (Kassites) من إقليم لورستان في غربي إيران إلى بابل في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وحكموا هذه البلاد ستمائة سنة ، وقد بدأت فترة حكمهم بالانتقال من استعمال البرونز إلى استعمال الحديد ، وقامت إمارات ودول مركزية في إقليم مان (Man) في الركن الشمالي الغربي من الهضبة ، وفي سوس مركز العيلاميين الذين حكموا فترة وجيزة بعد هزيمة الكاز ، ويرجع تاريخ أقدم كتابات للعيلاميين

إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، ثم قامت مملكة أوراتو (Uratu) في الإقليم الذي عرف أخيرا باسم أرمينية ، وإذا كانت المواطن المرتفعة هي التي سبقت إلى تطوير الزراعة ، والحياة الجماعية فإن سكان السهول فيما بين النهرين قد ارتفع شأنهم باختراع الكتابة ، وتنظيم القوانين ، وإنشاء الأبنية الأثرية .

وظهرت في هذه المنطقة الإقليمية بعد ذلك سلالة جنسية أخرى هي الآريون الذين قدموا إليها في موجات متلاحقة ، فجاء — أولا — الآريون الهنديون الذين تحركوا حوالي عام ١٥٠٠ ق . م . من إقليم نهري سيحون وجيحون إلى جنوبي الهضبة الإيرانية وغربها ، ثم أقاموا في أقصى الغرب حيث تغلبوا على مملكة ميتاني (Mittani) .

ثم جاء الإيرانيون في حوالي ٩٠٠ ق . م . وقد عاش هؤلاء القوم أولا في جماعات مستقرة ، ثم أخذوا في حياة البداوة والتجوال واستمروا فيها فترة طويلة حتى انتهى بهم الأمر إلى تأسيس القرى في إيران ، واتخذوها موطنًا لهم وكانوا يتحدثون لهجة هندية أوروبية (Indo-European) ؛ ولكن المعروف عن خصائصهم الجنسية قليل ، ومن المظنون أنهم حلوا تماما محل الساكنين الأولين للهضبة الإيرانية ؛ ولكن هناك احتمالا يسيرا في أن بعض القبائل البدوية الموجودة في إيران حاليا ، إنما تفرعت من السكان الأصليين الذين كانوا يعيشون فيها .

واشتمل الإيرانيون على طوائف الميديين والفرس والبارثيين والباكتريين (Bactrian) (أهل بلخ) والسغديين و«الساكا» والسيديين (Scythians) وقد استقر الميديون في غرب إيران ، وأصبحوا هم والفرس في الجنوب خاضعين — في البداية — للدولة الآشورية ، ولذلك فإن معلوماتنا عنهم تستمد جميعها من الكتابات الآشورية ، وسرعان ما اشتد ساعدهم ، وأثبتوا استقلالهم ثم قهروا آشور ، ولكن تفاصيل هذه الأحداث غير موجودة لأنها لم تدخل ضمن السجلات الآشورية .

وكانت اكباتانا — همدان الحالية — عاصمة الميديين ، وقد حطم
سياكزارس (Cyaxares) ملك ميديا من ٦٢٥ إلى ٥٨٥ ق . م . قوة آشور
تماما ، ووسع ملكه حتى شمل جزءا كبيرا من آسيا الصغرى .

ويوجد وصف جذاب لأكباتانا عاصمة الميديين ولقصورها الخرافية
في كتب المؤرخين الاغريقين هيرودوت وبوليبيوس ، ولكن قلة النصب
الاثريّة القائمة الباقية من هذه الفترة تجعل من الضروري التأمل في بناء المدن
والمعابد والمنازل ، وفي متناول أيدينا مصدران نستمد منهما هذه المعلومات :
أولا : توجد صور واضحة منحوتة لمدن وأبنية ، قدت في البروزات الحجرية
التي كانت أصلا في قصر سارجون (Sargon) في خورس آباد (Khorsabad)
وتساعد المعلومات المكتوبة عن الحملة الثامنة لسارجون ملك آشور — التي
وجهت ضد الشمال الغربي من إيران في ٧١٤ ق . م . — على فهم هذه النقوش
البارزة ، ومن بينها القرى المحصنة بالحنّادق ، والأسوار الشاخنة ، وقد صور
معبد خالديا (Khaldia) في قرية موساسر (Musasir) بواجهة مكونة من ستة
أعمدة وسقف مثلث ، وتعرض مدينة أخرى أبنية مستطيلة بنيت من الأحجار
السوداء والبيضاء على التعاقب .

والمصدر الثاني للمعلومات هو القبور المنحوتة في الصخر الخاصة بالعصر
الميدى ، وفن البناء في هذه المقابر يتمثل في دهليز من الأعمدة كما هو مشاهد
في المقابر الموجودة في سربل الذي يسمى دكان داود ، والقبر الذي في نخريقا
(Fakhriqa) والقبر المسمى ده ودختر .

ونموذج البناء في هذه المقابر هو فعلا نسخة من صور المنازل ، غير أن
الأجزاء والعناصر المألوف اتخاذها من الخشب قد أخذت فيها من الحجارة .
وهناك شواهد أقل تأكيدا — ترجح أن المنزل الذي يشبه البرج كان معروفا
في أثناء ذلك العصر .

وأكثر الآثار الفنية شهرة مما خلفته هذه القرون الطويلة آثار لورستان
البرونزية التي سميت كذلك لنسبتها إلى هذا الإقليم الجبلي في غربي إيران ،
وقد استزعت اهتمام العالم منذ ١٩٢٩ — واستخرجت بعد ذلك بكمية كبيرة
من القبور القديمة ، وهي تعرض في كل متحف مهم تقريبا .

وكانت القطع القديمة مصنوعة من النحاس الأحمر المطروق في صور تشبه صور الفخار المحروق ، ويرجع تاريخها إلى حوالي ٢١٥٠ ق . م . عندما كان السكان يعيشون في هذه المنطقة ، وتعد القطع المتأخرة أمثلة رائعة لفن سبك البرونز وصبه في قوالب ، وقد كثر إنتاجها في المدة ما بين ١٤٠٠ و ١٠٠٠ ق . م . واستمر حتى العصر الآكمني . وتشتمل نماذج البرونز على قووس وخناجر ، ومسنات ، ومقابض ، وزينات للخيل — خصوصا لقمة اللجام وخواتمه — وحيوانات صغيرة ، وأساور ، وأقراط ، ودبابيس للملابس ، والتعاويز . وتعرض جميع القطع تقريبا صور الحيوانات إما في بروز أو تجسيم ، وتبدو فيها مسحة صادقة من الحقيقة والحيوية . والأسلحة مزينة بزينا بديعا ولها نصل تدل أشكالها على أنها لا تصلح للاستعمال وأنها لم تستعمل إطلاقا ، وإنما صبت كذلك لتستعمل في بعض الطقوس والمراسم .

العصر الآكمني (١) :

استقرت طائفة أخرى كانت وثيقة الصلة بالميديين في إقليم فارس ، وانتشر أفرادها في سهول عيلام باعتبارهم حكاما من قبل الميديين ، وأصبح رؤساء هذه الطائفة التي تعرف باسم الآكمنيين السادة المسيطرين على هذا الإقليم الذي كان يعرف باسم « أنشان » (٢) أو فارس . وفي عام ٥٥٣ ق . م . ثار قورش (٣) نائب الملك في فارس أو پرسيس ، وأسقط الحاكم الميدي أستياجس (Astyages) ثم أعقب ذلك اتحاد وثيق بين الميديين والفرس ، وسرعان ما استخدم جيشا مكونا من هذه الجماعات القبلية الناهضة في سلسلة من الغزوات الناجحة التي انتهت بتكوين أول امبراطورية كبيرة في العالم .

وقد تقدم قورش إلى آسيا الصغرى حيث هزم الملك الميدي كروزوس (Croesus) ذا الثروة الخيالية ، وسيطر — في حوالي ٥٤٦ ق . م . — على أرمينية

(١) المراجع : يعرف الآكمنيون في المصطلح الفارسي باسم « هخامنشيان » أو « شاهان هخامنشي » .

(٢) المراجع : يكتب في الفارسية « انزان » .

(٣) المراجع : يعرف في الفارسية باسم « كوروش » .

وآسيا الصغرى والمستعمرات اليونانية التى على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ثم رجع إلى اكباتانا — همدان الحالية — المركز التجارى للدولة الأكمنية الجديدة ، ثم قاد جيشا إلى الشرق ليغزو الأقاليم التى هناك مثل بارثيا (Parthia) وخورازميا (خوارزم) (Chorasmia) وباكتريا (بلخ) (Bactria) ، وفى ٥٣٩ ق . م . حاصر بابل العظيمة ، واستولى عليها فى النهاية بواسطة تحويل مجرى نهر الفرات ، وأرسل بعض اليهود والمحبوسين هناك — فى المنفى — إلى فلسطين .

ولم يكن قورش المتوفى فى عام ٥٢٩ ق . م . بطلا عالميا ومنظما إداريا ماهرا فحسب ، بل كان — أيضا — أول من أظهر روح التسامح ، وهى صورة نموذجية للخلق الايرانى .

وغزا ابنه قمبيز^(١) مصر ، ثم جن فى النهاية ، وانتحر بالقرب من اكباتانا فى أثناء ثورة قام بها موبذ اسمه جوماتا (Gaumata) واعتلى جوماتا — وقد ادعى كذبا أنه أخو قمبيز — العرش مدة وجيزة ، ثم قتله رؤساء الأسر النبيلة . ثم عين دارا^(٢) قائد جيش المنتقمين — الذى نبت من فرع آخر من الأسرة الأكمنية — ملكا فى ٥٢١ ق . م .

وقد أخذ — أولا — موجه من العصيان كانت قد سادت فى الدولة ، ثم عبر البوسفور فى ٥١٢ ق . م . واستولى على تراقيا (Thrace) ، ثم عبر الدانوب ولكنه انسحب قبل تدعيم هذه المغامم ، لأن المساعدات التى قدمت من الولايات اليونانية الأصلية فى اليونان للمستعمرات اليونانية الثائرة فى آسيا الصغرى دفعته إلى الحرب من جديد ، فقام بحملتين على بلاد اليونان فى ٤٩٢ و ٤٩٠ ق . م . انتهتا بموقعة ماراثون (Marathon) وبانسحاب الجيش الفارسى إلى آسيا الصغرى .

وخلف اكزرسيس^(٣) الأول (Xerxes) أباه دارا فى عام ٤٨٥ ق . م .

(١) المراجع : يعرف فى الكتب الفارسية باسم (كبوچيه) .

(٢) » » » » (داریوش) .

(٣) » » » » القديمة باسم «خشیارشا» .

فقاد حملة ثالثة ضد اليونان مكونة من ٩٠.٠٠٠ جندي يساعدها أسطول ضخيم بلغت هدفها بالاستيلاء على أثينا وحرقتها في ٤٨٠ ق. م. ولكنه انسحب إلى آسيا الصغرى بعد هزيمة الأسطول الفارسي في موقعة سالاميس (Salamis) وهزيمته في موقعة بلاتيا (Platea) وقد استمرت العمليات الحربية بعض الوقت ، ولكن الأكمنيين أقاموا مع ذلك علاقات أكثر ودا مع الولايات والمستعمرات اليونانية .

وخلف أرتاكرسيس^(١) الأول أباه في ٤٦٥ ق. م. وحكم حتى ٤٢٤ ق. م. وظهرت بوادر الاختلال الداخلي للدولة في الثورات التي اشتعلت في مصر والأقاليم الأخرى ، وظلت كذلك حتى مدة حكم أرتاكرسيس الثالث ، الذي حكم من ٣٥٩ — ٣٣٨ ق. م. واستطاع أن يعيد حدود الدولة إلى حالتها الأولى لمدة وجيزة ، ثم دالت الدولة في النهاية في عصر الملك الجبان دارا الثالث . وأغلب معلوماتنا عن تاريخ إيران في العصر الأكمني ، وعن تفصيلات النظم السياسية ، والجيش ، وحياة الناس ، مأخوذ عن المؤرخين اليونانيين ، خصوصا عن هيرودوت^(٢) .

وقد قسمت الدولة إلى عشرين ولاية — أو محافظة — كل واحدة منها تحت حكم وال أو مرزبان ، وكان الولاة ينحدرون من الأسر الفارسية النبيلة ، وكانت وظائفهم أقرب إلى أن تكون وراثية ، وقد استمر النظام الذي أسس في ذلك العصر سائدا في إيران حتى نهاية القرن التاسع عشر . وهو يقوم على أساس حاكم مطلق يخضع له جماعة من الحكام شبه المستقلين .

وكان الجيش مقسما إلى ست فرق ، تضم كل فرقة منها ٦٠.٠٠٠ جندي ، وتتكون كل فرقة من ست كتائب ، كل كتيبة منها ١٠.٠٠٠ جندي — وكان الفرسان يركبون خيولا مرباة في ميديا ، ويتسلحون بالقوس والنشاب .

(١) المراجع : يعرف في الفارسية القديمة باسم « ارث خستر » وفي الكتب الفارسية باسم « أردشير أول » .

(٢) لم يخل ما كتبه هيرودوت من المبالغة والقدح في الإيرانيين ، لأنه كان يكرههم كغيره من اليونانيين لخرقهم أثينا (المترجم)

وكان حرس الملك الخاص يتكون من ١٠,٠٠٠ جندي يعرفون باسم « الخالدين » لأنهم كانوا من نسل الأسر الحاكمة في ولاية فارس الأصلية . وكانت الولايات متصلة بواسطة الطرق التي كان أهمها الطريق الملكي^(١) ، الممتد من السوس إلى مدينة سرديس عبر ما بين النهرين وآسيا الصغرى ، وهي مسافة تبلغ ١,٥٠٠ ميل ؛ وكان الرسل والمسافرون يستعملون طريقة البريد ، فيركبون خيولا قوية يستبدلون بها بخيول جديدة في محطات كثيرة على طول الطرق . وقد ازدهرت الزراعة ، وطبقت العدالة بدقة ، وسمح للجماعات البشرية المقيمة داخل حدود الدولة بالاحتفاظ بدياناتها الأصلية غالبا كما سمح لأسرها الحاكمة بالاستمرار في حكمها .

أما الضرائب فقد انتقلت من صورتها النوعية التي كانت معروفة في العصور القديمة إلى قوانين منظمة مع توحيد الدفع بالدريق الذهبي (Daric) ، وكانت سوس وبابل وإكباتانا أهم المراكز الحكومية ، ومقر القصور الملكية ، بينما كانت پرسبوليس العاصمة الروحية للدولة .

ويبدو أن الطبقة الأرستقراطية الحاكمة قد حافظت على روحها الحربية ، ولكن سرعان ما حلت الأساليب الشرقية في الحياة والفكر ، وهي التي اقتبسوها من إقليم ما بين النهرين المتحضر جدا ؛ محل عاداتها القبلية القديمة . وقد لاحظ هيرودوت هذا الميل من الفرس نحو اقتباس الأساليب الأجنبية والتأثر بها حينما كتب يقول : « ولا يوجد شعب يقبل العادات الأجنبية باستعداد تام مثل الفرس ، وهم إذا سمعوا بأى نوع من أنواع الترف فإنهم يجعلونه — في الحال — خاصا بهم » .

والعقيدة السائدة — في الوقت الحاضر — هي أن الأكمنيين الفرس كانوا برابرة إذا ما قورنوا بالإغريق المتحضرين عقيدة خاطئة ، لأننا نعلم ان قورش كان يحتقر أخلاق اليونانيين التجارية ، كما أنه من الواضح أن ولايات الأكمنيين تفوقت على المدن اليونانية كثيرا في ميادين الإدارة العامة ، والنظم السياسية ، واستقرار الحكم والتسامح فيما يتصل بالجنس والعقيدة .

(١) المراجع : أى الطريق الرئيسى ويعرف في الفارسية باسم « شاه راه »

وقد كتبت وثائق الأكيمين المنحوتة في الصخور، أو المثبتة على القوالب الطينية بثلاث لغات كانت مستعملة في عصرهم هي : الفارسية القديمة ، والعلامية ، والبابلية .

وترجح الأبحاث الحديثة أن الوثائق الرسمية كانت مسجلة بلغة فارسية قديمة مكتوبة بخط آرامي ، في حين أن اللغة الفارسية القديمة — التي سجلت بها النقوش التي على الصخور — كتبت بحروف مستعارة مكونة من رموز سمائية ، وقد كانت اللغة الفارسية القديمة — في أبسط صورها — عضواً في الشعب الهندية لأسرة اللغات الهندوأوروبية الكبيرة ، وكانت لغة الزند أو لغة الأفاستا — وهي لغة النصوص الزردشتية القديمة — وثيقة الصلة بها .

وقد اقتصرَت الكتابات الملكية على تسجيل سلسلة نسب الملك ومذهبه الديني وأسماء الولايات ، وإخماد الثورات ، وبيانات مفصلة عن بناء القصور الملكية ، ويمكن أن نعلم شيئاً عن خصائصها من هذه الفقرة المنقولة من نقش دارا الطويل ذي اللغات الثلاث المحفور على وجه صخرة بجبل إيستون ، وهو : « أنا دارا بن هستاسيس الأكمني الفارسي ابن الفارسي ، الآري المنحدر من أصل آري ، الملك العظيم ، ملك الملوك ، وملك البلاد المسكونة بجميع الأجناس ، ملك الأرض العظيمة المنبسطة منذ مدة طويلة » .

وقد شاهد العصر الأكمني ظهور ديانة تهدف إلى إبدال الآلهة الوثنيين الذين يحسمون القوى الطبيعية والعواطف البشرية بنظام شامل يقوم على أساس الصراع الدائم بين الخير والشر ، وكانت هذه الديانة التي بشر بها زارثوسترا^(١) (Zorathushtra) الذي يسمى حديثاً باسم زردشت . وقد ولد في ميديا ، وأغلب الظن أنه عاش في القرن السادس قبل الميلاد ، وعقيدته هي العقيدة التي صارت الديانة الرسمية لدارا وأكزرسيس وأرتكزرسيس الأول ، وتؤمن الديانة الجديدة بآهورامزرا — على أنه إله الخير وتسمى نسبة إليه

(١) المراجع : يكتب هذا الاسم على جملة صور بالفارسية لعل من أكثرها قبولا « زردشت » أو « زرتشت » .

بالديانة المزدية — ويقترن الخير فيه بالصدق والنور أيضا ، وهو الذى قرر خلود الروح ، والحساب فى يوم القيامة .

وكانت هذه العقائد مجردة جدا ؛ فلم تستطع أن تبقى بدون تغيير ، فلم تلبث أن تغيرت باتحادها مع آلهة الإيرانيين القدماء من ناحية ، وباختلاطها بالطقوس الدينية لطائفة المجوس الميذية من ناحية أخرى ؛ وقد أصبح رجال هذه الطائفة يتوارثون وظيفة السكينة فى هذا الدين الجديد المنتشر .

وتوجد — بين الآثار العديدة المتبقية عن الفترة الأكينية — القبور السبعة المنحوتة فى الصخور فى پرسبوليس^(١) ، وفى نقش رستم القرية منها ، وهى منحوتة فى واجهة صخرة عمودية مرتفعة ، وتشتمل على واجهات خارجية عالية ، تضم صفا من الأعمدة المبنية فى صورة جدول ، على أساس هندسى ، وخلقها حجرة أو أكثر ، وفكرة البناء قائمة على أساس واجهة منحوتة فى الصخر ، وتوجد نماذج قديمة لهذا النوع من البناء فى إيران وآسيا الصغرى . ويوجد قبر قورش فى بازارجاده^(٢) — فى سهل كثير الماء ، وهو بناء أثرى من الحجر مرفوع فوق إفريز من الأرض ، يشبه المنزل المستطيل ذا السقف المنحنى (جملون) ، وتوجد هناك — أيضاً — آثار عدة قصور ملكية منتثرة فى مكان كان فى الأصل حديقة مليئة بالأشجار ، وهذه الآثار مقسمة إلى وحدات ، كل وحدة منها تتكون من ساحة كبيرة مستطيلة ذات أروقة على جانب أو أكثر من جوانب البناء ، وحجرات صغيرة مربعة فى الأركان ، وهذه القصور تمثل شكل منزل مبنى من الحجر والخشب .

وموقع الآثار فى پرسبوليس هو خير ما عرف عن هذا العصر ، وإذا نظرنا إليه وجدناه ساحة مستطيلة تعتمد على جدر مبنية تبرز من الصخور ، وتشرف على سهل واسع خصيب — وقد بدأ دارا بناء هذه المساحة وأتمها اكزرسيس وارتاكزرسيس الثالث — ووجدنا مجموعة كبيرة من الدرجات الحجرية المزدوجة

(١) المراجع : تعرف فى الفارسية باسم « تخت جمشيد » .

(٢) المراجع : تعرف فى الفارسية باسم « تخت مادرسليمان » وتكتب أحيانا « باساركاد » .

تقود إلى الشرفة ، وبعد نهاية الدرجات تقف بوابة سائر البلاد التي بناها
أكزرسيس ؛ وهي مربعة في شكلها تضم في داخلها أربعة صفوف من الأعمدة ،
وأربعة أبواب تقوم على جوانبها ثيران مجنحة ذات رؤوس آدمية ، وإلى شرق
الباب وفوق مستوى الشرفة يبضع ياردات ، توجد «الآبادانا» (Apadana)
الكبيرة أو «صالة الاستقبال» ويوصل إليها بسلم مزدوج تحيط به — على الجانبين
— مجموعتان من الصور المنحوتة ببروز قليل على حجر البناء ، إحداهما تمثل
موكبا طويلا من رعايا الشعوب الخاضعة ، يحضرون الجزية التي يقدمونها
بمناسبة عيد الربيع الذي يقام سنويا في پرسبوليس ، وتمثل الأخرى أفراد
الحرس الملكي من الفرس والميديين وأهل السوس ، وكان يوجد قبل ذلك —
على كل جانب من جوانب الصالة الرئيسية — باب كبير ذو صفين من الأعمدة
يتكون كل صف منهما من ستة أعمدة ، وقد بنيت في كل ركن حجرة مربعة
أكثر متانة واستحكاما ، وتشتمل الصالة الداخلية الواسعة — التي يبلغ اتساعها
٢٠٠ قدم من كل ناحية — على ستة صفوف من الأعمدة ، في كل صف ستة
أعمدة ، ارتفاع كل منها ٦٥ قدما .

وإلى شرقی الآبادانا تماما ، توجد الساحة الشهيرة ذات المائة عمود ، التي
أحرقها الإسكندر الأكبر ، وتصميمها مثل تصميم الآبادانا ، غير أن الصالة
الكبيرة ذات عشرة صفوف من الأعمدة ، في كل صف عشرة أعمدة ، والنقوش
البارزة على الجوانب الحجرية للأبواب ، تمثل الملك — وأغلب الظن أنه
أكزرسيس — يعقد استقبالا ملكيا ، أو في صراع مظفر ضد الوحوش
الخرافية التي تمثل قوى الشر .

ومن الأبنية المهمة فوق الافريز — قصر شتوى صغير لدارا يسمى «تاجارا»
(Tachara) وكان محل إقامة الحريم ، فأقامت فيه ، زوجات دارا واکزرسيس ،
وقد أصلحه في العصر الحديث المكتشفون الذين اكتشفوا هذا الموقع ، كما
توجد الخزانة الملكية ، وقصر اکزرسيس المسمى «هادج» (Hadich) ، وقصر
ارتاكرسيس الثالث ، وبناء غير معروف ، من الجائز أنه كان قصر الملكة
الذي شيده دارا .

وتتكون الأبنية التي على الإفريز من ثلاث مجموعات رئيسية هي: الأبواب، وصلات الاستقبال والمساكن الخاصة، وقد بنيت أغلب الأبنية قريبة من بعضها البعض مع مراعاة يسيرة لشكلها الظاهري العام، وكانوا يجلبون العمال ومواد البناء — إلى هذه الناحية — من جميع أرجاء الدولة، وكانت التصميمات المعمارية، والنقوش البارزة خليطاً من الفن المصري، والفن البابلي، وفن آسيا الصغرى.

وكشف التنقيب في السوس عن آثار قصر كبير بدأ داراً بناءه، وأتمه خلفاؤه، وهذا القصر يشبه إلى حد كبير — بقاعاته الداخلية، وحجراته الضيقة وبعض أجزائه الأخرى — النماذج الآشورية والبابلية الأصلية.

وقد انعكس امتزاج الفن الآكيني بالفنون المجاورة وميله إلى التحرر في الصور المنحوتة في الحجرات للحيوانات، وفي رؤوس الأدميين المصنوعة من البرونز، وفي التماثيل الصغيرة المصنوعة من الذهب والفضة، لرجال يلبسون الملابس الإيرانية، وفي التماثيل الصغيرة لحيوانات مصنوعة من البرونز وغيره من المعادن الثمينة. وقد استعملت أشكال الحيوانات في أوضاع رائعة كأباد لأواني الشراب والكؤوس، وهي تدل على القوة والخيال، وتوجد أيضاً سلاطين من الذهب والفضة محلاة بالورد، وبراعم اللوتس (النيلوفر)، والأزهار. وحلى هذا العصر عبارة عن الأساور والقلائد والحلقان وقد بقيت لنا منها كميات كثيرة ممثلة بوضوح في المجموعة الشهيرة باسم (Oxus Treasury) وهي عبارة عن مجموعة من المجوهرات الذهبية والفضية المحلاة بالؤلؤ، والخطوط الزرقاء الجميلة، والأحجار الملونة، وأكثرها موجود الآن في المتحف البريطاني.

وقد بقي كذلك كثير من الاختتام الآكينية الأسطوانية، والأحجار التي تستعمل في الاختتام؛ وأكثرها قد نقش عليه مواكب العبادات الدينية، أو مناظر لطراد الحيوانات المفترسة وتوجد — أيضاً — نقود ذهبية وفضية أصدرها الملوك في المدة التي وقعت بين حكم دارا الأول ودارا الثاني، وتحمل

كل منها صورة الملك ، ويكون مسلحاً — دائماً — بقوس ، ويحمل في يده إما حرباً أو خنجرأ أو سهماً .

وقد كشفت التنقيبات التي قام بها المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو والحكومة الإيرانية — أخيراً — في پرسبوليس أشياء كثيرة لطيفة بين أنقاض الخزائن الملكية ، لوحظ من بينها الأطباق والطلاطين الحجرية والرخامية التي حملها — من مصر إلى إيران — الجيش الأكيني المظفر .

العهد السلوقي^(١) :

كتب على الدولة الأكينية أن يحطمها فاتح آخر للعالم هو الاسكندر الأكبر فكانت غزوته ذات تأثير بعيد المدى ، لأنها وضعت حداً للجد الشرقي القديم ، وحولته نحو الغرب .

وقد ولد الاسكندر بن فيليب — ملك مقدونية — عام ٣٥٦ ق . م . وبدأ في عام ٣٣٦ ق . م . في تنفيذ سياسة والده ، وهي تثبيت قواعد الحكم في بلاد اليونان ، ثم السير لغزو إيران على رأس جيش مكون من ٣٥,٠٠٠ جندي ، واستطاعت قيادته الرشيدة أن تقضي على جيش فارسي كبير بقيادة دارا الثالث قضاء مبرماً ، وذلك في موقعة أيسوس التي تقع إلى الداخل مباشرة من الركن الشمالي الشرقي للساحل السوري ، وقد هرب دارا عندما لاحظ أن تيار المعركة يسير ضده ، وسار الاسكندر بجيشه إلى أسفل الساحل ، وشق طريقه إلى قلب مصر ، ثم رجع عن طريق سورية ، ودخل ما بين النهرين وعبر الفرات ودجلة ، وقابل في دلدل ، جيشاً فارسياً جديداً يبلغ عدده عشرة أضعاف جيشه — فهزمه ، واضطر دارا الثالث إلى الهرب مرة أخرى .

ثم اتجه الإسكندر جنوباً ليستولى على بابل ، وتقدم إلى السوسن وپرسبوليس حيث استولى على الخزائن الملكية سليمة ، وأحرقت على يديه مدينة پرسبوليس ، وأغلب الظن أنها إنما أحرقت انتقاماً من إحراق أثينا الذي تم قبل ذلك بكثير بواسطة الجيش الأكيني . وفي ربيع ٣٣٠ ق . م . خرج

(١) المراجع : تكتب هذه الكلمة في الكتب الفارسية بالكاف بدل التاف .

الإسكندر لمطاردة دارا الثالث ، فتوجه أولا إلى اكباتانا ، ثم سار في المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال البرز ، ولم يلبث أن عثر هناك على جثة الملك الأكمني مقتولا بأيدي أتباعه .

وكان الإسكندر نادرا ما يتوقف لضبط الأحوال وتدعيمها داخل مملكته الجديدة الواسعة ؛ وكأنما كان مدفوعا برغبة ملحة في الوصول إلى نهاية العالم ، فتوجه هذا القائد الفاتح — رأسا — إلى بلاد غير معروفة تماما لليونانيين ، إلى أقصى الولايات الشرقية التابعة للدولة الأكمنية .

وكانت رحلة الاستكشاف التي قام بها الإسكندر تحمل — أيضا — طابع الرحلة العلمية ، فقد حفظ لها سجل دقيق ، يوضح خط السير ، والمسافات المقطوعة ومعلومات جمعت عن سكان الأقاليم الجديدة ، ونباتاتها ، وحياتها الحيوان فيها ، وأرسلت هذه الأشياء إلى بلاد اليونان .

وتزوج الإسكندر في باكتريا (بلخ) روكسانا أو روشنك وهي ابنة أمير بلخي . ثم اضطر إلى التوجه جنوبا بعد أن حاصره جيش من البدو ، وعبر في النهاية نهر السند ، وهناك رفض جنده المسير معه بعد أن ظلوا غائبين عن موطنهم في مقدونيا طوال مدة سبع سنوات ، واضطر الإسكندر إلى الموافقة على العودة ، وأبحر الجند في نهر السند ، ثم سار بهم عبر الأراضي البور القاحلة الممتدة على طول الخليج الفارسي حتى وصل إلى پرسبوليس .

فلما وصل إلى بازارجاده جذب قبر قورش اهتمامه بعد أن عبث به ، فأصدر الأوامر بجمع محتوياته ، وردها إليه ، وختم هو — بنفسه — الباب بخاتمه ، ليكون في ذلك ضمان لأن بظل القبر إلى الأبد سليما من الإغارة والعبث ، ولكنه لم يكف ينصرف عن هذا القبر حتى سرقت محتوياته مرة أخرى . وبدأ — في السوس — ينفذ فكرته التي تهدف إلى إنشاء دولة عالمية تتحد فيها العناصر المقدونية والإيرانية على أساس المساواة بينهما ، وكان صبغ الشرق بالصبغة اليونانية (الهيلينية) قد بدأ فعلا — بإنشاء المستعمرات اليونانية ، وقد أشار الإسكندر نفسه إلى كيفية إقامة اتحاد بين الشعوب حينما تزوج ابنة دارا الثالث الكبرى ، وشجع ١٠.٠٠٠ من جنوده على اتخاذ زوجات إيرانيات ، ونجاة —

وبينما كان عمره أقل من ثلاثة وثلاثين عاما — ابتلى بمرض الحمى في بابل ، ومات في عام ٢٢٣ ق.م. ووقعت المساحات الشاسعة التي فتحها بعزمه ومهارته في أيدي قواد جيشه ، وقسمت سريعا إلى جملة ملكيات كبيرة ، واتخذت الدولة السلوقية — التي احتضنت إيران — مدينة (سلوكية)^(١) على الجزء الأسفل من نهر دجلة عاصمة لها في البداية ، غير أن العاصمة نقلت بعد ذلك إلى أنطاكية في سورية ، وأهمات بذلك شؤون إيران ، وتقلصت قبضة السلوقيين عليها وسرعان ما نشأت دويلات محلية مثل دويلة فراتادارا (fratadara) في إقليم فارس ، وصارت البلاد معدة لظهور حكام جدد .

عهد البارثيين :

البارثيون^(٢) — الذين يعرفون في التاريخ أيضا باسم الأرشكيين (Arsacids) نسبة إلى ملوكهم الأول — كانوا في الأصل قبيلة من قبائل السাকা (Saka) تنتقل في منطقة تقع شرقي بحر قزوين ، ثم سيطرت بعد ذلك على إقليم بارثاوا (Parthava) الذي كان تابعا للدولة الأكمنية .

وقد قام أرشك الأول (Arsaces) (٢٤٨ — ٢٣٦ ق.م.) بثورة ناجحة ضد الحاكم السلوقي ، ودعم أرشك الثاني (٢٤٦ — ٢١١ ق.م.) استقلال المملكة الجديدة ، وقاوم أرشك الثالث (٢١١ — ١٩٠ ق.م.) المحاولات السلوقية لغزوها ، وبسط القائد العظيم ميثراداتس^(٣) الأول (Mithradates) الحكم البارثي على باكتريا (بلخ) وبارسا (فارس) (parsa) وبابل ، وخوزستان ، وميديا ، ولكنه سمح لحكامها بالاحتفاظ بعروشهم ، وتحطمت — في تلك الأثناء — القوة السلوقية ، لأنها سحقته بين القوتين الرومانية والبارثية ، وتورط البارثيون — بعد ذلك — في حروب طويلة ضد السيديين المقيمين على حدودهم الشرقية ، كما أن الهجرات

(١) المراجع : بالقرب من بغداد الحالية .

(٢) المراجع : يعرفون في الكتب الفارسية باسم « پارتيا » .

(٣) المراجع : يعرفون في الكتب الفارسية باسم « مهرداد أول » .

العديدة التي قامت بها قبيلة ساكا سببت لهم متاعب جمة ، أنهاها ميثراداتس الثاني^(١) (١٢٣ — ٨٧ ق . م .) الذي عزز القوات البارثية ، ووسع نفوذ البارثيين ؛ فامتد من الهند إلى أرمينية ، وهو الذي اتخذ لقب « ملك الملوك » .

وفي عهد فرايتس الثالث^(٢) (Phraetes) (٧٠ — ٥٧ ق . م .) بدأت سلسلة من الحروب مع روما على طول الحدود المشتركة ، وظلت هذه الحروب قائمة بصفة متقطعة حوالى ثلاثة قرون ، لأن روما كانت مصممة على التوسع نحو الشرق ، والاستفادة — أيضا — من توسيع نطاق التجارة ، والسيطرة على طريق تجارة الحرير الذي كان طرفه الغربى جميعه فى أيدي البارثيين ، وقد قاسى مارك أنتونى هزيمة نهائية فى موقعة فراماتا (Phraata) إلى الجنوب من بحيرة أورمية ، ولكن حملة تراجان (Trajan) الأخيرة ضد بارثا قد كللت بالنجاح .

وبعد انتصارات ميثراداتس الثانى عد البارثيون أنفسهم وارثين للأكمنيين فى الناحية السياسية ، فاستبدلوا حضارتهم الضحلة بحضارة راقية مستعارة هى فى أعلى صورها مزيج من الحضارة الايرانية والإغريقية (الهيلينية) وقد سمى أحد الملوك نفسه فيلهيائين (أى محب للإغريق) ، واختيرت الأساليب اليونانية فى الحياة ، كما اختيرت اللغة اليونانية — فى البداية — لغة رسمية .

وقد أنشئت — فعلا — أغلب المدن البارثية ؛ بما فيها طيسفون^(٣) العاصمة ، فيما بين النهرين ، وبذلك صارت إيران الأصلية تقع خارج الممر الرئيسى للنشاط التجارى والفنى .

وكان البارثيون يتكلمون لغة فارسية وسيطة ، كانت قريبة فى تركيبها من اللغة المستعملة فى نهاية العصر الأكمنى ، ويكتبونها بخط آرامى يسمى الخط البهلوى ، ولا زالت بين أيدينا — من أمثله — نقوش طويلة منحوتة

(١) المراجع : يعرف فى الكتب الفارسية باسم « مهرداد دوم » أى مهرداد الثانى .

(٢) المراجع : يعرف فى الكتب الفارسية باسم « فرهاد سوم » أى فرهاد الثالث .

(٣) المراجع : تعرف فى العربية باسم المدائن .

فى الصخر ، وعدد من النصوص البهلوية المكتوبة ، ولكن عيوب هذه الحروف البدائية تجعل قراءة ما كتب بها صعبة للغاية .

ويبدو أن البارثيين قد انحرفوا عن الأساليب المتأثرة بالهيلينية فى التفكير منذ القرن الأول الميلادى ، والدليل على اتخاذهم هذا الاتجاه الجديد اختيارهم الديانة المزدية ديانة رسمية للدولة وبذلك اكتسب المجوس شيئاً من القوة والعزة .

وقد بذلت أولى المحاولات لجمع التقاليد الدينية وتنسيقها فى المدة الواقعة بين عامى ٧٧٥٠ م ؛ كما أعد أول تفسير للأفستا بأمر من الملك البارثى ، ومع ذلك ، فإن تسامح البارثيين نحو جميع الأديان سمح للمسيحية بالانتشار فى الجزء الغربى من الدولة فى القرن الثانى الميلادى .

ولم يكن الفن المعمارى البارثى أصيلاً أو هاماً ، وتوجد جميع الآثار المعمارية المتبقية عن ذلك العصر غربى بلاد فارس الأصلية ، وهى تعكس صورة التأثيرات ذات الصبغة الهلينية ، وتأثيرات بلاد ما بين النهرين ، مع مزجها بأساليب الفن المحلى .

والآثار الباقية فوق سطح الأرض ، أو الأطلال المكتشفة ما زالت قائمة فى دورا يوروبوس (Dura — Europos) الواقعة على شاطئ نهر الفرات ، وفى هاترا (Hatra) وسلوكية (Seleucia) وآشور ، ونيبور Nippur ووارقة Warqa فى بلاد ما بين النهرين ، وفى فراءات داخل إيران . وتشتمل هذه الآثار على قصور ومنازل وأبنية دينية ، وقبور مشيدة من الآجر والأحجار ، والعنصر الوحيد الجدير بالوصف بين هذه الأبنية هو : الـ « ليوان » ، أو الإيوان ، وهو العنصر الذى صار علامة مميزة مهمة للفن فى إيران فى العصور الأخيرة ، وهو عبارة عن صالة مستطيلة فى صورة قبو ، له واجهة مفتوحة ، ومؤخرة مغلقة بواسطة حائط .

وتمثل الإيوانات البارثية والأبنية الأخرى المقبوة طور انتقال من البناءات ذات العمدات والأسقف — التى كانت سائدة فى عصر الأكينيين

والسلوقيين — إلى البنايات ذات القبو التي سادت في العصور التالية لهم
وكان الفن البارثي أكثر تحرراً من فن المعمار، ولذلك فإن اصطلاح الفن
البارثي، ليس له معنى دقيق محدد، والأشياء التي تخلفت عن هذا العصر
ووجدت في جهات مختلفة لا يربطها عامل مشترك. فمثلاً، توجد في متحف
طهران رؤوس بشرية عديدة منحوتة في الحجر واحدة منها هيلينية في أسلوبها
تماماً، وواحدة بوذية قطعاً، والرؤوس الأخرى إغريقية باكترية؛ ومن
الجائز أن الفنانين المهرة قد أحضروها إلى المدن المهمة في بارثيا من جميع أرجاء
الدولة، كما كانت الحالة في العصر الآكمني. وعلى العموم، فإن الفن في هذا
العصر كان يستعمل الأساليب الهيلينية بقطع النظر عن عناصرها الأصلية،
ودون محاولة لتقليد هذه الأساليب الغربية، وخلق أسلوب جديد مبتكر.

وقد بدأ الجص — وهو المادة التي تطورت كثيراً وراج استعمالها في إيران
في العصور المتأخرة — يستعمل على المباني في صورة أفاريز منقوشة بنقوش
هندسية، أو على صورة الزهور؛ كما راج استعمال خليط من الطين والرمل
في صناعة التوابيت والتماثيل الصغيرة المستعملة في الأغراض الدينية، وتعد
الأواني الفخارية الملونة باللون الأخضر المصقول، من الأعمال التي تفوقت
على مثيلاتها في العصور المتأخرة؛ أما النقوش الحجرية المثبتة على البناء فتعد
تقليداً مباشراً للنماذج الهيلينية.

وقد بقيت لنا الرسوم المنقوشة على الجدران، ودرس ما وجد منها
في دورا — يوروبوس بالتفصيل، كما درست النقوش التي وجدت في دكوه
خواجه، في سجستان، وهي إغريقية — باكترية في أسلوبها، ومن الواضح
أن تاريخها يرجع إلى القرن الأول الميلادي.

العصر الساساني :

دبر أردشير — في حوالي ٢١١ م — ثورة في إقليم فارس، وفي سنة
٢٢٤ م، قتلت قواته آخر ملك بارثي في القتال الذي دار في خوزستان
(Susiana)؛ وسرعان ما سيطر أردشير على جميع إيران ما عدا ولايتي أرمينية

وبلخ ، ويبدو أن تسمية دولته الجديدة بالساسانية مشتقة من لقب فارسي قديم هو ، ساسان « بمعنى القواد » ، ولو أنه قد انقلب — أخيرا — فصار اسما للأسرة .

وقد ربط الساسانيون سلسلة نسبهم بالأكمينيين عن طريق سلسلة ملوك الفراتادارا (Fratadara) الذين ظلوا مستقلين إلى أن دخل إقليم فارس أوبارس تحت الحكم البارثي ، ثم ضربوا بعد ذلك عملة في اصطخر — بالقرب من پرسبوليس — إلى عهد أردشير ؛ وكان أردشير نفسه حفيد ساسان الذي كان موبذا رفيع الشأن في معبد أناهيتا باصطخر .

وجعل أردشير دين مزدا (الزردشتية) (Mazdaism) دينا رسميا للدولة ، وسرعان ما اشتبك في نزاع مباشر مع روما . وقد استمرت الحروب المدمرة مع روما ثم مع بيزنطة — بعد ذلك — طوال العهد الساساني جميعه ، وكانت قوى الشرق والغرب متعادلة تقريبا ، رغم أن الجولة الأولى من الحرب قد كسبها الساسانيون بهزيمتهم للاسكندر سيفيروس (Alexander Severus) .

وقد أسر شابور الأول ابن أردشير (٢٤١ — ٢٧١ م) — وهو ثاني الملوك الثلاثة الكبار في هذه الدولة — الامبراطور فاليريان (Valerian) في أثناء الحرب ، وأخذه أسيرا حتى توفي عنده ، وكانت أرمينية هي السبب الرئيسي للنزاع ، وقد تبادلهما كل من الطرفين مرات عديدة في أثناء حكم هذه الدولة ، والدول التالية لها .

وقد حكم بضعة وأربعون ملكا ساسانيا ، وكان نرسی (٢٩٣ — ٣٠٢) أقل توفيقا في حروبه ضد روما ، فأصبح نهر دجلة — في أثناء حكمه — حدا ثابتا بين الشرق والغرب .

وولي شابور الثاني ابن حفيد أردشير العرش في ٣١٠ م . وقد اشتبك في أثناء حكمه الطويل — الذي استغرق ٦٩ سنة — في ثلاث حروب مع روما ، وبعد وفاته اشتعلت نيران المنازعات الداخلية — حول سلطة الملك — بين الملوك والأشراف ورجال الدين ؛ فأعدم ثلاثة من الملوك على أيدي

الأشراف ، وأصبح الملوك النالون — فى خلال مدة استغرقت قرنا تقريبا — يختارون من الأسيرة الساسانية بواسطة رجال الدين ، وكبار الاقطاعيين .

وقد أعاد خسرو الأول (٥٣١ — ٥٧٩ م) أعظم ملك فى هذه الدولة — وكان رعاياه يلقبونه بالملك العادل — سلطة الملك إلى حالتها كاملة ، وقسم الامبراطورية إلى أربعة أقاليم إدارية ، وفرض ضريبة محددة على الأراضى بعد ما مسحت جميع أراضى الدولة ونفذت مشاريع الرى ، وظفرت الزراعة بالاهتمام والعناية ، ونعمت البلاد برفاهية حقيقية .

كما شجع خسرو التعليم ، وكان هو نفسه قادرا على قراءة اليونانية ، فأمر بترجمة كتب من اليونانية والسنسكريتية إلى البهلوية ، وجمعت القصص الخرافية ، ونظر إلى المسيحية نظرة تسامح .

وقد انتصر خسرو الثانى (٥٨٩ — ٦٢٨ م) على بيزنطة فى البداية ، ولكن الامبراطور هرقل (Heraclius) لم يلبث أن أوقع به هزيمة ساحقة — فى النهاية — فى موقعة نينوى فى سنة ٦٢٧ م ، فأصبح الملك الساسانى فى فوضى شاملة .

ثم قاوم يزدجرد الثالث (٦٣٢ — ٦٥١ م ، ١١ — ٥٣١ هـ) مد الاسلام المرتفع دون جدوى ؛ وأمضى السنوات العشر الأخيرة من حياته هاربا مطاردا . وقد شهد العصر الساسانى إحياء القومية الإيرانية مرة ثانية ، فكانت إيران قوية ، غنية بنفسها ، غير محتاجة إلى الاتصالات والتأثيرات الأجنبية .

وتطلبت جلالة « ملك الملوك » — وهى حق مستمد مباشرة من آهورامزادا — ألا يكون للملك أى اختلاط فعلى برعاياه .

وكان الاستقرار الداخلى الملحوظ فى الدولة نتيجة للإدارة القوية المركزة جداً فى أيدي مجموعة من الوزراء ، وهيئة كبيرة من الكتاب وكاتمى السر ، وكانت الخزانة الملكية تتولى إدارة الجيش ودفع مرتبات جنوده .

وكان الشعب مقسما إلى أربع جماعات هى رجال الدين ، ورجال الجيش ، والموظفون ، والعوام وهم يشملون الفلاحين والتجار وأصحاب الحرف .

وكان أفراد الجماعات الثلاث الأولى يكونون طبقة الأشراف ، وهي مقسمة إلى أربع درجات لكل واحدة منها شعارها وألقابها الخاصة بها .

وكانت أعلى رتبة هي رتبة « الشهر دار » ، وهي الخاصة بحكام الأقاليم في الدولة الساسانية ، وكان رجال الجيش يجندون — بكثرة — من بين أفراد الدرجة الرابعة من هؤلاء الأشراف .

وكانت عاصمة الدولة هي — بالطبع — مدينة شاپور في إقليم فارس ، بينما كانت تقع مدينتان من المدن الثلاث الرئيسية في الدولة وهما المدائن وجندی شاپور خارج حدود هذا الإقليم الأصلي للدولة .

وظلت الفارسية الوسيطة — المكنوبة بحروف بهلوية معقدة مضطربة — لغة العصر الساساني ؛ غير أن هذه اللغة لم تلبث أن فقدت جزءاً كبيراً من تعقيداتها النحوية ، وأخذت تقترب من صورتها الأخيرة التي تسمى الفارسية الحديثة — أو فارسي — .

ومن الكتابات غير الدينية المؤلفة بها كتاب الأعمال العظيمة (كارنامه) وكتاب الرتب ، وكتاب الملوك الضائع ، وكتاب أراضى إيران ، وبعض الترجمات — مثل ترجمة حكايات كليلة ودمنة — ولا زالت بعض الكتب الضائعة توجد في ترجمات عربية .

وقد كتبت الأفيستا (الأبيستا) مرات عديدة في أثناء هذا العصر ، وسجلها شاپور الأول بخط خاص يعرف باسم خط الأفيستا ، ذكروا عنه أنه نص محقق يعتمد عليه ، وأعد خسرو الأول — في أثناء حكمه — تفسيراً جديداً للنص المذكور .

وظلت المزدية الديانة الرسمية القوية خلال هذا العصر ، فكان هناك رئيس أعلى للدين ، يتبعه عدد كبير جداً من الكهنة يقيم موبدان منهم في كل مدينة ، وكان الأساس الذى يقوم عليه تنظيم المعابد هو النار المقدسة ، فكان في كل قرية نارها الخاصة بها ، وكانت توجد — في كل ناحية واسعة — نار تسمى « وهرام » (Vahram) وكانت توجد ثلاث نيران وطنية عظمى .

وبعدت الديانة — كما جمعت في الأفاستا — عن تعاليم زردشت الروحية والأخلاقية ، وسادتها الطقوس الدينية ، ومالت ميلاً عظيماً إلى ضم إلهى الشمس والنار مع آهورا مزدا بحيث نشأ منهم ثالث جديد .

وقد شقت الأديان الأخرى طريقها قدماً داخل الدولة ؛ فقد دعا ماني لدينه — في عهد شابور الأول — في المدائن ، وعرض خليطاً من الزردشتية والنصرانية واليهودية في صورة نظرية تقوم على الحاجة الملحة إلى تحرير الروح من القيود المادية ، وقد سمح له بتبليغ دعوته في عهدى شابور الأول وهرمز الأول ، ولكن بهرام الأول سلمه — في عام ٢٧٦ م — إلى رجال الدين الزردشتي ، فحكموا عليه بالإعدام .

وقد دعا مزدك — وهو مواطن من خراسان — إلى ديانة أخلاقية ، تشتمل على كل من العناصر الزردشتية ، والتعاليم الغميلة ؛ لتجنب العنف ، واتباع النباتية ، والشيوعية . وقد عضد الملك قباد هذه الديانة الجديدة — في البداية — واعتبرها حائلاً معقولاً ضد ازدياد نفوذ رجال الدين والأشراف ، ولكن هذا المتنبي وأتباعه لم يلبثوا أن قتلوا في عام ٥٢٨ م ، ورغم هذا فإن الديانة المزدكية بقيت حتى العصور الإسلامية . وكان المسيحيون — غالباً — أكثر تعرضاً للاضطهاد العنيف في القرون الأولى من العصر الساساني ، بسبب ارتباط ديانتهم — في الأصل — بالدولة الرومانية المعادية ، وبعد انتهاء القرن الخامس ؛ صار المسيحيون المقيمون في الدولة أعضاء في الكنيسة النسطورية الشرقية ، فعملوا بتساعح متزايد .

سجى والفن المعماري — في العصر الساساني — يمثل في القصور والمسكن ، ومعابد النار ، والقلاع والخزانات ، والسدود والجسور ، وتخطيط المدن ، والأشياء الأثرية الخاصة الأخرى ، وقد بقي عدد كبير من هذه المباني في حالة حسنة ، ولكن مشكلة ترتيبها تاريخياً — خلال هذا العصر — لم تحل بعد .

وتوجد بقايا أبنية القصور في فيروز آباد ، وشاپور ، وسروستان في إقليم فارس ، وفي المدائن على الشاطئ الأسفل لنهر دجلة ، وفي قصر شيرين على الحدود الحالية بين إيران والعراق .

ومن المرجح أن قصر فيروز آباد بنى فى عهد أردشير ، فى صورة بناء مستطيل على قطعة أرض عرضها ١٨٠ قدم ، وطولها أكثر من ٣٠٠ قدم ، ويوجد فى وسط الواجهة إيوان كبير يؤدى إلى حجرة العرش المقبوة ، وتوجد — خلف هذه الحجرة — ساحة داخلية محاطة بحجرات السكن ، وجميع هذه الحجرات مغطاة إما بقباب ، أو بسراديب .

والعلامة المميزة لقصر المدائن هى الإيوان الكبير المقبوء المسمى « طاق خسرو » ، أو طاق كسرى ؛ وهو بناء يرتفع ٩٠ قدما ، ويبلغ عرضه ٧٥ قدما ، وطوله ١٥٠ قدم . ومن المرجح أنه بنى فى عصر شابور الأول ، وكان الحجرة الرسمية التى تستعمل فى حفلات الاستقبال الملكية .

وتوجد على واجهة حيطانه المجنحة عقود مرتفعة فى أسلوب غير منظم ، تشبه أبنية الواجهات الهيلينية ، وقد حاول العرب — عينا — أن يهدموه بعد ذلك ، كما حاول البنائون — فى العصور الإسلامية — أن يبنوا مباني أعلى منه ليحجبوا شهرته .

ويوجد قصر محفوظ جيدا — فى سرستان — على بعد ستين ميلا إلى الجنوب الشرقى من شيراز ؛ ومن المحتمل أنه مبنى فى القرن الخامس . ويختلف تصميم بنائه عن تصميم قصر فيروز آباد ؛ حيث توجد فيه حجرات صغيرة وحجرات كبيرة ، وعدد من المداخل ، وتدل الأطلال المجاورة الباقية على أن القصر الرئيسى كان محاطا بالحدائق ، وبأبنية أخرى .

وفى قصر شيرين ؛ توجد بقايا بناء ضخم يغطى مساحة قدرها ١/٢ ميل عرضا و ١/٢ ميل طولاً . ويرتفع القصر الرئيسى عن سطح الأرض على حجرات فى شكل سراديب مقببة تدعو إلى الدهشة والتعجب ، ويرجع تاريخ هذا البناء إلى نهاية العصر الساسانى تقريبا .

وفى السنوات الأخيرة ، اكتشف كثير من بيوت النار ، ومن المرجح أن النار المقدسة حفظت — فى بعضها — فى الحجرة الرئيسية ، وأنها كانت تشتعل فى الهواء الطلق فى المعابد التى تتوج التلال المرتفعة فترى على مسافة أميال

عديدة . وكانت الفكرة الأساسية التي تبنى عليها بيوت النار هي حجرة مربعة متوجة بقبة ، وكان لها — عادة — باب واسع مقبوع يخرق كل حائط ، سواء أكانت الحجرة وحدة منعزلة أم محاطة بدھليز ، وقد نقل طابع هذه الفكرة في العصر الإسلامي على أنه بناء ذو أربعة طاقات « جهار طاق » ، وتنبثق القبة التي تغطي الحجرة من الأقواس الأربعة التي تصل زوايا الأركان .

ومن الأشياء الجديرة بالذكر أن العالمين الروماني والبيزنطي ، قد نشرا طريقة المثلث البارز والأشكال الكروية لرفع قبة فوق بناء مربع ، ولكن العالم الإسلامي استمر في استعمال طريقة الأقواس إلى الوقت الحاضر .

وكانت أدوات البناء في ذلك العصر هي الأحجار والآجر ، وكانت أسطح الجدران تغطي بالملاط ، وقد استعملت في القصور التي اكتشفت في دامنغان زينات الملاط البارزة على نطاق واسع .

ويبين فن المعمار والفنون الجميلة الأخرى — بوضوح — مقاومة الفنون القوية للتأثيرات الهيلينية القديمة ، بل ويقوم دليلا على وجود جهد كبير مدروس لإحياء النماذج الوطنية التقليدية . كما وجد — في ذلك العصر أيضا — تهذيب واع للنماذج والوحدات الزخرفية ، وقد استمرت مقاومة التأثيرات الغربية بعد الفتوحات العربية ، وكان من نتيجتها النهائية إيجاد فجوة فنية وحضارية كبيرة بين الشرق والغرب .

وكان طابع الفن الخاص بذلك العصر هو نحت وحدات زخرفية بارزة كبيرة على صفحات الصخور — غالبا — بالقرب من الأحواض التي تغذيها الينابيع والعيون .

ويوجد حوالي عشرين نحتا ، أغلبها في فارس ، وهي تحمل علامات تشير إلى الملوك وهم منتصرون على أعدائهم المختلفين ، وإلى تنصيب الملك بواسطة آهورامزدا الذي يمدده بالخاتم والصولجان . وهذه النحت متناسقة الأجزاء ، وتعرض فيها الصور من منظر جانبي للوجه ، ويضحى فيها بالصورة الطبيعية للشئ ، ولا يلتزم فيها إلا أداء الناحية الرسمية والتذكارية . والنحت القائمة

على الصخور قديمة في تاريخها ، بينما يرجع تاريخ النحوت التي في كهف « طاق بوستان » — بالقرب من كرمانشاه — إلى نهاية العصر الساساني في أغلب الظن .

ومن الأشياء المشهورة جدا الأطباق الفضية الفخمة والسلاطين ، ويوجد — الآن — كثير منها في متحف هرmitage (Hermitage) بروسيا ، ويرى الملك في بعضها جالسا على عرشه وهو يعقد استقبالا ملكيا ؛ أو وهو يتمتع بملذات الصيد ، وترى — في بعضها الآخر — مناظر القتال ، وتنصيب الملك ، والآلهة ، والحيوانات القوية وهي في عراك دائم ، والطيور الجميلة الوادعة .

وبقيت الأواني والأباريق المصنوعة من البرونز بكميات كبيرة أيضا ، ومن أشهرها مواقد البخور ، وهي على شكل البط ، أو غيره من الطيور .

وبقى — إلى الآن — بعض الأقمشة الساسانية الفخمة في المتاحف والمجموعات الخاصة ، ولكن لم يتضح بعد أى قطع من هذه المجموعة مصنوعة في إيران ، وأياها مصنوعة في البلاد الواقعة على طول السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط .

والأواني الفخارية التابعة لهذا العصر ليست جميلة تماما ؛ وطابعها العام أنها مصقولة ، وعليها نماذج زخرفية بارزة قليلا . وتتكون الزينات المملطية — الموضوعة فوق أوجه المباني — من قوالب بارزة ، أو صفحات مزخرفة بأشكال الزهور أو الحيوانات ، أو بصور الحيوانات المجسمة .

الفتح العربى لإيران :

في أوائل القرن السابع ؛ استولى خسرو الثانى على دمشق والقدس ، ثم تقدم حتى اقترب من أبواب القسطنطينية وبعد ذلك انحسر المد الإيراني ، وتحرك الامبراطور البيزنطى هرقل واجتاز ما بين النهرين حتى وصل إلى المدائن ، وانتهى الأمر بأن أمضت إيران وبيرنطة معاهدة للسلام بعد أن أنهكهما التعب .

وفي تلك الأثناء ؛ جاء العرب ، فغزوا إيران ، ونشروا بدخولهم فيها الدين الإسلامي ، وتعرف القرون التي مرت منذ الفتح العربي إلى الوقت الحاضر — بصفة عامة — بالعصر الإسلامي في إيران ، وتكاد مدته تتعادل مع عدد السنوات التي تقع بين قيام قورش ونهاية الدولة الساسانية .

وقد كانت بلاد العرب — دائماً — موطناً للبدو الرحل ، وهم عنصر سامي يعادى الغزو والتأثيرات الأجنبية . وفي السنوات الأولى من القرن السابع ؛ كانت شبه الجزيرة العربية هادئة ، وكانت مكة والمدينة مدينتين صغيرتين تقتصر شهرتهما على مجرد وقوعهما على الطريق الرئيسي لسير القوافل ؛ كما كانت مكة — منذ وقت طويل — مركزاً لعبادة الأصنام ، ومكاناً للحج ، وفي هذا الموقع الهادئ ظهر النبي محمد — الذي ولد في عام ٥٧٠ — ، ولم تتضح رسالته العظيمة إلى أن بلغ سن الأربعين ، وحينذاك أوحى إليه القرآن وبدأت دعوته تتقدم ببطء ، ثم قام بهجرته من مكة إلى المدينة في عام ٦٢٢ م (١ هـ) ، وهو التاريخ الذي صار بداية للتاريخ الإسلامي (الهجري) ، وظفر بسيطرة كاملة على شبه الجزيرة العربية قبل وفاته — في عام ٦٣٢ م (١١ هـ) — بسنوات قليلة .

وأصبح أبو بكر صديقه الوفي المختار ، وأسبق من آمن به من الرجال ، أول خليفة على المسلمين ، فوجه سلسلة من الحملات العنيفة إلى ما بين النهرين وسورية ، فأصابته نجاحاً كبيراً ، بحيث اشتبك البدو المحاربون — سريعاً — بالقوات الرئيسية للبيزنطيين والساسانيين ، وهزم العرب هرقل في فلسطين في عام ٦٣٤ م (١٣ هـ) ، فلما كان عام ٦٣٦ م (١٥ هـ) هزم العرب جيشاً ساسانياً قوياً قوامه ١٢٠.٠٠٠ جندي في موقعة القادسية التي استغرقت أربعة أيام ، وسقطت المدائن في أيدي العرب ، فانتشروا في الهضبة الإيرانية . وفي عام ٦٤١ م (٢١ هـ) استأصلوا جيشاً ساسانياً ضخماً آخر — استئصالاً تاماً — في موقعة نهاوند ، وقد وضعت هذه الموقعة نهاية للعصر الساساني الطويل ، وأسقط العرب الحكومات التي كانت في حالة من الفساد والانحيار ، وأوجدوا

ثورة اجتماعية ودينية على أساس الأمل الذى بشروا به السكتل البشرية الضخمة فى إقامة الحياة على أساس من المساواة التامة والمعاملة الحسنة ؛ ومن الحقائق الثابتة أن العرب لم يقوموا بمحاولة جدية لإرغام الناس جملة على اعتناق الدين الاسلامى ، واكتفوا بفرض الجزية على غير المسلمين .

— وانتشر الفتح فى إيران مدفوعا بوعود الخليفة عثمان بمنح حكومة خراسان الغنية لأول قائد من قواده يستطيع الوصول إلى هذا الإقليم ، وفى عام ٦٥٢ م (٥٣٢ هـ) هزمت الجيوش الايرانية فى خوارزم — على شاطئ نهر جيحون — ، وفى خلال سنوات قليلة ، وقعت الأراضى الآسيوية البعيدة فى أيدي المسلمين ، وهاجرت القبائل العربية إلى خراسان وأقامت هناك ، وكان القائد الشهير قتيبة — الذى تولى فتح المنطقة من ٧٠٤ إلى ٧١٥ م — (٨٥ — ٩٧ هـ) متحمسا لنشر الدين الاسلامى ، فأسكن العرب فى كل منزل من منازل المدن المفتوحة ، وبنى مسجدا كبيرا فى بخارى فى مكان بيت من بيوت النار .

وخضعت جميع الأراضى المفتوحة لنفوذ الأمويين — المقيمين فى المدينة أو فى دمشق — خضوعا تاما ، لمدة تزيد على قرن من الزمان بعد ظهور الإسلام^(١) ، وقسمت البلاد إلى أقاليم ، عين على كل منها حاكم عسكري (وال) ، ورئيس لجباة الضرائب . فى أهم مدينة من كل إقليم ، وتركت جميع الأعمال المتعلقة بتنظيم الحكم والإدارة ، خصوصا عملية جمع الضرائب المعقدة ، فى أيدي الموظفين الذين كانوا — من قبل — يعملون فى خدمة الحكومات التى أطاح بها العرب ، واحتفظ — فى ما بين النهرين (العراق) — بسجلين للضرائب ، أحدهما باللغة العربية للحكام الجدد من العرب ، والآخر بالفارسية للسكان الأصليين ، وكانت صعوبة المواصلات معناها أن الولايات البعيدة جدا ، لم تكن خاضعة تماما — لسيطرة الحكومة المركزية ، وكذلك لم تعامل

(١) المراجع : تقتضى الدقة أن يقال إن الأمويين حكموا أقل من قرن من الزمان لأن دواتهم استمرت من سنة ٤١ هـ إلى سنة ١٣٢ هـ .

إيران بقسوة شديدة ، ومع ذلك فإن مجيء الإسلام أوجد تغيرات جوهرية في النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، فأبدلت الأفكار الإيرانية العتيقة عن الحق المقدس والحكم المطلق الاستبدادى ، بروح ديمقراطية دولية مستمدة من الدين الجديد ، ومن ناحية أخرى طبع تفوق الإيرانيين الحضارى ، وزهوهم بنظمهم مستقبل إيران الإسلامية في الحضارة والفن بروح تختلف تماما عنها في أية بلاد إسلامية أخرى .

وفي القرن الثامن الميلادى ، ثارت الإحساسات بقوة ضد الخلفاء الأمويين ، وهزم الخليفة الأموى فى عام ٧٥٠ م (١٣٣ هـ) فى الحرب ، خلفهم — فى السلطة — سلسلة جديدة من الخلفاء يعرفون باسم العباسيين ، فأنشأوا فى عام ٧٦٣ م (١٤٦ هـ) مدينة مستديرة هى بغداد التى ظلت عاصمة لهم إلى عام ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) ؛ حينما أغار المغول عليها ، وأنهوا الدولة العباسية ، وقد ساعد الجنود الإيرانيون فى إسقاط الأمويين ، وحظى الفرس بمراكز عالية فى البلاط الجديد ، فانتشرت فى الدولة الجديدة الملابس والعادات الفارسية .



قيام الدويلات المحلية فى إيران :

أصبح إقليم خراسان — وهو منطقة كانت أوسع كثيرا جدا من الإقليم الحالى الذى يعرف بهذا الاسم — أكثر أجزاء إيران حيوية ونشاطا ، وفى عام ٨٠١ م (١٨٥ هـ) عين طاهر ذو اليمينين — الذى كان قائدا لجيش أحد أبناء الخليفة — هارون الرشيد^(١) — حاكما على خراسان بناء على طلبه ، فاتخذ مدينة نيسابور عاصمة له . وقد خلفه فى هذا المنصب ابنه وحفيده وابن حفيده ، وكان كل واحد منهم يدفع للخلفاء — فى بغداد — خراجا سنويا قليلا . وكان حكام هذه الدولة المحلية يعرفون باسم الطاهريين ، وقد امتازوا بحب الكتابة والشعر وحكموا من ٨١٠ إلى ٨٧٣ م (١٩٥ — ٢٦٠ هـ) .

(١) يقصد المأمون ، وهو يشير إلى انتصار جيش المأمون بقيادة طاهر على الأمين وقتله ، ثم تولى طاهر أمرا خراسان فى عهد المأمون . (المترجم)

وكانت الشخصية القوية التالية التي ظهرت في إيران ، هي شخصية يعقوب ابن الليث الصفارى وكان نحاسا وقاطعا من قطاع الطرق ، ثم أصبح — في ٨٦٧ م (٢٥٣ هـ) — سيدا على خراسان وهراة ، فعين واليا على خراسان من قبل الطاهريين ، ولسكنه سرعان ما أسقط دويلتهم وبسط نفوذه على كرمان وفارس وإصفهان أيضا ، وتوفي في عام ٨٧٩ م (٢٦٦ هـ) بعد انهزامه في محاولة لفتح بغداد نفسها ، فتوجه أخوه عمرو بن الليث إلى إقليم ما وراء النهر ؛ وكان السامانيون قد ظفروا فيه — حديثا — بالسلطة ، ولسكنه هزم وأرسل أسيرا إلى بغداد حيث أعدم في ٩٠٢ م (٢٩٠ هـ) ، واحتفظ أعقابيه بالحكم طويلا في سجستان ، وقد حدثت في هذه السنوات المحدودة للحكم الصفارى حادثة ذات مغزى حضارى مهم ، ألا وهي نظم كاتب^(١) يعقوب الشعر بالفارسية لأول مرة بعد الإسلام .

وظفر السامانيون — الذين كانوا ولاية يخضعون للطاهريين — بسيادة تامة على شرق إيران ، وحكموا هذه المنطقة مائة سنة تقريبا . وقد حكم اسماعيل — مؤسس هذه الدولة وأول شخصية بارزة فيها — من ٨٩٢ إلى ٩٠٧ م ، (٢٧٩ — ٢٩٥ هـ) وكان شخصا كريما ذكيا ، كما كان قائدا مظفرا جدا ، واستطاع في السنوات الأخيرة الهائلة من حكمه أن يكرس كثيرا من وقته لتعمير عاصمته بخارى ؛ ولا زال قبره — الذى بنى فى ذلك الوقت — قائما هو وغيره من الآثار الأخرى ، وهو فى صورة مكعب تام — طول كل جانب منه ٣٥ قدما ، وتتوجه قبة نصف كروية ، وأسطح الضريح الداخلية والخارجية مزينة بزينا بديعا ، والحيطان الخارجية مزينة بأربطة من الطوب فى صور مربعات منقوشة كعظام السمكة ، ونماذج من المربعات المفتوحة المتقاطعة .

وقد وصلت الدولة السامانية إلى أقصى قوتها فى عصر نصر بن أحمد — من ٩١٣ إلى ٩٤٣ م (٣٠١ — ٣٣٢ هـ) — فسيطرت على إقليم ما وراء النهر وخراسان وسجستان وجرجان وطبرستان والرى وكرمان ؛ وضم بلاط بخارى

(١) يقصد محمد بن وصيف السجزي . (المترجم)

رجالا من ذوى العلم الغزير كان منهم الفيلسوف المشهور أبو علي بن سينا ، المعروف للعالم الغربى باسم « أفيسينا » (Avicenna) ، وفيه ولد الأدب الفارسى الحديث على أيدي الشاعرين الرودكى والدقيق منشئ الشعر الحماسى وقد أدى السامانيون خدمات جليلة لإثارة روح الوطنية الإيرانية وإحيائها ، ولكن تحولها إلى حكومة إقطاعية أدى إلى ظهور حكام أقوياء ، ثم إلى إسقاط الدولة فى النهاية .

وقد ظهر فى إيران — فى خلال القرن التاسع — حكام محليون أقل أهمية ، فى عام (٩٢٨ م — ٣١٦ هـ) سيطر مردآوىج بن زيار على ساحل بحر قزوين ، فى منطقة عرفت — بالتوالى — باسم بلاد الديلم ، وباسم طبرستان ، ولم يعتنق سكان هذه المنطقة الإسلام حتى منتصف القرن التاسع تقريبا . ومن حكام الدول الزيارية : وشمكير أخو مردآوىج ، وابناه بهستون وقابوس .

وكان قابوس شاعرا ومؤلفا ، ويعد قبره المشهور فى الركن الجنوبى الشرقى لبحر قزوين أقدم أثر ذى كتابة مؤرخة فى إيران الإسلامية ، وتقرأ الكتابة التى عليه كالآتى : « بسم الله الرحمن الرحيم . بنيت هذه القلعة بواسطة الأمير ابن الأمير قابوس بن وشمكير وقد أمر ببنائها فى أثناء حياته فى سنة ٣٩٧ القمرية ، الموافقة لسنة ٣٧٥ الشمسية (١٠٠٧ م) » .

والقبر مبنى من الآجر ، وهو عبارة عن أسطوانة كبيرة مغطاة بسقف مخروطى الشكل ؛ والهيكلى الدائرى تقطعه عشر حافات بارزة ، وقطر دائرته ٥٦ قدما وسمك الحيطان ١٧ قدما والارتفاع من الأرض حتى رأس المخروط يبلغ ١٦٠ قدما ، وقد أدخل جثمان قابوس — وفقا لرواية الجنابى — فى صندوق زجاجى علق بالسلاسل داخل قبة البرج .

ولإقليم الديلم مهم أيضا لأنه كان مقراً لحكام البويهيين ، فقد عين على ابن بويه حاكما محليا من قبل مردآوىج بن زيار ، ولكن عليا وأخويه الحسن وأحمد لم يلبثوا أن سيطروا سريعا على وسط إيران وغربها .

وفى عام (٩٤٥ م — ٣٣٤ هـ) دخل أحمد بغداد ، ولكنه ترك الخلفاء

العباسيين — الذين منحوا هؤلاء الإخوة مناصب وألقاباً فخرية — يتمتعون بسيطرة روحية اسمية .

وأبرز شخصية بين البويهيين هو عضد الدولة — الذي حكم من ٩٤٩ إلى ٩٨٣ م (٣٣٨ — ٣٧٣ هـ) وقد اتخذ الري وإصفهان عاصمة له . وقد اتجهت الدولة بعد وفاة عضد الدولة نحو الانهيار بخطى سريعة ؛ فانتزع محمود الغزنوي الجزء الغربي منها بينما بقي الجزء الشرقي سليماً حتى مجيء السلاجقة .

وقد ارتفع شأن تسعة من أفراد الأسرة الغزنوية الذين حكموا في الجزء الشرقي من إيران في تلك الأوقات . وكان البتكين أول حكام هذه السلسلة التركية عبداً اشتراه اسماعيل الساماني ، ثم صار حاكماً على خراسان ، وأعلن نفسه سلطاناً على غزنة في حوالي سنة ٩٦٠ م (٣٤٩ هـ) .

وقد أخذ محمود سادس أفراد هذه الأسرة على عاتقه أن يوسع ملكه أسلافه المحدودة ؛ فأسقط السامانيين في عام ٩٩٩ م (٣٩٠ هـ) ، وابتلع الزياريين . ودفع البويهيين إلى غربي الهضبة الإيرانية — في عام ١٠٢٩ م (٤٢٠ هـ) — لكي يسيطروا على حكمه فوق ميجارا ، وأفغانستان ، وما وراء النهر ، وخراسان ، وطبرستان ، وسجستان ، وجزء من الهند ؛ ولم يبق خارج نفوذه من إيران الأصلية سوى كرمان وفارس . وقد ولد محمود من أبوين جلفين ، ولذلك امتازت حياته الأولى بالشدة والغنف ، ويقال إن اليوم تمنى له حياة طويلة لأنه حطم مدناً كثيرة وتركها خرابات مهجورة ، وقد أعدم كثير من رعاياه بتهمة الإلحاد وهلك كثير منهم تحت وطأة الضرائب الباهظة ، ولكن حملاته على الهند وضعت في يده ويد جيشه ثروات طائلة استعملت في تجميل غزنه ومدن الأقاليم المهمة . وفي عام ١٠١٨ م (٤٠٩ هـ) أمر ببناء مسجد من الجرانيت والرخام — وألحق به مدرسة ومكتبة .

وقد توفي محمود في عام ١٠٣٠ م (٤٢١ هـ) وهو في سن الستين ، وأنشأ ابنه مسعود ضريحاً فخماً له . وبقيت ذكرى ذلك السلطان العظيم في أعلى درجة .

من المهابة بحيث أبقي علاء الدين « حارق العالم »^(١) ، على القبر حينما زار غزنه بعد ذلك بمائة عام^(٢) .

ويقوم القبر — الآن — في حجرة خشنة مغطاة بقبة من الطين ، ويوجد منشور مثلث يقوم على قاعدة مستطيلة من الرخام ، نحتت عليه كتابة تعطى التاريخ الدقيق واليوم والساعة التي حدثت فيها وفاة محمود . وتوجد في القرية نفسها — وعلى بعد ميلين شمالي غزنه — منارتان مبنيتان على أنهما برجان من أبراج النصر ، بطريقة كوكبية وهما غنيتان بالزخارف وبالقرميد ، ويبلغ ارتفاعهما حوالي ١٥٠ قدما ، وتحمل إحداها اسم السلطان محمود ، بينما تحمل الأخرى اسم حفيده مسعود الثالث .

وقد شمل السلطان محمود بعنايته كل الشعراء والعلماء ، ولكن من المحتمل أنه لم يكن يستهويه حب العلم المحض ، بقدر ما كانت تستهويه الرغبة في رفع شهرته الشخصية بجعل بلاطه مركزا للنبوغ والأبهة ، فكان جميع العلماء المشهورين يستدعون إلى غزنه ، وكان القليلون هم الذين يجرؤون على الرفض ، وكان : منهم العنصرى الشاعر ، والبيرونى العالم المأورخ الذى له كتاب مشهور عن تاريخ الأمم القديمة^(٣) ، وكتاب صغير عن التنجيم باللغة الفارسية^(٤) ، ولكن الفردوسى فاق جميع هؤلاء . وقد التحق بالبلاط — لأول مرة — وهو فى منتصف عمره ؛ وبدأ ينظم ملحمة العظيمة ، شاهنامه أو كتاب الملوك ، وظل ينظم فيها حتى بلغت ٦٠,٠٠٠ بيت من المثنوى المنظوم ، وتشتمل الملحمة على أجداد أربع دول قديمة ، اثنتان منها خرافيتان ، مأخوذتان من الأساطير الواردة فى الأفيستا ، والاثنتان الأخريان هما البارثيون ، والساسانيون . ولكن الملحمة تشتمل على أساطير حتى فى هاتين الدولتين أكثر مما تحتوى على تاريخ دقيق . وتكثر فى هذه الملحمة الطويلة قصص الفروسية والبطولة .

-
- (١) المراجع : يعرف فى السكتب الفارسية باسم « علاء الدين جهان سور » .
(٢) يردد المؤلف هنا وجهة النظر الإيرانية فى السلطان محمود الغزنوى . (المترجم)
(٣) لعله يقصد كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » المترجم .
(٤) لعله يقصد كتاب « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » . المترجم

وكانت مصدر إلهام لكثير من شعراء الفرس المتأخرين ، كما صارت مصدر إلهام لمؤلفين أوروبيين مثل ماثيو آرنولد (Matthew Arnold) الذي أعاد كتابة قصة من أجمل قصص الشاهنامة في كتابه « سهراب ورستم » .

وقد نسخت الشاهنامة مرارا في جميع العصور المتأخرة ، وكانت كثير من النسخ مزينة بصور صغيرة (منمنمات) لأشهر المصورين ، وهي منظومة بلغة فارسية قوية خالصة ، تشتمل على كلمات عربية قليلة العدد نسبيا ؛ وقد تغيرت اللغة تغيرا قليلا جدا منذ نظمها قبل تسعة قرون ؛ بحيث تمكن قراءتها بسهولة بواسطة أهل إيران في الوقت الحاضر . وقد ظلت هذه المنظومة تتلى قرونا عديدة ، ويستطيع آلاف من غير المتعلمين في الوقت الحاضر أن ينشدوا فقرات طويلة منها . وقد وصل الأدب الفارسي الحديث — في هذا العصر — إلى كامل نضجه ، ولكن يجب علينا أن ندرك أن كثيرا من المؤلفين الفرس الذين عاشوا في هذا العصر قد ألفوا كتبهم باللغة العربية ؛ لأن اللغة العربية بهرتهم بأساليبها النحوية المستفيضة التي استساغها العقل الفارسي ، وكانت حروف الهجاء العربية أفضل إليهم بكثير من الحروف البهلوية المعقدة ، ولذلك كان علماء الإيرانيين يعدون اللغة العربية لغتهم الثانية ، ودخلت كثير من الكلمات العربية في اللغة الفارسية ، وكان من الطبيعي أن تستعمل الحروف العربية — في ذلك الوقت — لكتابة الفارسية . وكتبت شخصيات معروفة مثل السعدي والغزالي بكل من اللغتين العربية والفارسية ، كما تشرب كثير من المؤلفين الذين كانت اللغة العربية لغتهم الأصلية بالثقافة الفارسية والأفكار الفارسية بحيث تعد توارixهم وأشعارهم وكتاباتهم الفلسفية والصوفية — في الحقيقة — أدبا فارسيا ، رغم أنها بلغة عربية .

وفي المدة التي تقع بين ٦٤١ و ١٠٠٠ م (٢١ — ٣٩١ هـ) أخذت إيران تخرج تحويرها الخاص للفن المعماري الإسلامي ، وكانت الحاجة إلى الصلاة أهم تعاليم الإسلام الأساسية ؛ فقد حث القرآن على إقامتها ، وكان مطلوبا من الرجل المسلم المتدين أن يؤدي خمس صلوات دينية في كل يوم ، ويمكن أن تؤدي الصلاة

في أى مكان بشرط أن يولى المصلى وجهه شطر مكة ، وكانت صلاة الجماعة تؤدي ظهراً في يوم الجمعة ، فوجدت الحاجة إلى مكان خاص تؤدي فيه الصلوات ، منذ زمن بعيد ، ومن المعتقد أن منزل الرسول محمد عليه الصلاة والسلام استعمل على أنه المسجد الأول . فلما امتدت الغزوات العربية إلى البلاد البعيدة ، صار من الضروري إقامة مساجد للجنود ، وكان المسجد في البداية عبارة عن أى مكان مفتوح يحاط ويغطى بسقف من الغاب بحيث يمكن حمله إذا تحرك الجيش ، وبعد ذلك بقليل ؛ صار المكان المخصص للمسجد يحدد بأربعة سهام تطلق من نقطة في الوسط ، ويخندق يحفر حول المساحة التي تحدها هذه السهام . وبعد فترة من الزمن ، أنشئت العقود المغطاة (البواكى) حول المسكان المفتوح أو حول ساحة المسجد ، وقد استولى العرب على الأبنية القائمة في البلاد التي فتحوها لاستعمالها كمساجد ، فاستعملت الكنائس في سورية وفلسطين لهذا الغرض ، كما حول طاق كسرى — في المدائن — إلى مسجد ، وحينما بدأ المسلمون في بناء مساجدهم الخاصة الدائمة ، طبقوا الفن المعماري في أسلوبه الشائع محلياً ، واستفادوا من الصناعات المحليين ، وكانت العناصر الرئيسية للمسجد هي ساحة مفتوحة ذات بواكى على جانب أو أكثر من جوانبها ، ومنطقة مغطاة للعبادة يوجد فيها المحراب ، وهو مقام في وضع يجعل المصلين يتجهون شطر مكة دائماً .

وقد أثبتت الآثار الباقية في إيران من أبنية العصر الساساني ، والعصور السابقة عليه صلاحها من حيث تصميمها وأسلوب بنائها ، لأن تتخذ مقراً للأبنية الدينية الجديدة ، ويستفاد من الكتب الخطية أن آلافاً من الأبنية الجميلة قد أنشئت في بداية العصر الإسلامي ؛ وقد بقي منها إلى الوقت الحاضر ، عدد قليل لم يكن أكثرها شهرة ، ومن الثابت أيضاً أن كثيراً من الأبنية القديمة قد حول إلى مساجد ، ويشير تقرير دقيق مكتوب في تاريخ مبكر إلى أن قصر أكمينيا قد حول إلى مسجد .

ومن الآثار الباقية في إيران — قبل عام ١٠٠٠ م (٥٣٩١ هـ) — «تاريخ خانة» في دامغان ، وهو مسجد يبدو أنه بني في القرن التاسع الميلادي ،

وهو يشتمل على ساحة مربعة ، محاطة بعقود ، يزيد عرضها في الناحية التي يقع بها المحراب ، والمسجد الجامع في « نيريز » يغلب على الظن أن تاريخه يرجع إلى القرن العاشر الميلادي ، وقد بنى في صورة إيوان كبير ، يقوم المحراب فيه في نهاية ردهته .

ويشبه المسجد الجامع في نائين — الذي يرجع إلى القرن العاشر الميلادي — مسجد دامغان في تصميمه ، غير أن له علامات مميزة هي الحيطان ، والأعمدة ، وواجهات المحراب المحلاة بزينات من الملاط في صورة كتابات عربية ، ونماذج هندسية ، ونماذج من الأزهار منحوتة بعمق ، وما زالت أبراج القبور قائمة في « رزجت » (Resget) ، و « لازم » (Lajim) على طول ساحل قزوين ، وفي دامغان ، فالموجودة في « رزجت » لها كتابات بالعربية ما عدا السطر الأخير فهو مكتوب بالبهلوية ، وقد أوجدت أبراج القبور نموذجاً بقي قروناً عديدة .

ومن الأشياء الفنية التي بقيت حتى الوقت الحاضر ؛ الفخار الذي يوجد بكثرة ، ويبدو أن أسلوب القطع القديمة مستمد من الفخار الصيني المستحضر إلى إيران عبر طرق القوافل الطويلة ، وذلك على سبيل التقليد والمنافسة ، وقد راج — في هذا العصر — فن صناعة الفخار رواجاً ملحوظاً ، بحيث صارت صناعة الفخار الفارسية تضارع صناعة الفخار في أية دولة أخرى ، وفي أي عصر من العصور . ويمكن تمييز عدد من النماذج المختلفة لهذا الفخار ؛ فالفخار المسمى بفخار ما وراء النهر تمثله أطباق مسطحة أو سلاطين مزينة بنماذج هندسية — أو من الأزهار — ذات لون أسود وأرغواني وأحمر وأخضر وأصفر ، وفخار نيسابور ذو شخصية مستقلة ولكنه يذكر بفخار ما وراء النهر ، فالأطباق مزينة ومصقولة تقليداً للنماذج الصينية ، والسلاطين مزخرفة برسوم خضراء وزرقاء على أرضية بيضاء مصقولة ، وتوجد النماذج القديمة للفخار اللامع وهو الذي تطورت صناعته تطوراً كبيراً في العصور اللاحقة .

والأطباق الفضية الخاصة بهذا العصر مشابهة تماماً — من حيث الشكل والفن والمادة المصنوعة منها — الأطباق الفضية في العصر الساساني .

وقد بقيت قطع من الأنسجة الدقيقة ، كما بقي فن النحت في الخشب ممثلاً في الأبواب المزدوجة للمساجد والقبور ، وفي العمادات التي يوضع عليها القرآن ، وفي المنابر التي تقوم إلى جانب المحراب في المساجد ، كما وجدت قطع كثيرة من نقوش الجدران في الاكتشافات الأثرية .

العصر السلجوقي :

منذ عصر الدولة الأكرينية ، اعتادت القبائل البدوية التركية والتاتارية والسندية ، الهجرة من وسط آسيا نحو الهضبة الإيرانية ، فكانت تعبر نهر جيحون ؛ فاذا صادفتها قوات معادية اضطرت إلى الاتجاه جنوباً . وفي أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، ظهرت قبيلة من الأتراك الرحل كانت أكثر قوة بماعداها من القبائل ، وكان محمود الغزنوي قد أقطع أفرادها مقاطعة بالقرب من بخارى ، ثم أجلاهم بعد ذلك إلى خراسان ، فثار زعيمهم طغرل بك وقادهم لسحق قوة الغزنويين ، ثم شق طريقه — بعد ذلك — عبر إيران إلى بغداد ، ففتح الخليفة العباسي له أبوابها في عام ١٠٥٥ م ، (٤٤٧ هـ) لأن الخلافة العباسية المتدهورة كانت قد فقدت قواتها السابقة منذ مدة طويلة ، وسر الخليفة بمنع طغرل بك لقب ملك المشرق والمغرب ، ثم رجع طغرل إلى الري — واتخذها عاصمة له — وأسس دولة السلاجقة التي استطاع فرعها الرئيسي أن يحكم حوالى مائة عام من البوسفور إلى التركستان الصينية ، أما فروعها الصغيرة فقد امتدت سلطتهم إلى مدة أطول من ذلك .

وحينما حل السلاجقة في وسط إيران وغربها ، كان كثير من أجزائها يحكمه ولاية صغار يمسك بعضهم برقاب بعض ، فأسقط السلاجقة الدويلات المحلية ، ووجدوا آسيا المسلمة ، واعتنقوا الاسلام بحماس عظيم .

وقد صار هذا العصر أحد العصور المهمة في تاريخ الحضارة الإيرانية ، لأن الأتراك البدو الأميين سرعان ما وضعوا الفرس في المناصب الرئيسية ، وانقلبوا هم أنفسهم إلى رعاة وحماة للعلوم والفنون .

وأعقب طغرل ابن أخيه ألب أرسلان — الذى حكم من ١٠٦٣ إلى ١٠٧٢ م (٤٥٥ — ٤٦٥ هـ) وقد اتخذ إيرانيا فذا هو نظام الملك وزيره — أورئيسا لوزرائه — وأشعل ألب أرسلان حروبا كثيرة بقدره حربية لا شك فيها ، فقد اتجه غربا بقوات عظيمة — كما كانت عادة جميع المحاربين الأقوياء فى آسيا — فغزا سورية ، وهزم الامبراطور البيزنطى رومانوس ديوجينيس . وأسره ، وقد جرح ألب أرسلان جرحا مميتا على يد واحد من أسراه^(١) ، وقال قبل وفاته : « بالأمس كنت أقف على جبل راسخ ، وكانت الأرض تهتز من تحتى بسبب ضخامة جيشى ، وكثرة جندى ، فقلت لنفسى : أنا ملك العالم ، ولن يستطيع أحد أن يتغلب على ، ولهذا فقد أسقطنى الله القوى العظيم بيد واحد من أضعف خلقه ، فأنا ألتبس المغفرة منه ، وأندم على تفكيرى هذا . . . » وخلفه ابنه ملكشاه — الذى حكم من ١٠٧٢ إلى ١٠٩٢ م (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ) فأنشأ — بعد توليه بسنتين — المرصد الذى اشتغل فيه عمر الخيام وغيره من العلماء بوضع تقويم جديد ، وزين ملكشاه عاصمته إصفهان بعدد من المباني الجميلة والحدائق ، وشغل السلطان نفسه بالحروب والصيد والحفلات الملكية ، وبقي نظام الملك وزيرا ، واجتمعت فى يديه جميع أزمة الأمور فى الدولة .

والاسم الحقيقى لهذا الوزير الشهير ينسب غالبا ، فقد عرف دائما بلقبه التشرىفى « نظام الملك قوام الدين » الذى معناه « منظم الدولة والقائم على أمور الدين » وهو منظم كبير ، استطاع أن يبق على نظام البلاد الموروثة ، كما استطاع أن يفرض الحضارة الإيرانية العالية على السلاجقة ، وقد سجل تجاربه العملية فى رسالة عنوانها : « فن التاريخ وفن الحكم^(٢) » ، وقام بمجهودات متواصلة لترويج التعليم ، ونشر الدين ، فبنى سلسلة من المدارس سميت بالمدارس النظامية يبدو أنها كانت أولى المنشآت المدنية (غير الدينية) بنشر التعليم فى العصر الإسلامى ؛ وقد أنشئت أولاها فى دمشق فى عام ١٠٦٥ م (٤٥٨ هـ) ونحن نعرف أنه كانت

(١) يقصد يوسف الخوارزمى الذى كان قبل أسره قائداً للفيلة برزم فى إقليم ما وراء النهر . (المترجم)

(٢) يقصد كتاب « سياستنامه » الذى ألفه نظام الملك فى عام ٤٨٤ هـ . (المترجم)

هناك مدارس مشابهة لها في آمل ، ونيسابور ، والموصل ، وهرارة ، ومرو ، وبلخ ، وغيرها من المدن .

وكان السلاجقة يذهبون مذهب أهل السنة ، فيتشددون كثيراً مع الشيعة ، وكانت هذه الفرقة الأخيرة قد قويت جداً في إيران منذ العصر البويهى ، وكانت أهم مقاومة لها تظهر من فرقة الاسماعيلية بقيادة الحسن بن الصباح ، وهى الفرقة التى عرفت فى العالم الغربى — باسم السفاكين^(١) (Assasins) . وقد وزعوا عملاءهم من قلاعهم القوية فى شمالى إيران وفى أقصى الغرب ليشيروا الاضطرابات فى البلاد ، وليقوموا بتنفيذ اغتيالات سياسية ، وكان نظام الملك أحد ضحاياهم .

وقد عجز خلفاء ملكشاه عن الاحتفاظ بتماذك الدولة ، وسرعان ما فقدوا سورية وآسيا الصغرى ، وفضلاً عن ذلك فقد استطاع الأتابكة — وهم حكام الأقاليم الأتراك — أن يصلوا إلى درجة من القوة ، بحيث أخذت إيران تتمزق بينهم إلى دويلات شبه مستقلة .

وكان سنجر — الابن الثالث لملكشاه — آخر سلطان من السلاجقة العظام ، وقد كان قبل ذلك ملكاً على خراسان مدة اثنين وعشرين عاماً قبل اعتلائه العرش فى عام ١١١٨ م (٥١٢ هـ) . وفى أواخر حياته ، بدأت علامات الاضطرابات الداخلية تهم الدولة نظراً للتهديدات المستمرة من الخارج ، فقد جاءت قبيلة القره خطاي — وهى قبيلة تركية مغولية — من أقصى الصين ، وهزمت سنجر فى عام ١١٤١ م (٥٢٦ هـ) واحتلت إقليم ما وراء النهر . وفى عام ١١٥٣ م (٥٤٨ هـ) ، أسر الأتراك الغز سنجر فظل أسيراً لديهم حوالى سنتين^(٢) ، واحتلت نيسابور وأحرقت قبيل وفاته .

وقد دفن سنجر فى مرو — محل إقامته المحبب — فى مقبرة بنيت فى أثناء حياته ؛ وكانت فى الأصل متصلة بمسجد تلاشى الآن ، وبناء المقبرة عبارة عن

(١) المراجع : تطورت هذه الكلمة حتى عرفوا باسم « الحشاشين » .

(٢) المرجح أن سنجر ظل أسيراً لدى الغز ثلاث سنوات . (المترجم)

مربع كبير طول كل ضلع من أضلاعه الخارجية ٧٧ قدما ، وسمك حيطانه ١٩ قدما ، وقد توجت الحيطان الأربعة بأروقة تقوم عليها جوانب القبة الكبيرة ، وواجهات الحيطان الداخلية مغطاة بملاط عادى ، أما كهوف الأروقة فمغطاة بملاط مزين عليه خطوط بارزة تشبه نماذج القوالب ، وقد كتبت عليه كتابات لطيفة فوق أرضية مزخرفة بنماذج من الزهور .

وبعد موت سنجر ، استولى سلاطين الدولة الخوارزمية على أراضى الدولة السلجوقية بسرعة . وكان اتسر أول سلاطين الدولة الخوارزمية ؛ وقد حكم فيما بين سنة ١١٢٨ وسنة ١١٥٦ م (٥٢٣ — ٥٥١ هـ) ؛ وكان فى الأصل حاكما على خوارزم (خيوه) من قبل السلاجقة ، ولكنه كان — فى الحقيقة — مستقلا عن سيطرتهم ، وقد بسط ابن حفيده السلطان محمد ١٢٠٠ — ١٢٢٠ م (٥٩٧ — ٦١٧ هـ) الدولة الخوارزمية فشملت جميع إيران ، وكان على وشك التقدم إلى بغداد عند ظهور المغول .

والعصر السلجوقى مشهور بكثرة عدد شعرائه وفلاسفته وعلماؤه الذين كان أشهرهم الغزالى الفيلسوف المتصوف الشاعر ، الذى أدخل فى التصوف الإسلامى العواطف الصوفية المسيحية القائمة على فكرة الحب المطلق واستطاع — فى الوقت نفسه — أن يجعل التصوف داخل نطاق العقيدة الإسلامية السنية ، وبذلك أثر تأثيرا كبيرا فى الفكر الإيرانى فى العصور التالية .

وأعظم شعراء الصوفية هو فريد الدين العطار ؛ وتشتمل مؤلفاته على تاريخ قيم لحياة الأولياء والمتصوفة^(١) ، وكتاب « منطق الطير » ، وفيه تبحث الأرواح — وهى فى هيئة طيور — عن الله . ومن أهم آثار ذلك العصر آثار نظامى الكنجوى التى تعرف — فى مجموعها — باسم الخمسة ، وتشمل المنظومات الرومانتيكية الأربع : « خسرو وشيرين » ، و « ليلي ووجنون » ، و « العرائس السبع » ، (هفت بيكر) وحكاياتها عن بهرام كور ، و « كتاب الاسكندر » ، (اسكندر نامه) وهو القصص الخرافية المتعلقة بالاسكندر الأكبر ، والمنظومة

(١) يقصد المؤلف كتاب « تذكرة الأولياء » للعطار . (المترجم)

الصوفية « مخزن الأسرار » . أما كتاب المقالات الأربع « جهاز مقاله » ، لنظامي العروضي فعبارة عن مجموعة من القصص والحكايات عن الشخصيات الموجهة في ذلك العصر .

وكان « ناصر خسرو » ، شاعرا مشهورا ورحالة ، وقد ترك سجلا ممتعا قيما عن رحلاته^(١) . وعاش عمر الخيام تحت رعاية ألب أرسلان وملكشاه وكان فيلسوفا ورياضيا ومنجما ، فضلا عن أنه كان شاعرا صيغت أفكاره الصوفية بالشك والتشاؤم^(٢) .

ونشطت حركة البناء نشاطا كبيرا في أثناء العصر السلجوقي ، وينسب جزء كبير من المساجد الإيرانية إلى هذا العصر ، وقد أدخلت المساجد — حينذاك — فكرة الساحة المفتوحة التي في وسط البناء ، تحيط بها عقود مسقوفة ، وإيوان على كل جانب من جوانب الساحة وردحات للصلاة تقع على جانبي كل إيوان . وقد بنى المسجد الصغير الموجود في زواره على هذا الأساس في صورة بناء منفرد في حوالي ١١٣٥ م (٥٣٠ هـ) ، ولكن أكثر المساجد التي أنشئت في ذلك العصر توجد فيها الحجرة المربعة التقليدية المتوجة بقبة ، أما الإيوانات والأقواس فقد أضيفت في زمن متأخر ، لتكتملة البناء ، وكانت الحجرات المربعة المهيبة مستعملة — أيضا — للزارات والقبور ، وقد وجدت نماذج مثالية لهذا النوع في « سنك بست » ، بالقرب من مشهد وفي المسجد الكبير وفي مسجد حيدريه بقزوين ، وفي مسجد كلبايبكان المنشأ في عهد السلطان محمد في بارسيان (Barsian) .

وتوجد في الحجرة المقبوة بمسجد قزوين كتابة ممتعة تفصل الترتيبات التي عمدت لتمويل صيانه ؛ وهي كالآتي : « قد أوقفت على هذا البناء والمدرسة الملتحقة به ثلاثة أرباع قرية هوازآباد (Hovasabad) وسبعة عشر قيراطا من قرية جويران (Juyran) ، وجميع البستان الموجود على طريق الجوسق ، وجميع الكروم التي في نهاية نهر أبهر ، وجميع الحوانيت التي في قزوين وقفها صحيحا

(١) المراجع : يعرف في الفارسية باسم « سفرنامه » وقد ترجم إلى العربية في سنة ١٩٤٥ .

(٢) المراجع : ترجمت رباعياته إلى العربية مرارا في مصر وسوريا والعراق ولبنان .

مؤبدا ، وفقا للشروط المبينة في الحجج ، ملتصقا بذلك رضا الله ولا يجوز لأى حاكم أو ظالم أو مغتصب أو أى شخص آخر أن يغير أو يعدل هذه الوقفية ، فإذا حاول أحد أن يفعل ذلك ، فلتحل عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ويعد المسجد الجامع في إصفهان أكبر الأبنية الأثرية في إيران ، وأكثرها دقة وأهمية ؛ وتوجد في داخل المسجد حجرتان فخمتان مقببتان ، أنشئت إحداهما في عام ١٠٨٨ م بأمر تاج الدين — الذى كان منافسا سياسيا لنظام الملك — وأنشأ الأخرى نظام الملك نفسه فى نفس العام .

وما زالت أبراج المقابر التى ترجع إلى عهد السلاجقة قائمة — أيضا — ومن الأشياء الجديرة بالمشاهدة — بصفة خاصة — مقبرة طغرل بيك — ذات الحافات البارزة المتكررة — فى مدينة الرى ، وثلاثة أبراج فى مراغة ، واثنان فى نخجوان ، و« كنبذ سرخ »^(١) فى مراغة . ويرجع تاريخها إلى عام ١١٤٧ م (٥٥٢ هـ) — وبها أفاريز مزدوجة على جدرانها الخارجية ، تنتهى بنماذج من الأربطة المتنوعة من الحجر الأحمر ، وهناك نماذج أخرى للزينات المعمارية المألوفة فى ذلك العصر ، وهى عبارة عن قطع من الفخار المحروق متشابكة فى نماذج هندسية ، ومحاريب منحوتة من الحصى ، وكتابات بارزة على الأعمدة . ويظهر فن صناعة الفخار فى ذلك العصر — تقدما عجيبا انتهى به إلى الفخار المغرق فى الزخرفة الذى اشتهر فى العصر المغولى اللاحق :

وفى أواخر العصر السلجوقى ، وجد الفخار البراق المؤرخ ، والقرميد المعماري ، كما وجد الفخار ذو الألوان المتعددة المصنوع فى مصانع الرى وكاشان . وكانت بعض المدن مثل أغه كند (Aghkand) ويستكند (Yastkand) ، وآمل تصنع قطعاً ثقيلة ملونة ، محفور عليها صور الحيوانات والطيور فى بروز قليل يتوصل إليه الصانع بكحت أرضيتها . واستعملت — فى الرى وكاشان — الموضوعات المألوفة فى المنمنمات ، فأظهرت قطع صغيرة منها مناظر من

(١) « كنبذ سرخ » كلمتان فارسيتان معناهما « القبة الحمراء » . (المترجم)

الشاهنامه ، ومناظر الفرسان والصيد والعرش والأشراف ، أو مجموعات متجانسة تجلس في الحدائق المزهرة . وكان عدد كبير من المدن الهامة ينتج كميات كبيرة من المنسوجات القطنية الجميلة ، والمنسوجات الصوفية ، والأقمشة الحريرية ، وهناك حوالى خمسين قطعة من الحرير الفاخر وجدت في القبور السلجوقية في الري ، وهى تشير إلى مهارة فنية تامة في أداء مجموعات الكتابات وصور الإنسان والحيوانات ، وتشتمل المصنوعات المعدنية على مرايا برونزية حليت ظهورها بمناظر رسمت على بروز منخفض .

وقد زخرت المناحف والمجموعات الخاصة بأدوات مصنوعة من النحاس أو البرونز كالغلايات ، ومواقد البخور ، والأباريق ، والشمعدانات ، والصواني ، والمصابيح ، والجرار ، وصناديق الأقلام ، وبمجموعة أقل من الأواني الفضية ، والصواني ، وتظهر المهارة الفنية في أرفع درجاتها في النقوش المحفورة ، وهى — فى الغالب — مطعمة بالفضة ، أو بالفضة والذهب معا .

العصر المغولى :

حدثت ولادة تموجين حوالى عام ١١٦٠ م (٥٥٥ هـ) ، وهو الشخص الذى قيضت الأقدار له قيادة قبائل المغول عبر آسيا متخذاً لقب جنكيز خان ، وقد أحاط الغموض التام بنشأته ، ولكنه سرعان ما استطاع أن يقود طوائف الرعاة المتبدية ، وأن يكتسح البلاد جنوباً وشرقاً ويسيطر على الصين المتحضرة . وفى عام ١٢١٩ م (٦١٦ هـ) اتجه غرباً على رأس سبعمائة ألف رجل يركب كثير منهم خيولاً نجيلاً هزيلة ، وتوقف على حدود الدولة الخوارزمية ليرسل رسلاً إلى السلطان محمد الذى استنكف أن يتصل بهؤلاء البرابرة غير المعروفين ، فكانت النتيجة التحطيم السريع لدولته .

وسار الجيش المغولى قدماً للاستيلاء على بخارى ، وسمرقند ، وبلخ ، ومرو ، فحوصرت المدن التى أبدت مقاومة ؛ ثم اجتاحت وأحرقت ، وكثيراً ما محيت من فوق سطح الأرض ، وسقطت نيسابور فى عام ١٢٢١ م (٦١٨ هـ) ،

وقتل سكانها ، وجميع الكائنات الحية التي بها — بما في ذلك القطط والكلاب —
وطارد السلطان محمد في المنطقة التي على ساحل بحر قزوين ، ولكنه استطاع
الهرب في قارب صغير وهو على بعد خطوات قليلة من مطارديه . وقد قتل
في هذا الغزو الأول ، وفي موجات الغزو اللاحقة ملايين من أهل إيران .

ثم رجع جنكيز خان إلى الشرق بعد أن أتم الاستيلاء على أغلب إيران ،
وتوفي هناك في عام ١٢٢٧ م (٦٢٥ هـ) . وقد صمم المجلس الذي عين خليفته
على إرسال جيش لقتال بقايا القوات الخوارزمية ؛ فقاد القائد جرماغون
المغول ، حتى بلغ شمال غربي إيران والعراق ، واستمرت الغارات والمذابح
في السنوات التالية .

وفي عام ١٢٥٦ م (٦٥٤ هـ) قاد هولاكو حملة ضد الحشاشين (الاسماعيلية) ،
فاجتث قلاعهم وحطم قوتهم . وفي عام ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) هجم على بغداد ،
واكتسحها بعد حصار دام شهرا ، وقتل آلافا من الناس ، وأحرق قصور
الخلفاء ومساجدهم وقبورهم واستولى على مقادير كبيرة من الأسلاب ، وأعدم
آخر خلفاء العباسيين ومحا أسرته ، ولكن هولاكو هزم في فلسطين هزيمة
فاصلة على أيدي المصريين ، وكان هذا أول كبح لجماع القوات المغولية .

فانسحب إلى مراغة في الشمال الغربي من إيران ؛ واستقر المغول في إيران
بصفة مستديمة ، وفيها اتخذ هولاكو لقب ايل خان أو « تابع الخان » وهو
اللقب الذي انتقل إلى خلفائه ، وأكسب دولتهم اسم « دولة الايلخانيين
في إيران » .

وقد تابع المغول — منذ بدأوا يعيشون في إيران — أنواعا جديدة من
العادات ، وأنماط الملابس ، والمعتقدات الدينية تختلف عما اعتادوه في
أسلوب حياتهم القبلية ، وعملت قوة الحضارة الإيرانية وأصالتها على تغيير
عاداتهم وأخلاقهم وقد استبقى المغول النظام الإقطاعي في الحكم ، وعينوا
الفرس في المناصب الإدارية العالية ، وأصبح السلاطين الايلخانيون رعاة
للآداب والفنون .

وفي عام ١٢٦٧ م (٦٦٦ هـ) توفي هو لاكو ، وخلفه ابنه آباقا الذي حكم إلى عام ١٢٨٢ م (٦٨١ هـ) ، وقد باءت حملاته على سوريا بالفشل ، فلما حدث ذلك أحيا آباقا الفكرة القديمة التي ترمى إلى إرسال رسل إلى بلاط ملوك أوروبا والبابا . واقترح — كما فعل كثير من الحكام المتأخرين — عقد حلف عسكري بين الشرق والغرب ضد المصريين المسلمين ، وكان من المحتمل أن يضمن هذا الحلف للشعوب المسيحية الاستيلاء على الأماكن المقدسة ، ولكن هذه الشعوب لم تبد اهتماما كبيرا بالفكرة .

واعتنق تكودار أخو آباقا الذي خلفه على العرش الدين الإسلامي علانية واتخذ لنفسه اسم أحمد .

وقتل تكودار في عام ١٢٨٤ م (٦٨٣ هـ) ؛ خلفه أرغون بن آباقا ، وفي أثناء عهده ، حظى المسيحيون النسطوريون الذين كانوا يعيشون في الشمال الغربي من إيران والعراق بعطفه ، فأعاد مطرانهم بناء الكنيسة في مراغه ، وكانت مقاليد الأمور جميعها — في ذلك الوقت — في أيدي الموظفين الإيرانيين الرسميين الأكفاء ، وبعد وفاة أرغون في ١٢٩٣ م (٦٩٢ هـ) حكم أخوه كينخاتو لمدة أربع سنوات ، ثم خلفه « بايدو » الذي شغل العرش أقل من سنة .

وقد أدخل اعتلاء غازان — حفيد هو لاكو — العرش في عام ١٢٩٥ م (٦٩٥ هـ) الدولة في عهد ذهبي جديد ، استمر أثناء عهد خليفته أولجايتو ، واعتنق غازان الإسلام ، فأخذت روح التسامح الديني التي ميزت العصر المغولي في التضاؤل ، وصار طابع البلاط في مدينة تبريز العاصمة إسلاميا فارسيا تماما ، وكانت الإدارة الرشيدة والرخاء الشامل أهم أهداف الحاكم ، مع فرض ضرائب عادلة تجمع بانتظام ، وسن قوانين منسقة ، وإيجاد أمن داخلي .

وكان عشرة آلاف رجل يحرسون طرق القوافل الرئيسية التي تمر منها قوافل عديدة في أمان ، وكان لكل من جنوه وفنيسيا مبعوثون تجاريون ، وجاليات من التجار تقيم في تبريز . وفي عام ١٢٩٧ م (٦٩٧ هـ) أمر غازان بيده الأعمال الإنشائية في ضاحية من ضواحي تبريز ، ولم تمض سنوات كثيرة حتى

كانت عمارة مقبرته ، ذات الاثني عشر ضلعاً ، المتوجة بقبة كبيرة ، مركزاً لمجموعة من المباني المقامة في وسط الحدائق ، وكانت المباني تشمل رباطاً ، ومستشفى ، ومدارس دينية ومرصداً ، ومكتبة ، وقصراً أو مبنى للإدارة ، وأكاديمية للفلسفة ، وما زال هذا المكان ظاهراً حتى الآن بما بقي من أكوام الأبنية المتخلفة من مقبرته المحطمة ، وقام غازان — في أواخر حياته — بمحاولة أخيرة لغزو سورية ومصر ، فاستولى على حلب ، ولكن المصريين هزموه بالقرب من دمشق .

وشخصية غازان تعتبر صورة من صور البطولة ، ولكن وزيره الكبير رشيد الدين كان أيضاً معادلاً له في فضائله . وكان رشيد الدين مواطناً فارسياً ، وكان في بداية أمره طبيباً محترفاً في عهد آباقا ، ثم صار بعد ذلك مؤرخ البلاد والمنظم الرئيسي للدولة في عهدي غازان خان وأولجايتو ، وقد صرف أغلب نشاطه في كتابة تاريخ عمومي^(١) ، جعل جزءاً منه سجلاً مفصلاً للمغول وإنشاء دولتهم ؛ وقد استعان في كتابته بأحسن المصادر وأكثرها دقة واعتماداً ، فرجع إلى السجلات المغولية الرسمية ، وقد ساعده ناسك كشميري في كتابة تاريخ الهند ، وعكف عالمان صينيان على الكتابة عن الصين ، وكانت معلومات رشيد الدين عن الأوضاع السياسية في أوروبا دقيقة جداً ، فكان يعرف عن أوروبا معلومات أكثر كثيراً جداً من المعلومات التي عرفها الأوروبيون — في ذلك الوقت — عن آسيا ، حتى إنه سجل الحقائق الخفية مثل عدم وجود ثعابين في أيرلنده ، وحينما أنتم كتابته في عام ١٣١٠م (٧١٠هـ) ، اتخذ جميع الاحتياطات اللازمة لبقائه ، فأمر بإرسال نسخ عديدة منه إلى مكاتب المدن الكبيرة ، وجعل المخطوطة في متناول الأيدي لاستنساخها ، فكانت تنسخ منها في كل عام نسخ جديدة عديدة بلغات مختلفة .

وقد أنشأ رشيد الدين ضاحية في خارج تبريز سماها « الربع الرشيدى » وخصصها لترقية الفنون والعلوم ، وسرعان ما أسكن فيها رجال الدين والفقهاء ،

(١) يسمى هذا الكتاب « جامع التواريخ » . (المترجم)

والمحدثين ، وقارئ القرآن ، والطلاب ، وأصحاب الحرف من كل نوع ؛ فأقاموا في ثلاثين ألف بيت جميل ، بنيت في هذه المحلة .

وزينت نسخ من كتابه في التاريخ العام بالصور ، وتقول السجلات المعاصرة إن نقاشى المخطوطات كانوا يظفرون منه برعاية كبيرة ، وقد ظلت صورهم تقلد طريقة مدرسة بغداد في النقش في القرن الثالث عشر الميلادى ، وظلت قطع الورق تجلب من بغداد ، ولكن أسلوب النقش كان منسجما جدا مع روح البلاط وخصائصه ، فظهر الملوك الايلخانيون وزوجاتهم — في المنمنمات — وهم يلبسون قبعات صينية ، وبدا التأثير الصينى قويا في الأشجار والأزهار المخططة نتيجة تريرات سريعة بالفرشة مألوفة في فن الرسم ، كما أن رسم السحب اتخذ صورة النماذج الشرقية الحلزونية الملففة .

وتوفى غازان خان في عام ١٣٠٤ م (٧٠٤ هـ) ، خلفه أخوه أولجاتيو إلى أن توفى — في عام ١٣١٦ م (٧١٦ هـ) — وهو فى السادسة والثلاثين من عمره ، وقد عمد أولجاتيو فى أثناء طفولته على أنه نصرانى ، ولكنه اختار الإسلام بعد ذلك ، واتخذ لنفسه اسم « محمد خداينده ^(١) » ، وقد وجد لذة فى الالتحاق بفرق إسلامية متعددة ، فكان حنفيا وشيعيا وسنيا على التوالى . وفى عام ١٣٠٦ م (٧٠٦ هـ) أمر أولجاتيو ببدء العمل فى بناء مدينة السلطانية التى تقع على سهل فسيح بالقرب من قزوین ، وهى المدينة التى خلفت تبريز فصارت عاصمة لإيران فى عهد الايلخانيين ؛ وقد تنافس السلطان نفسه ، ورشيد الدين ، ووزير آخر يسمى تاج الدين على شاه ، وكثير من رجال البلاط فى تمويل بناء القصور والمباني العامة ، والميادين العامة للمدينة الجديدة ، وبدئت بين أسوارها أعمال إنشائية لبناء ضريح أولجاتيو الذى ما زال قائما فى حالة حسنة جدا ، وهو واحد من أجمل الآثار التى أنشئت فى إيران ، ويعتبر مفخرة لاية دولة ، ولأى أسلوب من أساليب البناء . والضريح ذو ثمانية أضلاع — من حيث تصميمه — وحيطانه الخارجية متوجة بثمانى منارات

(١) « خداينده » كلمة فارسية مركبة معناها « عبد الله » (المترجم) .

تكون دائرة حول القبة الكبيرة المغلفة بقوالب زرقاء صقيلة براقه ، وداخل الضريح ساحة مشمسة الأضلاع قطرها ثمانون قدما وارتفاعها — من الأرض إلى قمة القبة سبعون ومائة قدم ، وفيها مدفن صغير في الناحية الجنوبية ؛ وقد اختمرت في ذهن أولجاتيو — أثناء تقدم الأعمال الإنشائية — فكرة إحضار رفات علي والحسين وأئمة الشيعة من العراق ، وتحويل مقبرته إلى مزار لأجدادهم ، فأخذت النقوش تعد بحيث يكون اسم علي منحنوا بوضوح في الكتابات ، ولكن الفكرة طرحت بعد ذلك ، وأعيدت زخرفة المقبرة جميعها من الداخل ، قبل أن يتم هذا البناء الأثري ، وقدمت المدينة الجديدة هدية لأولجاتيو في عام ١٣١٣ م (٧١٣ هـ) . وسرعان ما أصبحت أسواق هذه المدينة الجديدة شهيرة ، وأصبح من الممكن أن توجد فيها توابل الهند ، وفيروزج خراسان ، ولاجورد بدخشان وياقوتها الأحمر ، ولآلى الخليج الفارسي ، وحرير سواحل بحر قزوين ونيلة كرمان ، ومنسوجات يزد ، وأقمشة فنيسيا ولبارديا وألمانيا ، والأقمشة الحريرية المشجرة ، والزيت ، والمسك ، والراوند الصيني ، والصقور الواردة من أوروبا ، والخيول وكلاب الصيد المجلوبة من بلاد العرب .

وأجلس أبو سعيد على العرش — خليفة لوالده — وهو في الثانية عشرة من عمره ، وفقد رشيد الدين وظيفته ، وأعدم في النهاية نتيجة لتدبير منافسه على شاه ، وكانت القوة المغولية قد بلغت ذروتها في إيران حينذاك ، وكانت في حاجة إلى شخصية أكبر من أبي سعيد الذي لم يتعد سن الشباب طوال حكمه لإيقاف انهيارها السريع ، فتمرد النبلاء وقويت شكيمتهم ، وبدأت أقسام من الدولة في الانفصال عن كيائها الرئيسي .

وكان جنوبي إيران قد أنقذ من تدمير المغول ، لأن حكمه تعهدوا بدفع خراج ضخم للغزاة ، واستطاعت الدولة المظفرية في كرمان في أيام أبي سعيد أن تبسط نفوذها على فارس ، وأغلب الجزء الجنوبي من إيران ، وتوفي أبو سعيد في عام ١٣٣٥ م (٧٣٦ هـ) . وكان غازان خان قد ذبح كثيرا من الأعضاء المنافسين له من العائلات المغولية ، فخارب المطالبون بالعرش من الفروع

البعيدة من الشجرة المغولية بعضهم بعضا بعد وفاة أبي سعيد ، دون الوصول إلى نتائج حاسمة ، وتناحرت البلاد داخليا في أثناء ما تبقى من القرن الرابع عشر الميلادي . وكانت الدويلات الصغيرة تحكم فترات قصيرة زائلة ، وكانت أقواها دويلة آل المظفر ، والسربداريين الذين استولوا على خراسان ودامغان^(١).

وكانت المدة من موت هولاكو إلى آخر عهد أبي سعيد غنية غنى هائلا بالإنتاج الأدبي ، وفيها — وحدها دون ما عداها — كتبت كثير من الكتب التاريخية التي تعتبر من الطراز الأول بين المصادر التاريخية ، كما بذلت مجهودات قيمة في حقول الطب وعلم النبات ، وعلم الفلك ، والعلوم الطبيعية . وقد أكمل الجويني كتابه : « تاريخ جهان كشاي » ، في عام ١٢٦٠ م (٦٥٩ هـ) ؛ وهو يتضمن تواريخ جنكيز خان وحكام خوارزم ، والإسماعيلية ، وكان الجويني أحد أفراد أسرة مشهورة من الموظفين الفرس في عهد المغول ، وكان هو نفسه حاكما على بغداد سنوات كثيرة . كما أكمل فارسي آخر هو عبد الله بن فضل الله — الذي يعرف غالبا باسم الوصاف — تاريخ الجويني وأوصله إلى عصره ، في كتابه المسمى « تاريخ وصاف » . وقد ألف رشيد الدين كتباً أخرى مهمة بالإضافة إلى كتابه التذكارى الفخيم ، وكتب حمد الله مستوفى القزويني — وهو صديق عزيز لرشيد الدين — كتابين تاريخيين مهمين : أحدهما : كتاب جغرافى^(٢) ، والآخر منظومة تاريخية مطولة تسمى « ظفر نامه » ، أو « كتاب الظفر » .

وعاش — في ذلك العصر — عدد كبير من الشعراء المشهورين ولكن اثنين منهم كانا أكثر شهرة من الجميع ، وهما جلال الدين الرومى ، وسعدى الشيرازى .

وكان الرومى — الذى توفى في عام ١٢٧٣ (٦٧٢ هـ) — شاعرا صوفيا كبيرا ، ومؤسسا للفرقة المولوية ، التى تعرف باسم الدراويش الدائرين أو الراقصين ،

(١) المترجم : ارجع إلى تفصيل ذلك في كتاب حافظ الشيرازى تأليف الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشورابى ، طبع مطبعة المعارف سنة ١٩٤٤ (ص ٣٩ — ١٦٢٠) .
(٢) المراجع : يعرف باسم « نزهة القلوب » وهو مطبوع ضمن المجموعة التذكارية لأوقاف جب .

وقد ظل نفوذهم قويا في آسيا الصغرى عدة قرون ، وتسمى منظومته الطويلة — التي تشغل ستة كتب — بـ « المثنوى » ، وهو اسم ضرب من الشعر القصصى يتكون من أبيات يكون البيت فيها مقفى بين شطريه ، ويعتبر المثنوى عملا من الدرجة الأولى ، والكتاب الأساسى للتصوف الفارسى ، وكان الرومى صوفيا ، فخصص أجزاء كثيرة من المنظومة لخدمة هدفه الوحيد ، وهو تقوية الأخلاق ، والحقائق الصوفية . ويعد سعدى ألمع جوهرة بين سائر جواهر الأدب الفارسى ، وقد ولد في شيراز ، وأمضى شبابه في الدراسة ، ثم قام بسلسلة من الرحلات الطويلة ، وأسر في طرابلس بواسطة الصليبيين ، ولكن صديقا افتداه في النهاية ، فرجع إلى شيراز وقضى بقية حياته فيها ، متمتعا باحترام الحكام المحليين ، وتقدير أباقاخان إلى أن توفى في عام ١٢٩١ م (٥٦٩٠هـ) .

وديوانه أو آثاره المجموعة هي عبارة عن « كلستان » ، أو « روضة الورد » ، و « بوستان » ، أو « الحديقة » ، ومنظومات أخرى صوفية وأخلاقية كثيرة .

والكلستان — وهو النموذج الزفيح الذى احتذاه النثر الفارسى في العصور اللاحقة — عبارة عن مجموعة من الحكايات المكتوبة نثرا ، ولكنها تشتمل على مقطوعات من الشعر ، أما الـ « بوستان » فشعر جميعه ، وهو يمجّد العدل والمساواة ، والتواضع ، والبساطة ، والترية ، والعبادة ، والتفكير ، وغيرها من الموضوعات ، وقد نصّح سعدى — كصوفى — بالاعتدال على أنه الفضيلة الأولى ، وأوصى بأن نقنع بنصيبنا في هذه الحياة ، وأن نعيش ما أمكن عيشة فاضلة عفيفة استعدادا للحياة الأبدية .

ومن أهم رجال العلم — الكثيرين في ذلك العصر — نصير الدين الطوسى الذى كان في البداية يعمل في خدمة الاسماعيلية ، ثم حاز إعجاب هولاكو فاستخدمه في تشييد مرصد في مراغه وإدارته . وقد وضع في هذا المبنى الجديد عدة أدوات مصنوعة بطريقة خاصة مثل الاسطرلاب ، وأدوات رصد تحركات الأجسام السماوية وصورة الكرة الأرضية . وقد وصف كاتب معاصر هذا الرجل فقال : « هو رجل واسع الاطلاع في جميع فروع الفلسفة يدير

جميع المؤسسات الدينية في البلاد الخاضعة للحكم المغولي ، ألف كتباً كثيرة في المنطق والعلم الطبيعي وماوراء الطبيعة كما كتب شروحا على كتب إقليدس وأفلاطون وأرسطو .

ويبدو أن نشاط حركة البناء قد توقف في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، فقلما توجد الآن آثار قائمة يرجع تاريخها إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي . وقد حطمت غزوات المغول مباني لاعداد لها في المدن المدمرة ، ولم تعد الحياة لحركة البناء في إيران إلا بعد ظهور المغول فيها بثلاثين عاما ، فقد شيد هولاء كورصدآ لمراغه ، ودارا للخرانة ، ومقبرة له ، وأبنية أخرى لم يبق منها إلا الجدران الأساسية للرصد ، ومع ذلك فما زال باقيا في إيران مائة — على الأقل — من الأبنية المهمة التي بنيت منذ عهد هولاء كور إلى وفاة أبي سعيد ، أغلبها عبارة عن مساجد ، ومزارات أو مقابر . غير أنه يوجد بينها أيضا عدد قليل من الخانات المخصصة لمبيت القوافل ، ومن أبنية من نماذج أخرى . ويعتد الفن المعماري لهذه الأبنية استمرارا للآثار المعمارية التي أنشئت في عصر السلجقة قبل ذلك بقرن تقريبا . ولكن استعمال الآجر المزخرف — الذي يوضع كعلامة للزينة — أخذ في الزوال ، وانتشر الملاط المزخرف انتشارا واسعا وتطور تطورا كبيرا وغطت نماذجه القوية وجوه المحاريب ، وأربطة الكتابات ، وأوجه الحيطان ، والأقباء . وكان كثير من الملاط ملونا بالألوان الحمراء والبيضاء والخضراء والصفراء ؛ وظهر فن آخر في التزيين هو استعمال القرميد المصقول على الجدران الخارجية والداخلية ، وقد استعملت — في البداية — قطع صغيرة من القرميد الأزرق الخفيف أو الثقيل ، ثم استعمل القرميد الأبيض والأسود ، وزاد استعماله إلى أن غطيت مساحة برمتها بقطع صغيرة من القرميد المصقول ، وصنعت بإتقان . وأصبح هذا الفن — الذي يعرف باسم الترصيع بالفسيفساء علامة مميزة لفن البناء في العصرين التيموري والصفوي .

وقد تحدثنا — فيما سبق — عن اثنين من الآثار الثلاثة العظيمة التي تختلف

عن العصر الايلخاني ، وهما مقبرتا غازان خان وأولجايتو ، أما الأثر الثالث فهو المسجد الذي بناه الوزير علي شاه في تبريز في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، ويشتمل بناؤه الواسع على ساحة كبيرة مفتوحة ، وعلى حوض فيه نافورة في وسطه ، وصومعة ، ومدرسة دينية ، والبناء الرئيسي للمسجد ، وهذا الجزء الأخير عبارة عن ساحة إيوان واسع عرضها الداخلي مائة قدم . وكان هذا البناء — حينما تم بناؤه — يشابه القصر الساساني المسمى بطاق كسرى في المدائن مشابهاً عظيمة ، ويشاهد — الآن — قسم كبير من جدرانها التي سمكها ثلاثون قدماً ، وبقيت كذلك أبنية أخرى شهيرة مشيدة في أصفهان ، وورامين ، ونطنز ، وبسطام في حالة جيدة .

وقد بقيت أمثلة قليلة لقطع فخارية ذات تاريخ ، استطاعت أن تنجو من سنوات التدمير الواقعة بين ١٢٢٠ و ١٢٤٢ م (٦١٧ — ٦٤٠ هـ) ولكن عدداً كبيراً من النماذج الفخارية مؤرخ بعد عام ١٢٤٢ م (٦٤٠ هـ) . وهو دليل على انتعاش صناعة القاشاني في كاشان والري والمراكز الأخرى ، وتشتمل قطع كاشان المؤرخة على محاريب كبيرة ؛ تكونت من تريعات كبيرة من الخزف اللامع ومن التريعات النجومية البراقة ، التي كانوا يستعملونها مع التريعات الصليبية في زخرفة أسفل الجدران الداخلية ، وتشتمل كذلك على سلاطين منقوشة لامعة جداً أو ذات ألوان متعددة ، وعلى أطباق وقوارير ؛ والقطع اللامعة لها بريق واضح من اللون الأحمر أو الذهبي أو البني ؛ تنج عن تغطية القطع المصنوعة بصبغة من أكسيد النحاس أو نترات الفضة ، ثم إعادة وضعها على النار حتى ترسب طبقة خفيفة من المعدن على سطح القطعة .

وعلى العموم ؛ فإن الفخار في العصر المغولي كان أكثر زخرفة ، وكان متنوعاً تنوعاً كبيراً يفوق كل ما كان موجوداً في العصر السلجوقي ، ويمتاز العصر المغولي بالفن الذي يعرف باسم « الميناء » ، وفيه تنقش نماذج متعددة الألوان على الفخار المصقول ، وكان أروعها الفخار المصقول ذو الألوان الذي وُشي بالذهب ببعض رسومه ، ورغم أن بعض نماذج الفخار المشهورة

تنسب إلى مصانع كاشان والرى وساوه النشيطة ، فإن مدنا أخرى كثيرة قد أنتجت — أيضا — فخارا رائعا ، كما وجدت قطع كثيرة جدا — في السنوات الحديثة — في الحفريات التي عملت على طول الركن الجنوبي الشرقي لبحر قزوين .

وقد ذكرت — فعلا — بعض الإشارات إلى طريقة زخرفة مخطوطات تاريخ رشيد الدين التي تمت في صاحيته التي بناها خارج تبريز ، وقد بقيت كذلك صفحة من كتاب مزين بالصور للبيروني مؤرخة بعام ١٣٠٧ م (٥٧٠٧) ، كما نقشت كتب كثيرة في الضاحية نفسها ، وذهبت في هذا العصر أيضا نسخ من الشاهنامه ؛ ومن المعتقد أن الصفحات الكبيرة التي كانت موجودة — فيما مضى — في مجموعة ديوت (Demotte) قد نقشت في تبريز ، وتقل فيها تأثيرات الشرق الأقصى ، فقد تغيرت فيها طرق التصميم والتفاصيل ، وصارت الألوان أزهى ، وأصبحت الأرضية المذهبة طريقة شائعة .

وكانت هناك مراكز أخرى لنقش الصور الصغيرة (المنمنمات) في شيراز وهرارة . وقد غطيت الصفحات المزينة الفخمة في نسخة من القرآن أعدت لأولجا تيوف في همدان في عام ١٣١٣ م (٥٧١٣) بنماذج هندسية من الأزهار ، تشبه — كثيرا جدا — النماذج المستعملة في الزخارف المعمارية المعاصرة لها ، كما توجد صفحات مثلها في نسخ من القرآن كتبت في الموصل ومراغة . واستمر نسج الأقمشة قائما في تبريز ونيسابور وهرارة ، وقم ويزد ومراكز أخرى ، وقد حفظت في المتاحف والمجموعات الخاصة حوالى ثلاثين قطعة من الحرير الرائع ؛ ظهر في بعضها الأثر الصيني ، وقد استعمل بعضها الخيوط الذهبية أو الفضية ، ونسج بعضها بنماذج مخططة دقيقة ، كما زخرف بعضها بنماذج من شجيرات النخيل أو اللوتس ، أو أنواع أخرى من الزهور وقد وجدت بعض هذه القطع في أوروبا بعيدا عن إيران ، وتحمل واحدة منها اسم أبي سعيد .

وقد وجد اسم أبي سعيد أيضا على طشت نحاسي نخم مرصع بالذهب والفضة وحذت نماذج أخرى شهيرة — مصنوعة من المعادن — حذو الفن الذي كان

متبعاً في العصر السلجوقي ، ونستطيع أن نلم بفن نجارة الخشب — في هذا العصر — بملاحظة عدد من المنابر وأبواب المساجد والمزارات ، وقد استعمل فيها نموذجان رئيسيان : أحدهما الأشكال الهندسية المكونة من زوايا وأضلاع متقاطعة ، والآخر مكون من أشكال نباتية معروفة متشابهة .

العصر التيموري :

كانت الأحوال في المناطق الشرقية لإيران غير مستقرة مدة كبيرة من الزمن ، وقد منحت أراضي إقليم ما وراء النهر — بعد الفتح المغولي الرئيسي — لجغتاي الابن الثاني لجنكيز خان ، فأسس هناك دولته الخاصة ، وبعد ذلك بقليل قسمت هذه المنطقة الواسعة إلى قسمين : الأول منطقة ما وراء النهر الفعلية ، والثاني منطقة تركستان . ثم اشتبك القسمان معا في حروب متواصلة استمرت إلى عام ١٣٧٠ م (٧٧٢ هـ) ؛ حينما تمكن تيمور — الذي كان إذ ذاك في خدمة حاكم تركستان — من إخضاع الدولة المنافسة .

وقد ولد تيمور — أوتيمور لنك كما هو معروف للعالم الغربي — بالقرب من سمرقند في عام ١٣٣٣ م (٧٣٤ هـ) ، وهو ابن حفيد رئيس قبيلة برلاس التركية . فلما أصبح سيداً على إقليم ما وراء النهر ، وجه قوته الجديدة نحو الغرب ، ففتح خراسان ومازنداران وسجستان في عام ١٣٨٠ م (٧٨٢ هـ) . واستولى على آذربيجان وجورجيا وغربي إيران في عام ١٣٨٤ م (٧٨٦ هـ) وغزا إقليم فارس جميعه في عام ١٣٩٢ م (٧٩٥ هـ) وقام بهذه الحملات بقوات قليلة نسبياً ، مما جعله يواجه بعض المصاعب أحياناً ، وجعل تقدمه غرباً بطيئاً .

ثم سار إلى بغداد ، وتوجه بعد ذلك إلى سورية حيث استولى على حلب ودمشق ، وقد كانت غزواته أقل تدميراً من غزوات المغول ، ولكنها أدت إلى كثير من التدمير ، فهناك تقرير عن بعض أعماله يسجل ما يلي : « وبمجرد أن هزموا ، وسلموا أسلحتهم ، جرد سيفه ضدهم ، وسلط عليهم جميع أسلحة الموت ، ثم ترك المدينة خراباً ، فلم يترك فيها شجرة ولا حائطاً إلا حطمها تحطياً

تماماً ، فلم يبق منها شجرة أو أثر ، . ولكنه — من ناحية أخرى — كثيراً ما سمح لصغار الحكام ، والسلاطين والأمراء بأن يستبقوا سلطتهم المحلية .

كما فتح — أيضاً — جزءاً كبيراً من تركستان الروسية ، ومن الهند ؛ وفي عام ١٣٩٨ م (٨٠١ هـ) رجع إلى عاصمته سمرقند ، ليشرّف على تنظيم إدارة دولته الواسعة ، وكانت الدولة التي أسسها تركية في جوهرها ، ولكن الحضارة الإيرانية لعبت الدور الموجه الغالب ؛ لأن تيمور كان مسلماً غيوراً .

ونحن نعرف الكثير عن أخلاق تيمور وعاداته وهواياته ، فقد كان — وفقاً لما كتبه مؤرخ معاصر له — ذا قد طويل ، ورأس ضخمة بدرجة غير طبيعية ، وذا شعر طويل قيل إنه كان أبيض منذ ولادته ، كما كان ذا ملامح صارمة حزينة ، وكان عدواً لجميع أنواع المزاح والهزل ، شديد العداء للكذب والبهتان ، وكان يكره الشعراء والندماء ، ولكنه كان يحب الأطباء والفلكيين والفقهاء ، وكانت الكتب المحببة إلى نفسه هي : كتب تواريخ الحروب ، وحياة المحاربين . وكان تعليمه محدوداً ، يكاد يكون قاصراً على الإلمام بالقراءة والكتابة ، ولكنه كان يستطيع التكلم بثلاث لغات هي التركية والفارسية والمغولية .

ويبدو أنه كان يحب الهواء الطلق ، فكان يتحرك من حديقة إلى أخرى من حدائقه الكبيرة التي تطوق سمرقند — إذا كان الجو يسمح بذلك — حيث كان يعيش في الخيام ، أو في السرادقات المصنوعة من أغلى أنواع الحرير والأقمشة المطرزة بالقصب .

ولم يحل ميله الوراثي لقليل من الثقافة دون اهتمامه بالفنون ، فكان شديد الشغف بفن البناء فجمع الفنانين وأصحاب الحرف في سمرقند ، لتشيد سلسلة من المباني ، كان كل واحد منها أعلى وأضخم من المباني الأخرى التي شيدت قبله .

وبني تيمور — في سمرقند — مدرسة دينية كبيرة لزوجته بيبي خاتون — التي كانت أميرة صينية — فسميت باسمها ، ولا زالت أجزاء كبيرة من أبنية إيواناتها الأربعة قائمة ، وكانت في الوسط ساحة واسعة مفتوحة محاطة بعقود مقببة على كل ركن منها منارة عالية ، ويقع في مقابل الواجهة المقوسّة قاعدة الصلاة

المربعة التي تعلوها قبة مقامة على أعمدة أسطوانية مرتفعة ، وقد أشرف تيمور — أيضا — على بناء مقبرته ، التي يبدو أنها أكملت قبيل وفاته في ١٤٠٤ م (٨٠٧ هـ) وحفظت هذه المقبرة — المعروفة الآن باسم « كور مير »^(١) ، — في حالة جيدة ، وهي تعد مثالا رائعا لمميزات الأسلوب التيموري في البناء ، فهي بناء على مستوى رفيع غني بالزخارف الملونة المتألقة .

والمقبرة من الخارج مشمعة الأضلاع أما من الداخل فحجرة مربعة ، ذات حنيات عميقة وبوابات صغيرة من كل ناحية من نواحيها الأربع مزينة بثرأ فاحش ، وأسفل الجدران مبطن برخام معرق ، يعلوه رباط من حجر اليشب الأخضر ، يحمل كتابات مذهبة ، تسجل أعمال تيمور ؛ وقد غطيت الحيطان في أعلى هذه الكتابات بورق مضغوط في صورة نقوش بارزة ذهبية وزرقاء مصقولة تحيط بها من أعلى أربطة تحتوي على كتابات بحروف مذهبة على أرضية زرقاء ، والسطح الداخلي للقبة الداخلية المنخفضة مغطى أيضا بزخارف زرقاء وذهبية ، وتوجد فوقها قبة بصلية الشكل نوعا ما ، تعلو الحجرة السفلى ، وهي مسقوفة بنماذج مخططة من الآجر الضخيل ذات زرقاء سماوية ، وزرقاء قائمة مع وحدات من القوالب ذات السمرة النحاسية .

ولما توفي تيمور لم يكن في سمرقند من أهل بيته — الذين يمكن أن يخلفوه على العرش — إلا اثنان ؛ حفيد له وابن أخته ، وكان ابنه الرابع شاهرخ في هراة ، فاستطاع أن يظفر بالسيطرة على هراة وخراسان وما وراء النهر بعد منازعات وحروب عائلية استمرت سنة تقريبا . وظفر ابنه الثالث ميرانشاه بالسيطرة على الجزء الغربي من إيران بما في ذلك تبريز وبغداد ولكنه سرعان ما شغل بالمنازعات بين ابنين من أبنائه .

وفي عام ١٤٠٨ م (٨١١ هـ) استفادت قبائل « قره قويونلو » (أى ذات الخراف السوداء) من هذا الوضع فاستولت على آذربيجان . وفي عام ١٤١٠ م (٨١٣ هـ) استولى رئيسها قره يوسف على بغداد ، وتمكن ابنه بعد ذلك

(١) « كور مير » : كلمتان فارسيتان معناهما « قبر الأمير » أى الأمير تيمور . (المترجم)

بسنوات من السيطرة على إقليم أصفهان ، وظل حكام قره قويونلو يحكمون حتى عام ١٤٦٩ م (٨٧٤ هـ) إلى أن تمكنت قبائل آق قويونلو أو (ذات الخراف البيضاء) من هزيمة منافسيها .

وفي الشرق حكم شاهرخ — من عاصمته هراة — جميع أجزاء القسم الشرقي من إيران حتى عام ١٤٤٧ م (٨٥١ هـ) وهزم قبائل قره قويونلو في تبريز ، وطردهم إلى أرمينية ، ولكنه أجبر — في النهاية — على تركهم يستولون على الإقليم الغربي من إيران .

وكان شاهرخ من أكثر الملوك الذين حكموا إيران ثقافة ؛ وقد جعل هراة المركز الثقافي لوسط آسيا ، وازداد الرخاء في ظل حكمه الرشيد ، وعلمت مكانة المهندسين المعماريين والرسامين والشعراء والعلماء والموسيقيين ، فانتشرت الحركات الفنية والأدبية التي ظهرت في هذا العصر، وامتدت غربا حتى بلغت ذروتها في أصفهان — بعد ذلك — في عهد الشاه عباس الصفوي .

وكانت كوهرشاد إحدى زوجات شاهرخ أما لابنيه الشهيرين ألغ بيك وبايسنقر ، وكانت شخصية قوية ، وكان اشتراكها الطويل المشتمل مع المهندس المعماري قوام الدين الشيرازي — الذي كان يوصف بأنه أحد المصاييح الأربعة الكبيرة التي تضيء البلاط — سببا في بناء عدد من المباني الفخمة ، أحدها مسجد كوهرشاد المقام في منطقة مزار الإمام علي الرضا في مشهد ، وهو محفوظ بحالته تماما ، وقد بدأ في بنائه في عام ١٤٠٥ م (٨٠٨ هـ) ، وأكمل في ١٤١٧ م (٨٢٠ هـ) ، وتصميم بنائه كالمآلوف ، أي بالعقود العادية حول ساحة مفتوحة ، وأربعة إيوانات على الجهات الأربع من محور البناء ، ولكن الملامح الأروع جمالا ، هي الفسيفساء اللامعة المتوهجة التي تغطي جميع واجهات الحيطان برسوم زرقاء قائمة ، وزرقاء فاتحة ، وبيضاء ، وحمراء ، وصفراء ، وسوداء ، وخضراء مصقولة ، وقد أمرت كوهرشاد — بعد إتمام بنائه مباشرة — ببدء العمل في بناء مجموعة من المباني الفخمة في هراة ؛ وكانت هذه المجموعة تضم

في وقت ما مدرسة كبيرة^(١) ومصلى بنى على طريقة المسجد المعروفة ، ومقبرتها ، وكانت المنارات العالية تنبثق من جوانب المباني .

وقد حطم أغلب مباني المجموعة في عام ١٨٨٥ م (١٣٠٣ هـ) ولكن المقبرة مازالت باقية في حالة لا بأس بها ، وقد دفن فيها ابنها بايسنقر أولا ، ثم دفنت فيها الملكة نفسها — بعد ذلك — بعد حياة استمرت أكثر من ثمانين عاما .

وقد بنى قوام الدين الشيرازي — أيضا — مدرسة جميلة في خرگرد — إلى الغرب من هراة — وهي تقع داخل حدود إيران الشرقية في الوقت الحاضر .

وخلف شاهرخ ابنه الأكبر ألغ بيك ، وكان حكمه — لسوء الحظ — قصيرا جدا ، لأنه استغرق المدة من ١٤٤٧ إلى ١٤٤٩ م (٨٥١ — ٨٥٣ هـ) وكان راعيا كبيرا للفن والأدب الفارسيين ، كما كان أيضا شغوفا بفنون الصينيين ، ولكن الرغبة الملحة التي كانت تسيطر عليه هي دراسة علم الفلك ، وقد بنى مرصدا لا يزال قائما في سمرقند ، وعمل جداول حسابية ، طبعت بعد ذلك في إنجلترا في عام ١٦٦٥ م (١٠٧٦ هـ) .

وتوفي بايسنقران أخو شاهرخ بسبب تسمم حاد من الشراب ، ولكن بعد أن أحرز شهرة خالدة في فنون الخط ، والموسيقى والتصوير ، وقد اشتغلت مجموعة كبيرة من النقاشين والمجلدين والنساخين تحت إشرافه المباشر في هراة .

وكان ألغ بيك كريما لطيفا رحيمًا ، بالنسبة لعصره ، فأنهى أمره بأن عزله ابنه ثم قتله ، وبقيت الدولة في حالة من الفوضى . ظلت سائدة بضع سنوات ، وأخيرا سيطر حسين بايقرا على خراسان في عام ١٤٦٩ م (٨٧٤ هـ) وأحيا النهضة الأولى للحضارة والفنون في هراة ، بحيث كتب أحد معاصريه يقول : « لم يكن في العالم المسكون جميعه مدينة مثل هراة في عهد السلطان حسين ، فقد كانت خراسان وهراة — على رأس مدنها — مملوءة بعلماء ورجال لا نظير لهم ، وكان إذا اضطلع أحدهم بعمل — مهما كان نوعه — هدف إلى إتمامه ،

(١) اصطلاح المدرسة يقصد به في هذا العصر المدرسة الدينية (المراجع) .

وإتقانه ، وكان من الكواكب النيرة في البلاط جماعة من العلماء من كل من الأصليين الفارسي والتركي ، وكان منهم الشاعران الجمي ، وعليشيرنوائى ، والمصوران أو الرسامان بهزاد ، وشاه مظفر ، والخطاط سلطان على والمؤرخان ميرخواند ، وخواندمير .

وبعد وفاة حسين بايقرا — فى ١٥٠٦ م (٩١٢ هـ) سقط الجزء الشرقى من الدولة التيمورية فى أيدى قوم رحل من التتار كان أصلهم من الجنس المغولى ، ولكن تقاليدهم الحضارية كانت تركية ، هم الشيبانيون ، فاستمرت دولتهم ترعى الفنون فى بخارى وسمرقند ، ولكنها انتهت سريعا أمام قوة الصفويين الفرس .

وكان شمس الدين محمد حافظ الشيرازى ألمع شخصية أدبية فى ذلك العصر ، استطاع أن يلتحق وهو شاب فقير بالمدرسة ، وحفظ القرآن عن ظهر قلب فكان تخلصه الشعرى : « حافظ » مشتقا من هذا . وقد عاش حافظ فى شيراز وتمتع برعاية كثير من الحكام المحليين إلى أن توفى فى عام ١٣٨٩ م (٧٩٢ هـ) ويحتمل أن تكون القصة المشهورة التى تصف مقابلة هذا الشاعر المتواضع لتيمور الفاتح منتحلة ، وقد قيل إن تيمور لام « حافظ » على بيته^(١) الذى يقول فيه :

لو أن ذلك التركى الشيرازى يأخذ قلوبنا بإشارة واحدة من يده .

فإنى من أجل خاله الأسود أهبه سمرقند وبخارى .

قائلا إنه قد قام بفتوحاته من أجل تزيين هاتين المدينتين — سمرقند وبخارى — اللتين يريد حافظ تسليمهما من أجل شيء تافه ، فأجاب حافظ بأن مثل هذا السفه هو الذى أوقعه فى العسر ١١ ، وفى رواية أخرى

(١) المترجم : يقصد المؤلف بهذا البيت قول حافظ بالفارسية :

أكرآن ترك شيرازى بدست آرددل مارا بخال هندویش بخشم سمرقند وبخارا
انظر ترجمة ديوان حافظ الشيرازى التى أخرجها الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربى
بمنوان « أغاني شيراز » وكذلك كتاب سيادته الذى أخرج به عنوان « حافظ الشيرازى شاعر
الغناء والغزل فى إيران » .

— تحتاج إلى نقل النص الفارسي — أن « حافظ ، أجاب بأنه لم يقل فعلا هذا المصراع ، وهو قوله :

بخال هندویش بخشم سمرقند و بخاری

أى « أهب سمرقند و بخارى من أجل خاله الأسود »

بل قال : بخال هندویش بخشم سه من قندود و خرمارا

أى « أهب من أجل خاله الأسود ثلاثة أمان من السكر و منين

من البلخ » .

ويشتمل ديوان حافظ على ٦٩٣ منظومة ، منها ٥٧٣ غزلية ، تتغنى بالربيع ، والزهر و البلاليل ، والخمر و الشباب ، و الجمال الخالد و هى تنسم نغمات غنائية رائعة ، و تمزج المسائل الصوفية و الدنيوية فى قطع من بديع التصوير ، و لكن نفحة من الشك و عدم المبالاة تشوب كثيرا من منظوماته .

وكان الجامى — الذى ولد فى خراسان ، و توفى فى هراة فى ١٤٩٢ م (٥٨٩٨) — شاعرا عظيما و عالما و صوفيا فى وقت واحد ، و من المعتقد أنه ألف ستة و أربعين كتابا فى ميادين الشعر الغنائى و الروائى ، و التصوف ، و النحو العربى ، و نظم الشعر ، و كتابة النثر ، و الموسيقى ، و تراجم الصوفية ، و تفسير القرآن . و قد ظفر بتقدير عظيم فى أثناء حياته — من معاصريه ، من ملوك الدول البعيدة ، و تشتمل مشنوياته — أو أشعاره الروائية القصصية — على سبع منظومات طويلة ، كما أن أشعاره الغنائية جمعت فى ثلاثة دواوين ، و لم يتفوق أى كاتب آخر فى عصره مثلها تفوق هو فى ميادين كثيرة ، و لم يعبر أحد عن الفكر الصوفى و الإلهى فى إيران مثلما عبر هو بهذا الوضوح و البهاء .

و سنذكر هنا عددا قليلا من الشخصيات الأدبية التى ظهرت فى ذلك العصر ، و نبدأ بعليشير نوائى و كان راعيا لرجال منهم الجامى و بهزاد ، و قد صار مشهورا كموسيقى و رسام و شاعر .

و هناك نظام الدين الشامى الذى ألف كتاب « ظفر نامه » ، أو كتاب الظفر ، الذى كان السجل الوحيد لفتوحات تيمور ، و قد أكمل فى حياة تيمور ،

أما فيما يتعلق بمادة الكتاب ، فقد استمدتها المؤلف من السجلات والوثائق الرسمية التي أتيح له أن يطلع عليها حين كان مشتركاً في الحروب في بغداد وحلب. ويوجد كتاب « ظفر نامه » آخر أكثر شهرة من الكتاب السابق ، ألفه شرف الدين علي اليزدي ، وأتمه في عام ١٤٢٤ م (٨٢٨ هـ) ، وهو متخم بالمبالغة في مدح تيمور ، ولكنه يعتمد اعتماداً كبيراً على الكتاب السابق .

ثم هناك ميرخواند وهو الاسم الذي اشتهر به مؤلف كتاب « روضة الصفاء » الذي يتناول تاريخ إيران منذ عصور الملوك — الذين حكموا قبل الإسلام — إلى عام ١٥٠٦ م (٩١٢ هـ) .

وقد تلاشت عمائر نموذجية عرفناها من الروايات المعاصرة للتيموريين ، كانت تعتبر من العمائر الممتازة في عصرهم ، وكان أحد هذه الآثار المسجد الكبير الذي بناه تيمور في سمرقند . كما لم يبق من قصره الذي استغرق بناؤه عشرين عاماً إلا قسم واحد ، وتتضمن الآثار الباقية عن القرن الخامس عشر مزار « خواجه أبي نصر يارسا » المهيّب في باخ ، ومزار « خواجه عبد الله الأنصاري » خارج هراة ومزار « تربت شيخ جام » وقبرزين الدين في « تاي آباد » . ويقع الأخيران داخل حدود إيران الشرقية الحالية مباشرة .

وأغلب هذه المباني — مثل التي ذكرتها فيما سبق — تدل على الميل إلى العمائر العظيمة ، ويتضح هذا الميل أكثر في عظم ارتفاع الإيوان الرئيسي في كل مبنى ، وقد كسى كل بناء يرجع إلى هذا العصر — تقريباً — بتريعات الصيني والفسيفساء ، ثم استعملت — قرب نهاية العصر — المواد المصقولة على الواجهات الداخلية ، والخارجية على السواء .

ويوجد بناء — في غربي إيران — تربط زخرفته بين الفن في العصرين التيموري والصفوي ، وهو المسجد المسمى بالمسجد الأزرق^(١) في تبريز الذي دفن فيه جهانشاه — أقوى ملك في دولة قره قويونلو — في عام ١٤٦٧ م

(١) يقصد « مسجد كبود » الذي ما زالت أطلاله باقية في تبريز (المترجم) .

(٨٧٢هـ) أى بعد سنتين من إتمامه والساحة الرئيسية للبناء مستطيلة في تصميمها فيها عر مقبب يحيط بالجوانب الثلاثة لقاعة كبرى عليها قبة ، وهى هنا تحل محل الساحة العادية المكشوفة . وخلف هذه القاعة الكبرى مقبرة أصغر قليلا منها مقببة كذلك . وقد زينت الحيطان الخارجية وبوابة المدخل لهذا البناء المتهدم بالفسيفساء الخزفية ، أما من الداخل ؛ فقد ظهر الخزف ذو البريق على أرضية من الآجر الأحمر المائل إلى الصفرة .

ويبدو أن إنتاج الخزف قد قلت أهميته في العصر التيمورى ولكن التقدم العجيب في تصاوير الكتب يعد الميزة الكبرى للفن في القرن الخامس عشر الميلادى ، وكانت أهم مدارس التصوير توجد في هراة وشيراز ، وقد مالت مدرسة شيراز — وهى الأقل أهمية — إلى مواصلة التقاليد السابقة للتصوير التى كانت سائدة في بغداد وتبريز ، وتبين صور هراة أثر الأساتذة الشخصى مع مهارة فنية واضحة استطاعت أن تبدل الفن الواقعى الصارم للعصور السابقة بفن طبيعى متقن . وتمثل آثار هذا القرن ذروة التقدم في فن المنمنمات الفارسية . فقد صورت هذه الصور بمجموعات الشخصوص بطريقة زخرفية أكثر منها واقعية ؛ فتفاصيل العماير والملابس والأحياء ، كانت كلها تخرج في الصورة لإخراجا دقيقا مزخرفا . وقد كان المنظر الطبيعى يتخذ عادة أرضية خلفية لموضوع الصورة الرئيسى ؛ غير أن الجبال والأشجار والسماء كانت تصور عادة في عناية بالغة . وتبدو الشخصوص متحركة في مناظر ثابتة لا حيوية فيها ، لأن الفنان كان يتجنب الزاوية التى تمكنه من رؤية حقيقة الصورة كما كان يتجنب استعمال الظلال ، وكانت قوالب هذه الشخصوص ووجوهها خالية عادة من العاطفة والإحساس ، وكانت الألوان صافية لامعة وإن كانت تميل إلى أن تبدو هادئة .

وقد ولد بهزاد حوالى عام ١٤٤٠ م (٨٤٤ هـ) وظل يواصل نشاطه في عهد الملك الصفوى شاه طهماسب ، وعد أكبر رسام فارسى للصور الصغيرة (المنمنمات) ؛ وله — طبعاً — تأثير ملحوظ على الفنانين المعاصرين له والفنانين المتأخرين ، وقد نسبت صور صغيرة لا عداد لها إليه ، ولكن الدراسة العلمية

ضيق ميدان هذه الصور وحصرتها في عدد من الصفحات الموقعة بإمضائه ،
وفي صور أخرى قليلة تحمل العلامة — التي لا يخطها الإنسان أبدا — المميزة
لفنه . وتوجد — الآن — نسخة من « بستان سعدى » ، في المكتبة الخديوية ،
« دار الكتب » بالقاهرة ، وهي تشتمل على أربع صور صغيرة أمضيت كل منها
بعبارة « من عمل العبد الفقير بهزاد » ، كما تشتمل على صورة خامسة في صفحتي
الورقة الأولى للكتاب تمثل مأدبة للسلطان حسين ، وهي — قطعا — من رسم
هذا الأستاذ .

كما توجد نسخة خطية لنظامي^(١) فيها — أيضا — ثلاث صور صغيرة
بإمضاء بهزاد ، وتوجد نسخة من كتاب « ظفر نامه » مكتوبة للسلطان حسين
بايقرا — في عام ١٤٦٧ م (٨٧٢ هـ) — ، وهي تشتمل على صور رائعة
مرسومة على ست ورقات — من كلا الجانبين — فيها مثل هذه المناظر المشتقة
من حياة تيمور — كملك يعتلى العرش في حديقة أو يشرف على بناء مسجد —
وليس على هذه الصور إمضاء ، ولكنها — عادة تنسب إلى بهزاد .

ولا بد أن بهزاد كان له تلاميذ كثيرون في هراة ، وقد بقيت بعض أعمال
لواحد منهم يدعى « قاسم علي » بينما تحرك التلاميذ الآخرون — الذين استمدوا
الإلهام من فنه — إلى بخارى ، وأقاموا فيها أسواقا رائجة . وقد رسم أحد
هؤلاء الفنانين — ويدعى « محمود مذهب » — صورة جميلة لعليشير نوائى
لا تزال موجودة حتى الآن .

وجذبت مدرسة هراة الرسامين الذين كانوا نشطين قبل أن يصل بهزاد
إلى أوج الفن والشهرة ، أو الذين لم يكونوا تحت تأثيره المباشر . ومن رجال
الطائفة الأولى نصر الله أبو المعالى الذى صور مخطوطة من قصص كلیلة
ودمنة توجد الآن في « قصر كلستان » بطهران .

(١) يقصد « خمسة نظامى » ولها نسخة خطية في دار الكتب المصرية . (المترجم)
المراجع : نشر الدكتور عبد النعم حسن كتابا عن حياة نظامى جعله بعنوان نظامى الكنجوى
شاعر الفضيلة الإيراني . طبع القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

وتوجد — أيضا — نسخة من الشاهنامه ذات صور نفخة رسمتها يد مجهولة، ويمكن أن تنسب واحدة من هذه الصور الصغيرة الجذابة جدا — إذا ما قيسَت بالصور الصغيرة التي رسمت في إيران بصفة عامة — إلى مدرسة هراه، ومن المحتمل أنها من عمل الرسام غياث الدين الذي رافق بعثة مرسلّة من قبل شاهرخ إلى بلاط الصين، واحتفظ بسجل لأعماله اليومية، والرسم موضوع على الحرير وهو يبين لقاء تم بين الأمير الإيراني «هماي»، والاميرة الصينية «همايون»، في حديقة مملوءة بأشجار الفاكهة ذات الأزهار الجميلة، ويشتمل على مجموعة كاملة لأزهار مرسومة شيقة نفيسة.

العصر الصفوي :

شاهد العصر الصفوي — الذي جاء بعد فترة من الضعف استمرت ثمانية قرون — إعادة بناء دولة إيرانية قومية صحيحة، وإن ما نتج عن ذلك من إحياء الروح القومية والاتحاد يمكن أن يقارن بالحركة التي نشطت حينما قامت الدولة الساسانية بعد السيطرة الإغريقية — البارثية الطويلة على البلاد . وقد ظهر الشاه إسماعيل — مؤسس الدولة الصفوية وأول ملك فيها — على أنه قائد لسبع قبائل تركية في آذربيجان، وتعرف هذه القبائل — بوجه عام — باسم الـ « قزل باش، أو « حمر الرؤوس»، وكان قوامها سبعين ألف فارس مسلح . ولم يكن إسماعيل نفسه زعيما تركيا، ولكنه ظفر بالاحترام، لأنه من نسل سلسلة من الزعماء الدينيين، ورئيس جماعة من الدراويش، وكان جد هذه الأسرة الشيخ صفي الدين الأردبيلي صوفيا عالما، وواعظا، وصاحب كرامات، عاش من ١٢٥٢ إلى ١٣٣٤ م (٦٥٠ — ٧٣٥ هـ) . وفي عام ١٥٠٠ م (٩٠٦ هـ)، هزم إسماعيل قبائل «آق قويونلو» (أصحاب الخراف البيضاء)، وجلس على العرش في تبريز، وحوالي ١٥١٠ م (٩١٦ هـ)، كان قد استولى على العراق، وفارس، وكرمان، وهمدان، وخراسان، وشقت قواته طريقها شرقا حتى بلغت «خيوه»، وأعلن المذهب الشيعي مذهبا رسميا لإيران، واستعمل القوة الغاشمة في تغيير مذهب السنيين الممتنعين .

وقد أذكى التحول إلى التشيع عداوة الأتراك العثمانيين ضده ، وكان سلاطينهم في القسطنطينية قد صاروا خلفاء على جميع المسلمين السنيين ، وأصبح الشيعة في إيران يفصلون الكتلة السنية في وسط آسيا والهند وأفغانستان عن السنيين في تركيا والعراق ومصر ، والدول الإسلامية الأخرى الواقعة إلى الغرب من إيران .

وكانت أولى نتائج هذا الاحتكاك المذهبي غزو إيران بجيش يقوده السلطان سليم الأول الذي هزم إسماعيل بالقرب من تبريز ، وقد استمرت الحروب مدة طويلة ، وكان الضغط الخارجي على إيران عاملا قويا في توحيد جميع أجزائها ، وإخلاص أهلها للبلوك الصفويين ، والمذهب الشيعي . وحكم الملك الصفوي الثاني الشاه طهماسب من ١٥٢٤ إلى ١٥٧٦ م (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ) وتمكن من الاحتفاظ بحدوده الشرقية ، ولكنه قاسى هزائم عديدة في الغرب — على يدى السلطان العثماني سليمان القانوني ، الذي استولى على العراق وتوغل حتى وصل إلى تبريز وأصفهان ، فنقل طهماسب عاصمته من تبريز إلى قزوین لينجو من التهديد التركي ، وحكم هناك في بلاط متحضر ، يمتاز بالدقة والتأنق والرفقة ، وقد درس طهماسب نفسه فن النقش ، وصار خطاطا ماهرا .

وبعد مدة وجيزة — تشمل عهود إسماعيل الثاني ومحمد خدابنده ، وسلطان أمير حمزة — اعتلى الشاه عباس الكبير العرش في عام ١٥٨٧ م (٩٩٦ هـ) . وكان العثمانيون — في الغرب — يسيطرون على آذربيجان جميعها ، وكان الأتراك الأوزبكيون — في الشرق — قد غزوا خراسان ، واستولوا على هراة ومشهد ، فأمضى الشاه عباس أولا — معاهدة اعترفت بالمغانم العثمانية ؛ ثم سار لطرد الأوزبكيين بعيدا عن خراسان ، فلما تخلص من شر تهديدهم ، توجه غربا ، وانتصر على العثمانيين ، واسترد آذربيجان ، وأرمينية ، وجورجيا ، وبعد عام ١٥٩٨ م (١٠٠٧ هـ) استفادت القوات الفارسية من منتجات مصنع للمدافع أنشأه الأخوان^(١) شيرلي الإنجليزيان ، ولكن الجيش العثماني ظل أكثر قوة ،

(١) يقصد الأخوين روبرت وأنتوني شيرلي (المترجم) .

وفي عام ١٦٣٦ م (١٠٤٦ هـ) — بعد وفاة الشاه عباس — سوت معاهدة عقدت بين الطرفين مشكلة الحدود الغربية لإيران حتى القرن التاسع عشر .

وكان الشاه عباس الشخصية القوية في البيت الصفوي ، ويعد مساويا لأي ملك عظيم وجد في إيران في تاريخها الطويل ، وقد سجلت سنوات حكمه جيدا ، خصوصا بواسطة الرحالة الإنجليز الذين زاروا بلاطه .

وقد كتب سير أنتوني شيرلي عنه ما يأتي : « وكانت شخصيته مطابقة لذكائه الطبيعي ، وتعد ملائمة جدا للنهاية المقدرة لوجوده ، فكان ذا هندام جميل وبنية متناسقة ، وكان قويا نشيطا ، وكان لونه أميل إلى سمرة الرجال العاديين ، وقد لفحته الشمس فبدأ أكثر سمرة ، وكان تركيبه العقلي ملكيا إلى أبعد حد ، وكان عاقلا شجاعا ، سخيا ، معتدلا ، رحيا ، ذا حب مفرط للعدل ، يتمتع بمزايا ملكية أخرى ، كما كان بعيدا عن الكبر والغرور ، وعن كل الدلالات والأعمال غير الملكية . »

وفي عام ١٥٩٨ م (١٠٠٧ هـ) نقل عباس العاصمة إلى إصفهان ، واختصها بكل عنايته الملكية ؛ فسرعان ما دوت المدينة بالنشاط في الفنون والصنائع ، وشجع الملك الإصلاحات في كل ميدان من ميادين الحياة العامة ، وأنشأ جيشا نظاميا — بدلا من جيشه الذي كان مكونا من قوات قبلية يقودها قواد قبليون — واشتمل الجيش الجديد على فرقة تسمى « أصدقاء الملك » مكونة من عشرة آلاف من الفرسان ، وعشرين ألفا من المشاة .

كما شيدت الطرق ، والقنوات ، وأماكن نزول القوافل في جميع أنحاء إيران

وفي عام ١٦٢٢ م (١٠٣٢ هـ) جعل إيران تتحالف مع قوة بحرية انجليزية في الخليج الفارسي لطرد البرتغاليين من جزيرة « هرمز » ، وشجع التجار الانجليز والهولنديين على التجارة في بندر عباس ، وجعلها أهم مركز لتصدير الحرير ، كما أنشأ علاقات دبلوماسية مع الدول الأوروبية ، ونقل القبائل الكردية إلى حيث تنشى سدا قائما ضد الأوزبكيين ، كما نقل طائفة كبيرة من الأرامنة من

جلفا في آذربيجان إلى جلفا جديدة أقامها لهم على شاطئ نهر « زاینده رود » ، في مواجهة إصفهان ، وكان متساحما مع غير المسلمين ، غيورا على الأمن العام ، متشددا في قضائه المنصف ، مسرفا في هباته السخية ، وفضلا عن جعله إصفهان موضع إعجاب العالم من الناحية المعمارية ، فانه زين شیراز وأردبيل وتبريز بمباني جميلة ، وقد وجه عناية خاصة إلى مزار الامام علي الرضا في مشهد ، ويبدو أنه كان يهدف بذلك إلى حفظ الاموال داخل البلاد بجعله مزارا جذابا للحجاج ، حتى لا يرحلوا إلى مكة أو إلى المزارات الشيعية المقدسة في العراق ، وقام هو برحلات عديدة للحج ، كانت إحداها سيرا على الأقدام من إصفهان إلى مشهد ، وأنشأ أقساما جديدة في مبنى المزار .

وتولى الشاه عباس بناء مدينة ملكية جديدة في إصفهان مجاورة للمدينة القديمة ، وقد تم بالمرحلة الأولى من هذا العمل بناء الخطوط الرئيسية للخطّة العامة ، وإنشاء المباني الضرورية للاحتياجات العائلية والمدنية والدينية للبلاط ، أما المرحلة الثانية التي بدأت في عام ١٦١١ م (١٠٢٠ هـ) فقد اهتمت بتوسيع هذه المباني ومضاعفتها حتى جعلتها أوسع وأجل ، ولقد بقيت هذه الآثار الفخمة في حالة حسنة — حتى الوقت الحاضر — وتعطى مدينة إصفهان من بين سائر المدن — لزاثرها صورة كاملة لإيران القديمة ، فقد صف حول الميدان الملكي قصر ومسجد ملكي (مسجد شاه) ومسجد أصغر ومدخل كبير للأسواق المسقوفة ، وتوجد إلى غربي الميدان حديقة فسيحة ، مرصعة بقصور ملكية ، وجواسق جميلة يحترقها شارع واسع ، يواصل امتداده عبر النهر عن طريق معبر جديد فيؤدى إلى حدائق القصور على الضفة المقابلة . وتشتمل المدينة المحاطة بحيطان من الآجر والطين على ٦٠٠,٠٠٠ نسمة ، و١٦٢ مسجد و ٤٨ مدرسة دينية ، و١٨٠٢ رباطا لمبيت القوافل و ٢٧٣ حمام عمومي ، وقد كان كثير من شوارعها ضيقا ملتويا ، ولكن كل منزل تقريبا ، كان يحتوى فناء يعد بمثابة حديقة .

ومن سوء الحظ ، أن الجانب الأقل نبلا وحكمة في الشاه عباس قد ظهر في علاقاته العائلية ؛ فقد قتل بعض أبنائه وأهمل تعليم الآخرين وتمرينهم على

طريقة الحكم ؛ حسدا وخوفا من أن يحل أحد محله في الحكم ، فقوض بذلك مستقبل الدولة الصفوية ، فقد خلفه على العرش سلسلة من الملوك غير اللائقين نسبيا ، حتى راج مثل إيراني هو : « حينما توقف الأمير الكبير عن الحياة ، توقفت إيران عن الانتعاش والرخاء » .

وقد أعقب الشاه عباس الشاه صفي (١٦٢٩ — ١٦٤٢ م ، ١٠٢٩ — ١٠٥٢ هـ) والشاه عباس الثاني (١٦٤٢ — ١٦٦٧ م ، ١٠٥٢ — ١٠٧٨ هـ) والشاه سليمان (١٦٦٧ — ١٦٩٤ م ، ١٠٧٨ — ١١٠٦ هـ) فتمتعت إيران تحت حكمهم بسنوات خلت — إلى حد ما — من الحروب رغم أن الأتراك العثمانيين كانوا يظهرون نوبات من العداء ، واجتهد هؤلاء الملوك في زيادة الرخاء العام للدولة ، بيد أنهم كانوا أحيانا قساة يستعملون الشدة . وقد جاء كثير من الرحالة والتجار والإرساليات التبشيرية من أوروبا إلى إصفهان ، وتركوا لنا تقارير خلاصة عن البلاط الملكي ، وعن الحياة في القرى والمدن ، ولكن زمام الأمور انتقل — بمرور الزمن — إلى أيدي كبار رجال الدين .

وفي أثناء عهد الشاه سلطان حسين من ١٦٩٤ إلى ١٧٢٢ م (١١٠٦ — ١١٣٥ هـ) ثارت قبيلة من القبائل الأفغانية — تسمى غلزاى — في قندهار ، وأحرزت استقلالها ، ثم حذت قبيلة « أبادى »^(١) حذوها في هراة ، وفي عام ١٧٢٢ م (١١٣٥ هـ) قاد محمود بن ميرويس القبائل لفتح كرمان ، وتقدم إلى إصفهان ، وحينذاك تنازل الشاه حسين عن الملك ، وتوج هو بنفسه محمودا ملكا على إيران ، ولكن البلاد سرعان ما انقسمت إلى مناطق منفصلة ، فسيطر محمود وخليفته « أشرف » على إصفهان وفارس وكرمان (١٧٢٥ — ١٧٣٠ م ، ١١٣٨ — ١١٤٣ هـ) واحتلت روسيا القيصرية السواحل الغربية والجنوبية لبحر قزوين ، وزحف الأتراك العثمانيون على غربي إيران ولم يقفوا حتى عقد « أشرف » — وكان سنيا — اتفاقا وديا معهم .

وقد كتبت رسالات فلسفية كثيرة في العصر الصفوي ، كتبها السيد أبو القاسم

(١) يقصد بالغلزاى الأفغان الفلجائيين ، وبأبادى الأفغان الأبداليين (المترجم) .

الفنדרسكى ، وشيخ بهائى ، وملاصدرا وتلاميذه العديدون ، ولكن أعمال هؤلاء لم يكن فيها إلا ابتكار قليل ، ونحت فى الغالب نحو إعادة كتابة التفسيرات السابقة ؛ التى كتبها ابن سينا لتعاليم أرسطو . ووجه النفوذ الدينى القوى جميع الأفكار المكتوبة فجعلها تطابق العقيدة المستقيمة ، وفقد التصوف — فى النهاية — قوته الموجهة ، وأصبح مكررا عقيما ، فردد عدد من شعراء الصوفية اعتقادهم فى أنه ليست هناك قيمة حقيقية للدنيا ، والعمل ، والشجاعة ، والمثابرة ، ودعوا إلى الخضوع والنسليم للقضاء والقدر ، والهرب من متاعب الحياة الجدية وكوارثها ، فى دنيا كلها أنانية وخداع .

واقتصرت الإجابة فى الشعر والنثر على العناية بالألفاظ دون الموضوع ، فأصبحت أهم متعة للكتاب تقع فى استعمال الأساليب المزيينة المنمقة ، وتطورت بذلك الأساليب كثيرا ، واشتملت بعض الفنون التى استعملت فى الكتابة فى هذا العصر ، والعصر التالى له ، على التورية والتجديسات والأسجاع ، والطباق ، والترصيع ، والمربعات — وهى أربعة أبيات أو مصاريع تقرأ عرضا وطولا — والموشحات ، والحذف — وهو تجنب استعمال بعض الحروف الهجائية — والألغاز التى يحصل فيها على التواريخ العددية لحروف معينة فى كلمات بعينها ، واشتملت الصور البلاغية على الإغراق — وهو الصورة الممتدحة أكثر من غيرها من الصور — والتشبيه ، والإبهام .

وكان النشاط المعمارى الدائب علامة مميزة للعصر الصفوى ، ويشتمل العدد الكبير من الأبنية التى شيدت فى ذلك العصر — وما زالت فى حالة حسنة — على عدد وفير من المزارات الصغيرة الواقعة فى قرى غير ظاهرة ، وتعد تصميمات الأبنية ، وطرق البناء ، والمواد المستعملة جميعها تنمة للأعمال التى تمت فى العصور السابقة .

وكانت العلامة المميزة للفن فى ذلك العصر هى اللون والفسيفساء اللامعة المتعددة الألوان ، التى أخذت تكسو الجدران من الداخل والخارج فى الآثار الرئيسية ، وكان الجهد الذى يبذل فى قطع آلاف كثيرة من القطع

الصغيرة اللامعة وتهيئتها وجمعها يستغرق سنوات عديدة في البناء الواحد ،
وهي تدل — في النهاية — على أنها وضعت بتمهل ، وأنها غالية جدا ، لأنها
أبطلت ، وحل محلها أسلوب كان ذا أثر فعال . وهو المسمى « هفت رنكي »
أو « ذو الألوان السبعة » تنقش فيه التفاصيل الزخرفية بسبع صبغات مختلفة
على قراميد مربعة ، ثم تحرق هذه الألوان بعد ذلك على القراميد في عملية مستقلة .
وكان استعمال القبة المزدوجة من طابع هذا العصر أيضا ، كما كانت الحجرات
المربعة تعلوها قباب داخلية قليلة الارتفاع تقوم عليها قبة عالية أكثر استدارة ،
وتملأ المسافة الخالية التي بينها بإطارات متشابكة من الخشب .

ومن السمات الطريفة للعصر بصفة خاصة : إقامة أبنية ذات ألوان زاهية
في وسط الحدائق الغناء وفي مقابل الأحواض والأنهار ، كما أقيمت مزارات
للأئمة والأولياء في مثل هذه الحدائق ، ويعد قبر محمد المحروق في نيسابور مثالا
نموذجيا ، حيث تضم الحديقة نفسها رفات عمر الخيام ، وقد بنيت قصور
كثيرة بواسطة الشاه عباس وملوك آخرين من الأسرة الصفوية في الحدائق
الملكية . ولا يزال الإنسان يرى في إصفهان القصور المسماة بـ « جهل ستون »
و « تالار أشرف » و « هشت بهشت » بينما لا تزال القصور الأخرى قائمة
على طول ساحل بحر قزوين في آمل وأشرف ؛ وكان الملوك يحبون المعيشة
في الهواء الطلق ، كما يثبت ذلك التقرير التالي :

« وقد احتفل الملك بذلك العيد ثلاثين يوما متواصلة تحت خيام نصبت
في حديقة كبيرة قطرها يزيد على ميلين تخترقها جداول صغيرة من الماء الجاري ،
وكان كل رجل يأتي يجلس تحت خيمة أو أخرى حسب منزلته ، ويقدم له
اللحم بكثرة ، والفاكهة والشراب ، وكانوا يشربون كما يشتهون سواء يافراط
أو باعتدال دون إكراه ، وهي أبهة ملكية لم أرها ، وإن أراها مرة أخرى
إلا بواسطة الملك نفسه » .

وقد وصلت صناعة السجاد والمنسوجات — في العصر الصفوي — إلى درجة
من الإتقان لا يمكن تصديقها ، وكانت السجاجيد الكبيرة المنسوجة في المصانع

الملكية، والمخصصة للقصور والمزارات غالية غلاء خيالها، وهى فى صورتها التى نراها بها الآن — وهى معلقة على حيطان المتاحف — فى درجة من الروعة بحيث يصعب على الإنسان أن يصدق أن مثل هذه القطع التى لا تقدر بثمن قد صنعت لميشى الناس عليها، وكانت المناظر الطبيعية ومناظر الحدائق المزهرة تكون نماذج الزخارف المرسومة عليها. وكانت أهم المناظر المستعملة هى مناظر الصيد، ومناظر الحدائق الكاملة كما ترى من أعلى، ومناظر الشعيلات التى تتألف من وسام فى الوسط محاط بحقل من الزهور أو النقوش العربية، والحيوانات ومناظر الحقول المكونة من صفوف الأوص المملوءة بالأزهار، أو المكونة من بيوت من الزهر ومناظر الأشجار المورقة، وترجع السجاجيد الكبيرة الممتازة التى بقيت محفوظة حتى الآن، إلى أوائل القرن السادس عشر، وقد استمرت صناعة السجاجيد فى أوجها طوال هذا القرن.

وهناك ثلاث من السجاجيد عظيمة الشهرة هى: سجادة الصيد، وهى أكثر من ٢٢ قدما طولا، و ١١ قدما عرضا، وعليها اسم غياث الدين الجامى، وهى مؤرخة بعام ١٥٢٢م (٩٢٩ هـ) وهى الآن فى متحف فى ميلان، ثم السجادة الكبيرة جدا ذات الوسام الكبير فى وسطها، وثرىات المسجد معلقة فيها، وهى التى أمر بصنعها الشاه طهماسب لتوضع فى مزار جده الشيخ صفى فى أردبيل وهى متهورة باسم مقصود الكاشانى فى عام ١٥٣٩م (٩٤٦ هـ)، ثم السجادة ذات الوسام والنقوش العربية، وهى أكثر من ٢٦ قدما طولا، و ١٣ قدما عرضا، وهى منسوجة فى الثلث الأول من القرن السادس عشر، وكانت فيما مضى ضمن مجموعة دوق أنهالت (Duke of Anhalt) وقد نسجت فى أواخر هذا القرن مجموعة من السجاجيد الخزيرية فى مصانع كاشان، بقيت منها سجاجيد صغيرة كثيرة، وثلاث سجاجيد كبيرة جدا، والسجاجيد الأكثر ترفا هى التى تسمى السجاجيد البولونية (Polonaise Carpets) وهى التى نسجت نماذج زخارفها بخيوط من الفضة وخيوط فضية مذهبة. وقد نسجت بكثرة فى هذا العصر — سجاجيد للصلاة اتخذت من المحراب أساس زخرفتها فى الوسط.

وقد أنتج النساجون الذين كانوا يشتغلون في إصفهان ويزد ومراكز أخرى أقل أهمية أقمشة حريرية مقسمة ، كما أنتجوا الأطلس والمخملات ، والحرائر ذات الخيوط الفضية والذهبية في نماذج الزخرفة فقط ، والحرائر التي أرضية الرسم — جميعها — فيها من الخيوط المعدنية . وقد بقيت قطع كثيرة من عهد الشاه عباس ، تعد في المرتبة الأولى من حيث المهارة الفنية ، وقد أنشأ زخارفها غياث الدين علي اليزدي أكبر النساجين المشهورين ، وكان هو وزملاؤه في يزد متخصصين في اللوحات التي تشتمل على نبات مفرد نضير موضوع داخل إطار منحني ، وكان من الموضوعات الشائعة فكرة الزهور المنشورة المتكررة على أرضيات صلبة من الأحمر الوردى ، والأزرق الداكن ، والأصفر والأخضر ، وكان من الأشياء الرائجة كذلك منظر الحديقة الذي كان يمثل — غالبا — أشخاصا يحملون إبريقا ، وقدحا من الخمر ، وأشجار الصفصاف ، والأيكات المزهرة ، والطيور ، والحيوانات ، وبركة ماء . وكانت أغلب هذه الأقمشة مخصصة للنسبات ، لتلبس في القصر الملكي ، ولا زالت بعض هذه الملابس الصفوية باقية إلى الوقت الحاضر .

وقد حشد الشاه عباس في جزء من عمارة المزار الموجود في أردبيل مجموعة كبيرة من الخزف الصيني الأزرق ، والخزف الصيني الأبيض ، وتشبه نماذج الفخار المصنوع في العصر الصفوي النماذج الصينية ، فقد استعملت الألوان اللطيفة والرسومات المبهمة المعروفة في الشرق الأقصى ، بل لقد تهادى الشاه عباس أكثر من ذلك فأحضر ثلثمائة من صانعي الفخار الصينيين وعائلاتهم إلى إيران لتعليم الصناعات المحلية ، فصار الخزف الإيراني ينتج بكميات كبيرة ، ولكنه لم ينافس قط الخزف الصيني الأصلي ، وكان بعض أنواعه يعد تقليدا للأسلوب الصيني ، ولكن أحسن مصنوعاته الإيرانية ذات اللون الرمادي الأخضر لم ترق إلى حد مشابهة أصلها الحقيقي الرائع ، والنموذج الإيراني المثالي لهذه الصناعة في ذلك العصر هو ما يسمى بالفخار القبايجي ، ويحمل كثير منه شكل إنسان مرسوم بسرعة مع رسومات منقوشة بلون أزرق وأخضر وأحمر ، على حافة بيضاء مغطاة بطبقة لامعة شفافة .

عصور الأفشاريين والزنديين والقاجاريين :

كان نادر قلى رجلا قبليا من الأفشار ، ولد فى مشهد وارتفع شأنه من جمال إلى رئيس عصابة لقطع الطريق يتخذ مقره فى « قلعت نادرى » المنبوعة فى خراسان ، وفى عام ١٧٢٦ م (١١٣٩ هـ) اشتغل فى خدمة طهماسب ميرزا ابن الملك الصفوى الشاه حسين ، وفى ١٧٢٩ م (١١٤٢ هـ) هزم الأفغانيين بقيادة أشرف ، على مقربة من إصفهان ، وطردهم من غربى إيران ومن خراسان وهراته ، واسترد نادر — أيضا — أرمينية وجورجيا من الاتراك العثمانيين كما اعترفت بذلك معاهدة القسطنطينية المبرمة فى عام ١٧٣٦ م (١١٤٩ هـ) .

وفى عام ١٧٣١ م (١١٤٤ هـ) عزل نادر طهماسب ، وحكم كنائب للشاه عباس الثالث ابن طهماسب إلى أن توفى عباس هذا (آخر الصفويين) فى عام ١٧٣٦ م (١١٤٩ هـ) ، وحينذاك اعتلى نادر عرش إيران وتلقب بنادر شاه . وصار مؤسسا للدولة الأفشارية .

وقام نادر بحركة سياسية تهدف إلى إزالة الانقسام الواقع فى الجزء الشرقى من العالم الإسلامى ، فأعلن المذهب السننى مذهبا رسميا للبلاد ، ولكن إعلانه هذا ، واضطهاده لزعماء الشيعة لم يؤدى إلى نتائج حاسمة .

وعين نادر أفرادا من أسرته حكاما على أقاليم إيران ، ثم ظن أن مؤامرة دبّت ضده بواسطة ابنه رضا قلى ميرزا ؛ فأمر بسمل عينيه ، غير أن تأنيب ضميره بعد ذلك دفعه إلى القيام بأعمال تدل على الجنون والقسوة ، فكان النظام المفروض على كل من الشعب وجنود جيشه قاسيا جدا . وفى عام ١٧٣٦ م (١١٤٩ هـ) ، توغل فى أفغانستان ، فاستولى على قندهار وغزنة وكابل ، ثم واصل سيره إلى الهند حيث دخل دلهى (دهلئ) فنهب القصور ، وما بالمدينة من كنوز خيالية كان من بينها عرش الطاووس .

وفى عام ١٧٤٠ م (١١٥٣ هـ) استولى على بخارى وخيوة وجميع إقليم الأوزبكين ، وقام بمحاولة جدية لبناء أسطول فى الخليج الفارسى ، وفى عام ١٧٣٨ م (١١٥١ هـ) ضم جزيرة البحرين إلى إيران . وفى عام ١٧٤٣ م

(١١٥٦ هـ) سار لفتح العراق ؛ فاستولى على الموصل والبصرة ، وكان عصره يمثل عهدا قصيرا من القوة الوطنية والكرامة ، ولكن أهالي البلاد لم يظفروا بأية فائدة من غزواته الخارجية ، وكان جيشه الضخم يعيش بعيدا عن موطنه الأصلي ؛ لأنه كان يسير من الغرب إلى الشرق وبالعكس ، وكانت الضرائب الثقيلة تفرض على السكان . وقد قتل نادر بيد واحد من ضباطه في عام ١٧٤٧ م (١١٦٠ هـ) في أثناء الثورات التي قامت في الأقاليم .

وحكم ابن أعمى لنادر — هوشا هرخ — خراسان من عام ١٧٤٨ إلى ١٧٩٦ م (١١٦١ — ١٢١١ هـ) ، ولكن حدث في هذه المدة أن ظفر الأفغان باستقلالهم وتمزق غربي إيران بواسطة الحروب الداخلية ، وسقط في أيدي دولتي الزندين والقاجاريين ؛ فصار كريم خان رئيس الزند — القبيلة البدوية المتنقلة في إقليم فارس — سيدا على إصفهان وشيراز وأغلب الجزء الجنوبي من إيران ، ونجح في صد القاجاريين ، وتلقب بلقب « وكيل » أو « نائب الملك » متخفيا بذلك وراء اسم أحد الصفويين الضعاف ، واستمر في الحكم من ١٧٥٠ إلى ١٧٧٩ م (١١٦٤ — ١١٩٣ هـ) ، فزين عاصمته شيراز بالقصور والجواسق المقامة في الحدائق ، والمساجد ، والسوق الطويلة المسقوفة ، ولا تزال المدينة تحتفظ بجزء كبير من طبيعتها المعمارية التي سادت في ذلك العصر .

وكان كريم خان رجلا ذا خلق شخصي رائع ، ويبدو أنه ظفر بحب وتقدير من أفراد شعبه .

أما القاجاريون فقد كانوا إحدى القبائل السبع التي ساعدت الشاه إسماعيل أول ملوك الصفويين ، وقد انخفض شأنها في عهد نادر شاه ، ولكنها ظهرت على المسرح في مازندران بعد وفاته ، وقامت بمجهود عقيم للانتشار في جنوبي إيران ، وقد وجد القاجاريون قائدهم الأعظم في شخص آقا محمد خان ، وكان خصيا ، نجح عن طريق العنف والقتل ، وكان هو نفسه أميرا قاجاريا ، فوحد فروع القبيلة ، وقوى أمره في عام ١٧٧٩ م (١١٩٣ هـ) ، فاستولى على طهران ، وأصبح أول ملوك الدولة القاجارية ، ولو أنه لم يلقب رسميا بملك إيران حتى عام ١٧٩٦ م (١٢١١ هـ) ، وهاجم محمد — في الجنوب —

قوات لطفعلی خامس الزنديين الذين أعقبوا كريم خان ، واضطره إلى اللجوء إلى كرمان ثم قبض عليه وعذبه حتى مات ، وعاقب أهل كرمان ؛ فأمر بسمل أعين ٢٠.٠٠٠ من سكانها ، ولكنه لم يلبث أن قتل هو نفسه في عام ١٧٩٧ م (١٢١٢ هـ) وكان قد ظفر بالسيطرة على جميع إيران منضمًا إليها جورجيا . وكان ابن أخيه وخليفته فتحعلی شاه — الذي حكم من ١٧٩٧ إلى ١٨٣٤ م (١٢١٢ — ١٢٥٠ هـ) — رجلا ذا أخلاق تختلف عنه تماما ، وكان عهده فاتحة قرن تمتعت فيه إيران بمزيج من الهدوء والسلام النسبيين ، ولكنها قاست فيه انهيارا خلقيا وسياسيا .

وبدأ في عهد فتحعلی شاه الانصال المباشر بالدول الأوروبية ، فعقدت معاهدة تحالف بين فرنسا وإيران في عام ١٨٠٧ م (١٢٢٢ هـ) ، وتوقع نابليون أن تفتح هذه المعاهدة أمامه طريق الغزو الفرنسي للهند عن طريق البر ، في مقابل أن تمد فرنسا إيران بالأسلحة ، وتستقبل بعثة عسكرية لتدريب جيشها ، لتتمكن بذلك من مقاومة روسيا القيصرية التي ضمت جورجيا في عام ١٨٠١ م (١٢١٦ هـ) ، ومع هذا فقد اتفق نابليون — سريعا — مع روسيا ، وانتهت العداوات التي شبت بين روسيا وإيران في عام ١٨١٣ م (١٢٢٩ هـ) بمعاهدة كلستان التي اعترفت لروسيا باحتلاك جورجيا .

وفي عام ١٨١٤ م (١٢٣٠ هـ) أمضت إيران معاهدة تحالف دفاعي مع بريطانيا العظمى ، لم تكن ذات قيمة قط لإيران ؛ رغم أنها بقيت سارية المفعول إلى ١٨٥٧ م (١٢٧٤ هـ) .

وفي عام ١٨٢٦ م (١٢٤٢ هـ) تحاربت إيران وروسيا مرة أخرى ، وأتبعته الانتصارات الإيرانية الأولى بسلسلة من الهزائم ؛ بلغت أوجها باستيلاء الروس على تبريز ، ونصت معاهدة ترکان جای — الموقعة في عام ١٨٢٨ م (١٢٤٤ هـ) — على إعطاء روسيا إقليمی إريوان ونخجوان ؛ اللذين كانا ضمن الأراضي الإيرانية مع تعويض كبير ، كما نصت على حق السفن الروسية في الرقابة الحربية على بحر قزوين ، ومنح روسيا كثيرا من

الامتيازات ، وأعطى ملحق للمعاهدة — عقد بعد ذلك — لروسيا حقوقا اقتصادية وجمركية خاصة .

ومنذ ذلك الوقت إلى القرن العشرين ؛ أصبحت إيران موزعة بين المصالح المتعارضة لروسيا وبريطانيا العظمى ، فكانت روسيا تبني سياستها على أساس التوسع في آسيا ، وتطمع في أن تكون لها ميناء في المياه الدافئة في الخليج الفارسي ، بينما ووجهت بريطانيا العظمى بالحاجة إلى السيطرة على الخليج الفارسي ، وجميع الأراضي المجاورة للهند ؛ أعظم مستعمرة ظفرت بها .

وحكم محمد شاه حفيد فتحعلي شاه من عام ١٨٣٤ إلى ١٨٤٨ م (١٢٥٠ — ١٢٦٥ هـ) ، وبذل جهده لتحسين الحالة الداخلية للبلاد ، وإلغاء التعذيب ، ومنع استيراد العبيد إلى إيران ، وقد خطبت روسيا في أثناء عهده ود إيران حتى تتمكن من تدعيم نفوذها فيما أحرزته من ولايات القوقاز وتركستان .

وقام محمد شاه — تساعده روسيا — بمحاولة لإعادة فتح هراه ؛ ولكن هذه المحاولة عورضت بشدة من جانب بريطانيا العظمى ، التي أرسلت ضابطا بريطانيا لتنظيم المقاومة التي انتهت بالنجاح في هراه .

وفي عهد محمد شاه ؛ حدثت آخر الحركات الدينية المهمة التي ظهرت في إيران ، وقد بدأ الدعوة إليها ميرزا علي محمد ، المولود في شیراز في عام ١٨١٩ م (١٢٢٥ هـ) ، وقد أمضى هذا الرجل شبابه في الدراسات الدينية ، فاعتنق — أولا — المذهب الشيعي ، ثم تحول إلى تابع لفرع خاص من فروع الصوفية . ولما بلغ سن النضج ؛ رحب بتعاليم عدد كبير من أتباعه ، الذين لقبوه بـ « الباب » ، أي الباب بين دنيا المادة ودنيا الروح ، وقد ادعى أنه نقطة التجلي الإلهي في هذا العالم . فدعا إلى السلام الدائم ، وتحسين حالة النساء ، وإزالة الفوارق بين الطبقات ، وإلى حياة تقوم على أساس التفسير الروحي لا الحرفي للدين ، ولكن معتقداته تعقدت باعتماده الغريب على دراسة المعنى الخفي للأعداد والأرقام .

وقد قتل الباب بأمر من الحكومة الإيرانية في تبريز في عام ١٨٥٠ م (١٢٦٧ هـ)، وبعد سنتين تقريبا؛ قتل حوالي ٤٠.٠٠٠ من أتباعه، وبعد قتل الباب صار ميرزا يحيى — أحد أتباعه الغيورين — رئيسا للطائفة، وهاجر إلى أدرنة داخل الدولة التركية؛ وهناك حدث الخلاف في هذه الدعوة الجديدة، فأنهى أمر الفرع البابي — فعلا — بوفاة ميرزا يحيى في عام ١٩١٢ م، واتخذ أخوه لآيه ميرزا حسين — زعيم الطائفة المنافسة — لقب «بهاء الله»، أو «البهاء الإلهي»، في عام ١٨٦٣ م، وسلمت بذلك البابية زمام الأمور للبهائية، وسرعان ما مزج بهاء الله ما في العقيدة من عناصر التصوف الإيرانية بأفكار تحررية معينة؛ كانت رائجة في ذلك الوقت في أوروبا، وصاغ منها ديناً عاماً دولياً لا يعترف بطقوس خاصة، ولا بنظام للكهنة، وجعل مركزه عكاً في فلسطين، وتابع الدعوة لهذه المعتقدات عباس أفندي ابن بهاء الله وخليفته، فانتشرت الحركة في جميع أنحاء العالم، وأنشئ «محفل مهيب للبهائية في ولت (Wilmette)، في ولاية اللينوى (Illinois)، بينما قارب محفل آخر من محافلهم على الانتهاء في طهران»^(١).

وقد اعتلى ناصر الدين شاه ابن «محمد شاه» العرش في عام ١٨٤٧ م (١٢٦٤ هـ) وهو في السادسة عشرة من عمره، وامتاز عهده الطويل بالعلاقات الودية مع روسيا؛ التي تركز نفوذها — بإحكام — في إيران. وفي عام ١٨٥٦ م (١٢٧٣ هـ)، تحرك الجيش الإيراني إلى أفغانستان واستولى على هراة، فطلبت بريطانيا العظمى التي حاربت ملك أفغانستان في المدة من ١٨٣٩ إلى ١٨٤١ م (١٢٥٥ — ١٢٥٧ هـ) سرعة الجلاء عن هراة، وأعلن الحاكم الإنجليزي العام في الهند الحرب على إيران، وأنزلت القوات البريطانية على رأس الخليج الفارسي، وعجزت روسيا عن إمداد إيران، فاضطر ناصر الدين إلى التسليم، وانسحبت إيران من هراة واعترفت باستقلال أفغانستان؛ مقتضى

(١) انتهى بناء هذا المحفل فعلاً، وظل مركزاً للبهائية في طهران إلى أن اضطهدتهم الحكومة الإيرانية أخيراً، فاستولت عليه، وجعلته مقراً للحاكم العسكري (المترجم).

معاهدة باريس التي أبرمت في عام ١٨٥٧ م (١٢٧٤ هـ) وقد منحت هذه المعاهدة — أيضا — امتيازات أجنبية وحقوقا تجارية خاصة لبريطانيا العظمى ومنذ ذلك الوقت ، اتخذ التنافس بين روسيا وبريطانيا العظمى على المسرح الإيراني صورة التدخل الاقتصادي ، وتطلب النشاط الصناعي المتزايد ، الذي ظهر في الغرب ، الحصول على المواد الخام وعلى الأسواق الجديدة لتصريف المنتجات المصنوعة ، فنظر إلى أقاليم بعيدة معينة على أنها مجال للغزو الاقتصادي الذي تطلب بدوره شيئا من التدخل السياسي ، وقد طبقت هذه السياسة في إيران ؛ في صورة التنافس في الحصول على الامتيازات .

ففي عام ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) حصل ؛ البارون رويتر (Baron Reuter) وهو صاحب مصرف بريطاني على امتياز عجيب من ناصر الدين ، تقع تفصيلاته في أكثر من عشرين مادة ، أعطت بريطانيا الحق في إنشاء السكك الحديدية ، وطرق المواصلات بالسيارات ، واستغلال الثروة المعدنية والبترو ل لمدة سبعين سنة ، كما أعطتها الحق في أن أشرف على الأعمال الجمركية لمدة أربع وعشرين سنة .

ولما قام ناصر الدين برحلته الأولى إلى أوروبا في السنة التالية ، استقبل بفتور شديد في روسيا ، فألغى الامتياز عقب رجوعه ، ومع هذا ؛ فقد عاد في سنة ١٨٨٩ م (١٣٠٧ هـ) فاسترضى رويتر بمنحه حق إنشاء المصرف الإمبراطوري لإيران (Imperial Bank of Persia) . وفي عام ١٨٩٠ م (١٣٠٨ هـ) أعطيت شركة إنجليزية حق احتكار الطباق والدخان ، ولكن الزعماء الدينيين للبلاد قادوا موجة من السخط عليها ، فأعلنوا تحريم استعمال الطباق في إيران حتى ألغى حق الاحتكار ، كما جدت بريطانيا العظمى أيضا — بعد عام ١٨٦٣ م — في إنشاء خطوط البرق في جميع الأجزاء الغربية من إيران .

ولم تقف روسيا مكتوفة اليدين أمام هذه الأحداث ؛ ففي عام ١٨٧٩ م (١٢٩٧ هـ) وافق ناصر الدين شاه على إنشاء لواء من القوزاق الفرس على النمط الروسي على أن يدربه ، ويقوده ضباط من الروس ، وأعدت هذه القوات

سريعا في طهران . وفي بعض المدن الشمالية الأخرى ، كما فتح مصرف روسي هو مصرف الخصم (Discount Bank) في طهران في عام ١٨٩١ م (١٣٠٩ هـ) وهو مؤسسة روسية . وحدث في عام ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ) ، أن حصل أحد الرعاة الروس على امتياز يمنحه حقوق الصيد في بحر قزوين كما نشطت روسيا جدا في هذه الأوقات أيضا في الاستيلاء على الأراضي الإيرانية القديمة ، فاستولت جيوشها — في عام ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ) — على طشقند وسمرقند وبخارى وخيوه ، فأبرمت إيران — في عام ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) — اتفاقية أخال (Akhal) التي اعترفت فيها بحق استيلاء روسيا على مرو ، تلك المدينة المهمة .

وفتحت السفارة الأمريكية في طهران في عام ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) ، وظفرت خمس عشرة دولة أجنبية على الأقل بحقوق وامتيازات أجنبية لرعاياها المقيمين في طهران في المدة التي تقع بين ١٨٥٥ و ١٩٠٠ م (١٢٧٢ — ١٣١٨ هـ) وقد بذل ناصر الدين جهده — بقدر المستطاع — لخدمة بلاده ، ولكن الظروف كانت أقوى فعلا من أن تقاوم مقاومة فعالة .

وزار أوروبا مرتين ، فرجع مقتنعا بأن إيران في حاجة إلى الاقتباس من الفنون والأساليب الأوروبية حتى تستطيع أن تتخذ مكانها في العالم الحديث ، وسرعان ما أيقن أن الحالة ليست كما اعتقد ، لأن الامتيازات الأجنبية الممنوحة للدول الأجنبية ورعاياها ، جعلت الفائدة التي تعود على إيران قليلة ، وكل ما حدث هو أن امتلأت طهران بالأجانب المغامرين الذين أخذوا يتطلعون إلى تكوين ثرواتهم على حساب الفرس السذج . ولم يكن الشاه — مع هذا — شخصية بسيطة ساذجة ، فقد ساءت له الاستعراضات الحربية في أوروبا بإساة شديدة ، وتأثر بالاستعدادات الدائمة للحرب التي تقرم بها كل دولة ، فكتب بعد أن شاهد عرضا مؤثرا لإدارة المطافي البريطانية : « ولكن وجه الغرابة يبدو في أنهم يحملوا مثل هذا العناء لإنقاذ الناس من الموت ، بينما نرى — على العكس من ذلك — أنهم يعدون — في مخازن الأسلحة والمصانع الحربية — الآلات الحديثة الكفيلة بإبادة الجنس البشري بطريقة أسرع وأعم ، وهكذا

أصبحت الأمة التي تستطيع مخترعاتها تدمير الناس تدميراً سريعاً مؤكداً تزهو بنفسها وتحصل على أوسمة الشرف . .

وبذل الشاه محاولة جديدة لتحسين نظم القضاء والإدارة العامة ؛ ولكن مجهوداته لم تكلل بنجاح دائم ، ودخلت الدولة تحت سيطرة رجال الدين المتزايدة ، وقتل ناصر الدين في عام ١٨٩٦ م (١٣١٤ هـ) . وحكم ابنه مظفر الدين من عام ١٨٩٦ م (١٣١٤ هـ) إلى ١٩٠٧ م (١٣٢٥ هـ) ، وكان قد أمضى شبابه في الكسل والبحث عن الملذات — عندما كان في تبريز — فلما تولى الملك ؛ لم يظهر أى مجهود ، أو أى اهتمام صادق بمهام الدولة ، وتكلفت رحلاته إلى أوروبا مبالغ طائلة ، تركت اخزاة خاوية على الدوام ، وأخذ الأمراء ورجال البلاط يكسبون الثروات في وقت لا يستطيع الموظفون العموميون فيه الحصول على مرتباتهم ، وكانت العقارات الكثيرة في أيدي عدد قليل من الملاك ، بينما كان الفلاحون يبيتون على الطوى ، وتهدمت وسائل الري ، وزحف الجذب على القرى والحقول . وأخيراً ؛ أدى احتياج إيران إلى المال إلى أن تطلب قرضاً من روسيا — في عام ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) — قدره ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ روبل بفائدة قدرها ٥ ٪ ، وكان من بين شروط القرض أن يستعمل جزء منه في تسديد جميع القروض المستحقة للدائنين الأجانب ، وألا يكون لإيران الحق في الاقتراض من أية جهة أخرى بدون موافقة روسيا ، إلى أن يتم تسديد القرض ، وقد ضمنت الجمارك الإيرانية أداء هذا القرض ، وفي الوقت نفسه ؛ تجدد بين إيران وروسيا اتفاق سرى قديم ، ينص على عدم إعطاء الأجانب امتيازات بإنشاء السكك الحديدية قبل موافقة روسيا ، وأخذت روسيا تنشي الطرق لسير العربات في الولايات الشمالية من إيران .

ولم يبق من هذا القرض الروسى بعد دفع نفقات زيارة الشاه لأوروبا في عام ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) ، وسداد قرض المصرف الامبراطورى ، وتسوية بعض الالتزامات الأخرى إلا مبلغ ٦,٠٠٠,٠٠٠ روبل فقط ، فطلبت إيران — على الفور — قرضاً آخر ، فبادرت روسيا بتقديم مبلغ ١٠,٠٠٠,٠٠٠

روبل ، وبادر مظفر الدين بالسفر إلى أوروبا على الفور أيضا . وفي عام ١٩٠١ م (١٣١٩ هـ) ؛ أبرمت روسيا وإيران اتفاقية جمركية نصت على فرض رسوم جمركية بسيطة على البضائع الواردة من روسيا ، وعلى فرض رسوم جمركية مرتفعة على البضائع الواردة من الدول الأخرى .

وأخيرا صار الجو مهيئا للتغيير ، فأخذت الثورة للظفر بالدستور تظهر قوة مفاجئة ؛ ولكن جذورها في الحقيقة كانت قد تأصلت في نفوس فريق متعلم من الشباب الذي اتصلت ثقافتهم بالأفكار التحررية التي سادت في بلاد الغرب ، وعضد التجار وبعض رجال الدين والأشراف هذه الحركة الدستورية على أمل أن تهيئ لهم مزايا مادية أو سياسية . وفي يولييه ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ) ، تجمع التجار وغيرهم من سكان طهران — حتى بلغ عددهم عشرة آلاف — وقصدوا دار السفارة البريطانية ، ليكونوا في مأمن من الاعتقال ، وترك رجال الدين المدينة ، وشل بذلك النشاط الاقتصادي والاجتماعي فيها ، مما جعل الشاه يعد بالقيام بالإصلاحات ، وتجدد الضغط عليه مرة أخرى ، فأعلن الدستور في أغسطس ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ) وتكون أول برلمان سريعا ، فاشتغل بمعالجة كثير من المشاكل التي عرضت نتيجة لقيام نظام جديد .

وتوفي مظفر الدين في يناير ١٩٠٧ م (١٣٢٤ هـ) ؛ وتطلع ابنه الطموح محمد علي شاه إلى الاستفادة من الخصام بين طبقات النواب ليستعيد سلطته المطلقة ، وكان التجار قد بدأوا يظهرون عدم الاهتمام بوجود البرلمان ؛ فامتنعوا عن مده بالأموال اللازمة ، وكان رجال الدين قد انقلبوا عليه بعد أن فشلوا في السيطرة على الحكومة الجديدة ، وفي هذه الأثناء أعلن نواب عقد الاتفاقية الإنجليزية الروسية في عام ١٩٠٧ .

وكانت بريطانيا العظمى تساعد الدستوريين في المطالبة بوضع حد لمؤامرات الروس ونفوذهم في البلاط الإيراني ، وكانت روسيا قد خرجت — حديثا — من حرب فاشلة مع اليابان ، كما كانت بريطانيا العظمى تحس بوجود تهديد جديد في خطة ألمانية تهدف إلى إنشاء خط حديدي يعبر بلاد الشرق

الأدنى إلى الخليج الفارسي ، فعرضت على روسيا عقد اتفاقية ، تساعد على صد المطامع الألمانية ، وعقدت روسيا وبريطانيا معاهدة في عام ١٩٠٧ تضمنت نصوصا تتعلق بإيران وأفغانستان والتبت ؛ ففما يتعلق بإيران ، اتفق الطرفان المتعاقدان على احترام سيادتها واستقلالها ، ثم انتقلا من ذلك إلى تقسيم البلاد إلى منطقتي نفوذ ، والتزمت بريطانيا بأن تمتنع عن التطلع إلى أية منافع عامة أو خاصة في المنطقة الروسية ، التي كانت تشمل القسم الشمالي كله من البلاد ؛ وتضم تبريز ورشت وطهران ومشهد وإصفهان .

وكانت المنطقة المخصصة للمنافع الإنجليزية أصغر كثيرا ، فكانت تشمل الركن الجنوبي الشرقي من إيران ، وكان من المقرر أن تكون المنطقة الواقعة بين هاتين المنطقتين على الحياد ، ولم تكن هذه المنطقة محددة — في الاتفاقية — تحديدا واضحا ، وقد صارت — فعلا — حقلًا للنشاط البريطاني ، وأصبحت حاجزا على الطريق الموصل إلى الهند .

وكان الشاه — في الوقت نفسه — على استعداد للضرب على أيدي الدستوريين ، تشجيعه تأكيدات الروس بمساعدته . وفي يونيو من عام ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ) ضربت فرقة القوزاق الإيرانية — بقيادة الكولونيل لياكهوف (Liakhoff) مبنى البرلمان بالقنابل وأحدثت وفيات عديدة ، ثم أعلن الشاه حل البرلمان ، ولكن رد الشعب على هذا العمل كان سريعا حاسما ، فاستولى الثوار في مدينة تبريز على المدينة إلى أن جاءت قوة روسية ، ودخلتها وتمكنت — بعد أعمال عنيفة — من إخضاع الثوار . وتجمعت قوات ثورية في رشت وإصفهان وكانت قوة من إصفهان قوامها ٥٠٠٠ وبمختياري بقيادة أحد القواد القبليين ، وتقدمت نحو طهران وهزمت فرقة القوزاق الإيرانية خارج المدينة . ثم دخلت القوات الحرة المدينة في يولييه ١٩٠٩ م (١٣٢٧ هـ) ، ولجأ محمد علي شاه أولا إلى السفارة الروسية ، ثم هرب إلى روسيا ؛ وعين البرلمان الذي أعيد من جديد — ابنه أحمد شاه ملكا على إيران ، وكان في الحادية عشرة من عمره — وبقيت القوات الروسية معسكرة في شمالي إيران ، وسرعان ما ثارت المنازعات بين الثوار المنتصرين ، فكان

نجاحهم بطيئاً إلى أن عين أمريكي يدعى مورجان شستر (Morgan Shuster) أميناً عاماً للشؤون المالية في إيران ، وجاء مورجان شستر إلى طهران في عام ١٩١١ م (١٣٣٠ هـ) ، ومعه بعض مساعديه ، فقام مباشرة بإعادة تنسيق النظم المالية ؛ فأدى نشاطه وحببه الواضح لمصالح البلاد إلى ظفـره بحب الناس .

وقاومت روسيا هذا العمل بشدة ، فقدمت في نوفمبر ١٩١١ م (١٣٣٠ هـ) إنذاراً لإيران فيه طلبات نهائية منها طرد شستر ، وتقديم قواتها حتى بلغت قزوين . وقتلت كثيراً من الأحرار في تبريز وضربت مزار الإمام علي الرضا في مدينة مشهد بالقنابل — كل ذلك — لتعطى إنذارها صورة جدية حاسمة ، وقد رفض البرلمان هذا الإنذار النهائي ، ولكن الحكومة قبلته ، فترك شستر إيران ، وألف كتابه العلي القيم « خنق إيران » (The Strangling of Persia) وبعد قيام الحرب العالمية الأولى أعلنت بريطانيا حيادها ، ولكن طهران صارت مرتعاً للوأمراء التي كان الدبلوماسيون الروس والإنجليز والألمان وعملآؤهم يقومون بها ، وتنافست كل من تركيا وروسيا في تثبيت نفوذها في شمال غربي إيران ؛ وتقدمت قوة تركية حتى بلغت منتصف الطريق بين بغداد وطهران ، فلم يلبث أن تصدى الروس لها وقهروها .

وفي عام ١٩١٦ م (١٣٣٥ هـ) جاء المايجور برسي سيكس (Percy Sykes) من الهند إلى بندر عباس ، وجند قوة سميت « قوة بندق جنوبى إيران » (South Persia Rifles) سيطرت على جميع أجزاء القسم الجنوبى من إيران ، وبلغت قوتها ٥٠٠٠ رجل ، كما أخذ عميل ألماني معروف اسمه « واسموس » Wassmuss يحرك القبائل بالقرب من شيراز ، وحاولت إرساليات ألمانية خاصة أن تعبر حدود إيران لتكسب أفغانستان إلى جانبها .

وبعد الحرب ، رفض مؤتمر الصلح مطالب إيران ، ووجهت في عام ١٩١٩ م (١٣٣٨ هـ) بمعاهدة اقترحها الإنجليز عليها ، وعدت بريطانيا في نصوصها — مرة أخرى — باحترام إيران واستقلالها ، كما وافقت على مدها بالمستشارين والخبراء الحكوميين — على أن يأخذوا مرتباتهم من الحكومة الإيرانية — وتزويدها بالخبراء العسكريين والأسلحة والمعدات على حسابها أيضاً ؛ ونصت

المعاهدة على أن تأخذ إيران قرصاً ، وأن تنشئ بريطانيا العظمى الطرق والسكك الحديدية ، وأن تدرس الاتفاقات الجمركية من جديد .

وقد هدفت هذه المعاهدة إلى وضع إيران تحت السيطرة البريطانية التامة ، وأظهر الشاه والحكومة استعدادهما لقبولها ؛ ولكن الشعور العام — الذى شجعه احتجاج دبلوماسى أمريكى — بلغ درجة جعلت المعاهدة لا تجاز رغم الضغط الإنجليزى الشديد .

وكانت البلاد جميعها — فى هذا الوقت — فى حالة فوضى تقريباً ، وكانت القوات البلشفية مرابضة على الساحل القزوينى على أتم استعداد لبدء الهجوم ، ووقع فعلاً اشتباك بين القوات السوفيتية وقوة انجليزية .

وبخانة ، أبرمت إيران وروسيا السوفيتية فى سنة ١٩٢١ م (١٣٤٠ هـ) معاهدة صداقة ، تعد مناقضة تماماً للسياسة القيصريّة نحو إيران ، فأعلنت روسيا أن جميع المعاهدات التى أبرمت بينها وبين إيران فيما مضى — والتى كانت لا تزال سارية المفعول — قد أنهيت ، كما ألغت — أيضاً — جميع الاتفاقات التى كانت مبرمة بين روسيا ودولة ثالثة أخرى ، وكانت مضرّة بالمصالح الإيرانية ، وأسقطت روسيا جميع الديون غير المدفوعة التى كانت على إيران ، وتنازلت عن جميع الامتيازات الروسية ، وردت لإيران جميع الممتلكات الروسية الموجودة على الأراضى الإيرانية مثل مصرف الخصم الإيرانى ، والخط الحديدى الذى يربط بين جلفا وتبريز وميناء انزلى (بيلوى الآن) ؛ والطرق ، وخطوط البرق ، وألغت المعاهدة الامتيازات الأجنبية أيضاً ، ومنحت إيران حقوقاً ملاحية فى بحر قزوين مساوية للروس تماماً ، غير أن جانباً آخر من هذه المعاهدة صور مخاوف الحكومة السوفيتية الجديدة ؛ فقد نص على ألا تسمح كل من الدولتين بوجود — نشاط داخل حدودها — لقوات أو تنظيمات قد يكون لها خطط معادية للدولة الأخرى ، وأن تصد كل من الدولتين أية قوة ثالثة تهدد أمن الدولة الأخرى وسلامتها ، كما نصت على أنه إذا هددت قوة ثالثة تهديداً مباشراً أو حاولت أن تحولها إلى قاعدة حرية تعمل ضد روسيا ، وكانت إيران نفسها غير قادرة على صد هذا الخطر ، فإن لروسيا الحق فى أن ترسل قواتها عبر إيران دفاعاً عن نفسها .

الفصل الثالث

طابع الحضارة الإيرانية

للمدينة الإيرانية صفاتها الخاصة المميزة . فمن بين العوامل التي صاغتها في قالبها وجعلتها قوة مستقرة موقعها الجغرافي وكونها معبرا برياً بين الشرق والغرب ، مما أكسبها مزايا إيجابية لنمو المدينة والحضارة ، بينما جر ذلك عليها في الوقت نفسه المصائب والبلايا . فمن جهة ؛ كانت الهضبة الشاهقة ملتقى الرحل والتجار والعلماء ، وملتقى التيارات الفكرية والفنية . وظلت إيران على مدى العصور المتعاقبة متصلة اتصالاً مشعراً بالمدينيات التي كانت تنهض في أدوارها ، إما في شرقي الهضبة ، وإما في غربيها . ومن جهة أخرى ؛ لبث إقليم الهضبة منذ العصور الخالية المجاز الذي تهوى إليه جماعات المهاجرين إلى الغرب في حشود حاشدة ، كما لبث هدف الغزاة الطامعين في الأسلاب . وطالما اجتاحت البلاد الغزو والفتح ، وأفضى بها إلى خراب لا يرجى له عمار ، غير أن حضارتها كانت تعود — بعد كل نكبة — إلى الانبثاق .

وقد تحملت إيران أثقال موقعها الجغرافي بما لها من قدرة على المزج والهضم ، والقدرة على امتصاص الدم الأجنبي وتطويع العوامل الأجنبية ، وكانت هذه القدرة مستمدة من عاملين هما : طبوغرافية الأرض ، وحيوية أهل البلاد . فالأقوام التي دخلت إيران في هجرات جرارة ، أو كجيوش ظافرة كان أفرادها يخلدون إلى الاستقرار في بيئة تكون خيراً من بلادهم الأصلية في السهول القاحلة الواقعة في الشمال الشرقي أو الوديان المنخفضة في الجنوب الغربي ، أو في فيافي الصحراء العربية .

وقد جاوز مجموع الوافدين في غضون القرون المتوالية عدد سكان الهضبة الأصليين بكثير ، ولكن المدينة الإيرانية امتصتهم جميعاً ، فغدوا جزءاً منها ،

وبما ساعد على هذا التحول انحطاط التطور الحضارى للبلاد التى نشأ فيها أولئك الوافدون ، وكذلك قوة الأساليب الحضارية الإيرانية وما فيها من جاذبية . وقد يكون أروع مثال لهذا الامتصاص ما جرى للغول الذين دخلوا الهضبة الإيرانية برابرة يستعذبون القتل والدمار ، فصاروا بعد جيلين من المعيشة المستقرة من أشد المعجبين بجميع مظاهر الحياة الإيرانية ومن أقوى دعااتها .

وقد ظلت إيران على الدوام مستعدة لاستقبال واقتباس الأفكار الأجنبية والمؤثرات الخارجية والأساليب الفنية الوافدة ، بل إن هذا الميل كان معروفاً فى العصور السابقة للتاريخ ، وقد أبرزه — بنوع خاص — هيرودوت عندما كتب عن استعداد الأكمنيين للتطبع بالعادات الأجنبية . وتاريخ الفنون والهندسة الزخرفية مليء بالأمثلة على قدرة إيران على هذا التطويع والاقتباس ؛ غير أن الملاحظ فى مجال التعبير الفنى ، والتنظيم الاجتماعى والديانة والفلسفة أن النماذج التى تثير الإعجاب لمجرد كونها أجنبية جديدة ، لم تكن لتنسخ نسخاً ذليلاً ، بل كانت — دائماً — يعاد درسها ، وتعاد ضياغتها ، ثم يعاد التعبير عنها فى أسلوب خاص متميز .

وإن تاريخ الحضارة الإيرانية ليكشف عن صفة بارزة فيها ؛ هى صفة الاستمرار والاتصال ، وهى صفة ليست قاصرة — بالتأكيد — على إيران ، وإنما يلاحظ أن العناصر المعينة الصامدة التى أنتجتها ، والأسلوب الذى تم بواسطته التعبير عن هذه العناصر كلها أمور مميزة ، ألا وهى الفخر بالماضى وبنوع البناء الاجتماعى ، وصفات التعبير الفنى ، ونشدان معنى الحياة والقصد منها ، ونظرة الإيرانيين العامة وسلوكهم حيال العالم المحيط بهم .

وقد نتحدث عن فخر إيران بماضيها ، وعن إدراكها المستمر لقيمة تراثها الحضارى ، ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن سكان الهضبة على أنهم « إيرانيون » ، « وطنيون » ، فإنهم لم ينظروا قط إلى أنفسهم على أنهم « إيرانيون » ، أو على أنهم أنصار مخلصون لرمز منتفخ مثل : « الوطن » ، أو « الحاكم المقدس » . ولكن أدنى اقتراب من هذه الحالة الذهنية حدث فى صدر العصر الصفوي ،

عندما عملت الوحدة الدينية في مذهب الشيعة ، والوحدة العسكرية في مقابلة الجيوش الأجنبية ، والوحدة الثقافية في عصر يعد من عصور النشاط الفكري ، والإخلاص الشخصي لأسرة الصفويين ، على خلق عروة مشتركة تربط بين جميع أنحاء الدولة .

ومن ناحية أخرى ؛ ساد الإيرانيين شعور عميق بالفخر بالماضي المجيد للبلاد فساعد ذلك على تعزيز الشعور بالكرامة كلها تعاقب عصر من عصورهم التاريخية نقصت فيه سطوة الأمة ومنزلتها . وقد دبر القدر أمور إيران ، بحيث شهد أقدم عصورها التاريخية — وهو عصر الأكمينيين — تأسيس أولى امبراطوريات العالم . وقد جاهدت العصور التالية ، ولكنها لم تستطع أن تتفوق على عظمة الماضي .

والأمثلة على هذا التبجيل للماضي ، والسعي إلى النسيج على منواله تفوق الحصر ، فإن الحكام البارثيين كانوا يعتقدون في أنفسهم أنهم الورثة السياسيون للأكمينيين ، كما كانت أسرة الساسانيين تفخر بانتسابها إلى الملوك الأكمينيين .

وجاء الفردوسي فجمع كل ما روى وكتب عن أجداد إيران الغابرة فنشر بذلك لواء تقديس الأبطال الذي ظهر فيما بعد ، فمذ بضع سنوات ارتد رضا شاه إلى تلك التقاليد الوطنية ليستخرج منها اسما لأسرته الجديدة . وسادت أخيرا عادة التسمي بأسماء الأسرات بين ربوع البلاد فوق اختيار الناس على كثير من أسماء الملوك القدامى ، وأسماء أبطال الوطن .

وقد شيد صرح إيران الاجتماعي على حكم الملك المطلق الذي يشد أزره الأعيان الإقطاعيون الذين كان يطلق عليهم منذ عهد الأكمينيين لقب الولاة ، وكانوا يهيمنون على الولايات المترامية ، وكانت سلطاتهم — في ذلك العهد وما تلاه — أقرب إلى أن تتصف بصفة التوريث ، وبذلك انحصرت طبقتهم في عدد محدود من الأسرات . وكان إخلاص الأعيان الإقطاعيين له خطره على مر العصور ؛ فكان الملك في كل عصر يواجه بلزوم الاحتفاظ بتأييدهم عسكريا ، وإبقائهم في حال لا تتزايد فيها قوتهم — فوق ما ينبغي — حتى

لا يصبحوا خطرا عليه . أما حالة العامة ؛ فكانت واحدة ، في كل العصور فكانوا على ارتباط وثيق بالأرض ، يعيشون عليها ، ويباشرون فلاحها بنفس الطرق التي عرفوها على أعقاب القرون ؛ وكانت حالهم على شيء من اليسر أيام كانت الملكية من الحول بحيث تستطيع أن تهني لهم وسائل الرى ، واستتباب الأمن ، ولكن تلك الحال كانت تؤول إلى سوء البالغ أيام كان الضعف السياسى يؤدى إلى الفوضى الاقتصادية ، وكانت آلاف القرى التي يسكنونها متباعدة قاصية عن الطرق الرئيسية ؛ فكانت لذلك ضعيفة التأثر بالغزوات المتتابعة . وربما كان العزال تلك القرى من أهم عوامل المحافظة على المدنية الإيرانية واستمرارها ، ففي كل عصر ؛ جاء رجال من تلك القرى القاصية فصعدوا مناصب النفوذ والسلطان . مثال ذلك . أن رضا شاه أعظم الحكام في العصور الحديثة ، ولد في قرية صغيرة في الطرف الشمالى من سلسلة جبال البرز .

وقد ظلت سلطة حكام الولايات ، وملاك الأراضى من الإقطاعيين قوية إلى عهد متأخر ؛ ولا شك أن إخضاع الحكام المحليين للسلطة المركزية كان عاملا هاما في الانحطاط الاقتصادى الذى أصاب البلاد نظرا لأن جباية الضرائب انتزعت من الولايات ، وصار من اللازم تسليم حصيلتها إلى الشاه ، وصار ما يعود منها على الولايات قليلا قلة تدنو من العدم .

بيد أن الحياة في ظل الملوك المستبدين لم تزهق قط نزعة الفردية بين الإيرانيين . وقد تبدو الحياة الإنسانية نفسها زهيدة القيمة عندما يكون ألوف الناس ، أو مئات الألوف منهم عرضة للفناء في غزوة واحدة ، ومع ذلك ؛ فإن اعتزاز الشعب بكرامته لم يندثر قط . ومهما هانت منزلة الإيراني فإنك قلبا تراه ذليلا أو مستسلما للإهانة ، ولم يكن المجتمع محصورا في نطاق محكم من نظام الطبقات والطوائف ، ولم يكن هناك حد للمستوى الذى يستطيع أن يسمو إليه الفرد إذا وهب الذكاء والشجاعة والاجتهاد .

وكان للتعبير الفنى في إيران طابعه الجلى المستمر . وقد ظل الفن الإيراني — على الدوام — زخرفيا غير تشخيصى ؛ ولذلك فإن من غير الإنصاف أن ندع

تعلق الغرب بالفن التشخيصي يفضي بنا إلى إساءة الحكم على الفن الزخرفي ، فالفن الزخرفي — أو الفن البحت — ينطوي على مغزاه الخاص القوي المتمثل في الرموز لا في الصور . وقد كونت إيران منذ القدم لنفسها مجموعة من الأشكال والطرز ذات المعاني الخالدة ، والقيم الثابتة لدى شعبها ؛ وقد أرست أعمالها الفنية الأولى على جملة من النماذج المتعارف عليها ظلت باقية على مر القرون دون أن يعتريها إلا قليل من التعديل ؛ عندما كانت تعدل وتهذب كلما راج استعمال الطرق الفنية المستحدثة . وقد لبث الفن الإيراني على الدوام متميزا بالدقة والوضوح والطلاقة ، مثال ذلك : أنه في إنتاج الخزف أفضى الحرص على إبراز المهارة الصناعية وحذق الصناعة ، إلى تباين كبير بين الأنواع ، ولكنه لم يؤد قط — كما أدى في الشرق الأقصى — إلى خلق أشكال لا تتفق مع طبيعة الصلصال . والخارف الإيرانية مهما كان امتلاؤها بالألوان ، ومهما كان ما فيها من دقة الرسوم ، تستند على الدوام على نموذج واضح جلي للعين ، ولم تنخرط قط في فوضى الغزارة المضطربة المعهودة في زخارف عصر ما بعد النهضة العلمية في أوروبا ، والنقوش الهندية المتأخرة .

وتبدو على الفن الإيراني معالم النمو المطرد المتسق المعهود في الفن الغربي ، ولكنه مع ذلك لم يتقدم إلا بخطى أشد بطئا . ولم تفسده التغييرات المبسرة في الأسلوب ، ولذلك لم تكن هناك فجوة حقيقية بين الفن الإيراني قبل الإسلام ، وبينه بعد الإسلام . وكان في تحريم الإسلام لتشخيص الأحياء — وإن لم يتبع ذلك التحريم في كل الأحوال — ما يناسب ذلك الميل الطبيعي إلى الفن الزخرفي . وعادت إلى الظهور الأسس الفنية المتكررة منذ العصور الأولى حتى العصر الإسلامي — وهي التي تشاهد في هندسة واجهات القصور والمعابد الساسانية وأساساتها وكذلك في المساجد — وظلت أشكال الإنشاء وطرقه على حالها لم تتغير ، أو لم تكد تتغير ، لأن بنائي الإيرانيين لم تستهؤم — إلا نادرا — تلك العناصر الحديثة غير المألوفة ، التي لم تجرب التجربة الكافية .

وكان الإيرانيون على الدوام شديدي الاهتمام بمعرفة الغرض من الحياة

والقصد منها وكان مثلهم الأعلى الثابت — بصفة عامة للغاية — السلوك
الإنسانى طبقاً لمبدأ (التفكير الخير والقول الخير والعمل الخير) .

وقد وضعت الزردشتية — وهى من أولى ديانات العالم الفلسفية المتكاملة —
نموذج التفكير الدينى فى الأزمنة اللاحقة ، فدعت إلى الفضيلة العملية التى
تهيب بكل فرد أن يجاهد — من أجل الحقيقة — ضد قوى الظلم والكذب .
ودانت المانوية بمبدأ القوى المتعارضة كقوى الخير والشر والنور والظلام ،
ولكنها جمعت بعض مسائل الزردشتية والمسيحية ، والبوذية واليهودية ، وظلت
توحد بينها حتى بلغت نهايتها فى الاعتقاد بأن الإنسان يجب أن يخلص روحه
بالإعراض المطلق عن الشهوات الجسدية .

وأما المزدكية ؛ فإنها مع اعتناق مذهب النزاع بين النور والظلام أمنت
إلى ما هو أبعد من المانوية فى تعريف الخير الكامل فرأت أنه للقضاء على
شرور الحقد والخصام والحرب يجب التخلص من أسبابها الطبيعية ، وهى اشتهاؤ
النساء ، وابتغاء الثراء ، وعلى هذا يجب أن تكون النساء والثراء مشاعاً فى مجتمع
لا طبقات فيه يضم أفراداً متساوين .

ولم تستطع الضربة القاصمة التى أنزلها بإيران غزو العرب أن تحول هذا
الاتجاه الفكرى ، لأن الإيرانيين صمدوا لقوة العرب المادية ، ولسيطرة
الإسلام القاهرة بفضل قوة تقاليدهم ذاتها . واستطاعت إيران بإقبالها على
التشيع وجعله مذهباً إسلامياً ، وعلى التصوف — باعتباره من المقاصد
الروحية — الاحتفاظ بمذاهبها الفكرية فى حدود الإسلام ، فإن فكرة الشيعة
عن (المهدي) التى تقول بأن الحفيد الثانى عشر — من سلالة على — سوف
يظهر فى نهاية العالم ليقضى على الشر ، وينصر الخير النصر الأخير ، جعلت
الإيرانيين يحيدون عن العقيدة الأصلية التى تعد محمداً خاتماً الأنبياء . وأعظمهم ،
بل وأحيت فيهم روح أساطيرهم القديمة التى تقول بعودة البطل عودة مظفرة
بعدما يظن أنه قد مات . ويعتقد الإيرانيون أن علياً^(١) تزوج من إحدى

(١) الراجع : الحسين بن على هو الذى تزوج من أميرة ساسانية .

الأميرات الساسانيات . ويحل الإيرانيون خلفاء الأئمة الاثني عشر إجلالا عظيما ، ويعتقدون أن هؤلاء الأئمة — الذين يمثلون قوى الخير والنور — قد جاهدوا الشيطان الذى تمثل لهم فى صورة (أهرمن) إله الشر قبل الإسلام . وهناك رأى له وجاهته يقول بأن الفلسفة العربية هى فى الواقع فلسفة إيرانية ، تكاد تكون معادية للعرب حينما تتناقض مع التقاليد الإسلامية ، والأغلبية العظمى من فلاسفة العرب المبرزين من أصل إيراني أو كانوا تلاميذ لساتذة من الإيرانيين . وقد كان الاشتباه فى نسبتهم إلى العرب ناشئا من أن كثيرا من الإيرانيين الثقة فى هذا المحيط كانوا يحررون بالعربية ، وقد بدأ النشاط الفلسفى بدراسة فلسفة الإغريق وترجمة مؤلفاتهم وشرحها ، واستمر ذلك النشاط بمحاولة التوفيق بين الفكر الإغريقى ، والمبادئ الإسلامية ، ثم أفضى الأمر به إلى ولوج الميادين الإيرانية والشرقية أصلا كالتصوف والفلسفة الإشراقية ، والفلسفة الأخلاقية .

وبلغ التصوف الإسلامى غاية الازدهار فى إيران ، ويبدو أن الإيرانيين امتازوا بميل طبيعى إلى الاستلهام الروحى — ويقول المراقبون المختصون بأحوال إيران الحديثة إن جميع الفرس نساك بقلوبهم — وقد قوى ذلك الميل بفضل قرائنهم الذكية ، ولكن معتقدات الصوفية التى راجت فى إيران سلكت هذه الطريقة فى سلك المذاهب الإسلامية الملهدة ، حتى جاء الغزالى فأدخل التصوف فى أحضان العقيدة الإسلامية الأصلية ، وحوله من مذهب إلى نظام سلوكى فى الحياة ، وهو سلوك عقيدة للتواضع فى الإيمان ، والحب المتناهى ، والأخلاق الفاضلة ، وقد أصبحت كتابات الغزالى من مصادر الإلهام للأجيال التالية بالرغم من أن مبادئه فقدت بعض بهائها وصفاتها بطريق النقل ، ولذلك فإن تصوف الخيام تغطيه طبقة من الإيمان بالقضاء والقدر والاستسلام والشك ، كما تمتاز آثار حافظ بصفة مزدوجة من التصوف ومن اللذة الدنيوية ، وسعدى وحده من بين المتأخرين هو الذى صور أجمل العواطف فى الفلسفة الأخلاقية ، وشرح الأخلاق العملية بالأمثلة والقصص .

وقد بلغ الغزالي — وورثة فلسفته المباشر — مستوى عالياً في الفكر التأملی ، لم يدركه أحد قط في العصور المتأخرة حينما اعترضت مجرى الحياة غزوات المغول وتيمور والافغان ، وقد أعقب هؤلاء عدد من شعراء الصوفية يعدون أساتذة في هذا الفن ، وهم يظفرون بحب وتقدير عظيمين في إيران ، فانعكست في آثارهم صور من الحالة في عصرهم ، فتحدثوا عن الحاجة إلى القيم الصحيحة التي تبقى وتنفع في الآخرة ، وتمثل في صفات ، كالشجاعة والمثابرة والمواظبة فأشاروا إلى ضرورة الخضوع إلى القضاء والقدر ، وإلى الرضا بهروب من الحقيقة القاسية ، إلى عالم الأحلام والرؤى . وبينوا أن حرص الإنسان على الأشياء المادية — في هذه الدنيا — يمنعه من الوصول إلى المستوى الرفيع ، للسكّال الخلق والروحي ، الذي هو هدف الحياة ، وصارت هذه التعاليم وتلك النزعات جزءاً من حياة الأجيال الإيرانية المتعاقبة له أثره الشامل حتى الوقت الحاضر .

وينبغي أن تقرر إيران الحديثة ما إذا كانت تستطيع أن تعيش كأمة في دنيا تعطى أهمية كبيرة للنواحي المادية ، وهي لا تزال تحتفظ بهذه النظرة . وهي الآن جزء غير منفصل من هذه الدنيا الكبيرة ؛ ويتطلب بقاؤها القومي اختيار النظم والمشروعات والأوضاع المتبعة في أكثر الأمم نجاحاً فيجب أن يتحول الخلق الإيراني ، وهو الآن — آخذ في التحور — وقد أخذ الفكر التأملی يخلو مكانه للعقل والمنطق ؛ وأخذت الكفاية ، وعدم الإبطاء ، والحث على العمل تسود ميادين العمل والتجارة ، وقد كان الإيرانيون يمتازون — دائماً — بالفردية ، ولكنهم الآن — يتجهون نحو التعاون الجماعي ، والمسئولية الجماعية . وقد تخلصت إيران — في الوقت الحاضر — من العقبة الأولى ، وهي القوات الحربية الطاغية ، والقوة الاقتصادية ، والمهارة الصناعية للعالم الغربي التي سببت لها منذ البداية الشعور باليأس والضعف . ويستطيع الإيرانيون أن يتيقنوا من أنهم لن يحنوا أية فائدة حقيقية من التقليد السطحي للغرب ، وأن الإصلاح السريع لشئون الحياة ، والممارسة الرفيعة لها يجب أن يقوموا على نوع جديد من أنواع التعليم ، يعتمد على أساس مدعم من المدنية الصناعية الفنية ، على أن يحتفظ في الوقت نفسه بالعناصر الأساسية لتقاليد الحضارة الإيرانية .

ايران الصديقة

الفصل الرابع

العصر البهلوي

في يوم ٢١ فبراير ١٩٢١ — وقبل خمسة أيام بالضبط من إمضاء معاهدة الصداقة الإيرانية السوفيتية في موسكو — أطيح بالحكومة الضعيفة المترنحة في طهران بفضل اتحاد نوعين من الضغط : ضغط سياسي في داخل العاصمة ، وضغط عسكري بواسطة القوات التي زحفت على المدينة من قزوین ، وكان قائد هذه القوات الكولونيل رضا خان .

وقد ولد رضا خان في ١٦ مارس ١٨٧٨ في دسوادكوه ، في إقليم مازندران الواقع على بحر قزوین ، وكان والده وجده ضابطین في الجيش الفارسی القديم ، والتحق في شبابه بفرقة القوزاق الإيرانية ، واستطاع أن يصل إلى رتبة القيادة بكفاءته الخاصة ، وقوة شخصيته ، وكان ذا قامة فارعة ووجه فيه قوة وخشونة ، كما كان إداريا صارما ، ولم يكن ذا ثقافة تعليمية ، وكانت تجاربه — في غير المسائل العسكرية — محدودة ، ولكنه كان رجلا ذا آمال وأهداف محددة .

وقد رأس الوزارة بعد احتلال طهران السيد ضياء الدين طباطبائي ابن أحد الزعماء الدينيين مدة مائة يوم ، وكان صغفيا مكافحا فاول فرض إجراءات خاصة وإصلاحات معينة ، ولكنه اصطدم برضا خان الذي كان في ذلك الوقت قائدا عاما للقوات المسلحة ، ووزيرا للحربية وأجبر على الاستقالة من الوزارة وترك إيران ، وظل رضا خان نفسه وزيرا للحربية في عدة وزارات متتالية إلى عام ١٩٢٣ ، ثم أصبح رئيسا للوزارة ، وبعد ذلك بأشهر قليلة ترك أحمد شاه آخر ملك في الدولة القاجارية إيران على ألا يعود إليها أبدا .

وفي عام ١٩٢٥ ، اختارت جمعية تأسيسية خاصة رضا خان ملكا على إيران ، كأول ملك للدولة البهلوية ، ثم توج في ربيع عام ١٩٢٦ ، وقد فطن رضا شاه

أكثر من غيره من مواطنيه إلى الفرق الشاسع ما بين ماضى إيران المجيد ، وحاضرها المنهار ، فصمم على أن يوقظها من سباتها ، ويغذى فيها الشعور بالاتحاد والعزة القومية ، وكان على إيران أن تطرح كل تدخل ونفوذ أجنيين وأن تظفر باستقلال كامل ، وبا احترام من الشعوب الأخرى كما كان عليها أن تتحول إلى بلاد صناعية ، وأن تصلح نظمها الاجتماعية والاقتصادية ، وفقا للنظم الغربية ، وأن تتبع برنامجا يشبه في تفاصيله وتنفيذه البرنامج المتبع في جارتها تركيا ، وقد استطاعت أن تحرز تقدما ملحوظا في تنفيذ هذا البرنامج في خلال السنوات القليلة التي أعقبت تولى رضا شاه الحكم .

أما في ميدان الشؤون الخارجية ؛ فقد أنهى رضا شاه نظام الامتيازات الأجنبية ، وحاول أن يؤكد سيادة البلاد وأن يضع حدا للاقتراض من الدول الأجنبية ، فاخفى التدخل البريطاني في شؤون إيران الداخلية ، وسلب رضا شاه من المصرف الامبراطورى الذى تملكه بريطانيا حق إصدار العملة الإيرانية ، وألغى الاتفاق المعقود مع شركة البترول الانجليزية الإيرانية ، واستبدله باتفاق آخر أكثر نفعا لإيران .

وقضى رضا شاه على كل مظاهر الشيوعية في إيران ، ولكنه تحقق من ضرورة إقامة علاقات تجارية واقتصادية وثيقة مع روسيا السوفيتية ، فأبرمت خمسة موائيق بين روسيا وإيران في عام ١٩٢٧ ، كما أبرمت بضعة موائيق أخرى في عام ١٩٣٥ ؛ تتعلق بحقوق صيد السمك في بحر قزوين ، وبإعادة بعض المنشآت على ميناء بهلوى (على بحر قزوين) إلى إيران . كما تتعلق بالعلاقات التجارية ، والرسوم الجمركية ، والضمانات الخاصة بالحيا والامن المتبادلين .

وأنشأ رضا شاه جيشا ضخما مزودا بالأسلحة الحديثة ، وسرعان ما أخضع كل ركن من أركان إيران تحت سيطرة الحكومة المركزية العليا ، وضمي بالنظام الاجتماعى العتيق فى سبيل إدخال أسلوب تقدمى جديد ، ففقد الأشراف قوتهم واعتبارهم ، كما ألغى استعمال الألقاب ، وفقد التجار حريتهم

في تنفيذ مشروعاتهم التجارية ، وأصبحوا يخضعون لنظم الحكومة في الاحتكار والسيطرة على الصناعة والتجارة في الداخل والخارج ، ورأى أن نفوذ رجال الدين المسلمين ، وتوجيههم لكثير من مظاهر الحياة العامة يؤثر على مركزه كحاكم جديد ، فخطا خطوات كثيرة لتحطيم قوتهم ونفوذهم ، ففقدت وظيفة رجل الدين هيبتها وسيطرتها على أموال الأوقاف الطائلة ، واستبدل القانون الديني بالقوانين المدنية والجنائية ، وصار الزى الديني لا يلبس إلا بتصريح خاص ، وأنشئت المكاتب لتسجيل الزواج والطلاق المدنيين ، وتحسن مركز المرأة وسمح للأجانب من غير المسلمين بزيارة المساجد الفخمة في البلاد وألغيت الاحتفالات الدينية ، والتعزية في مصارع الأئمة ، ومنع الدراويش من الظهور في المدن ، واستبدلت المدارس الدينية بالمدارس المدنية ، ولم يكن هدفه من هذا كله محاربة الدين نفسه ، كما حدث في بعض الدول الأخرى التي حاولت إعادة بناء نظامها الاجتماعي ، بل كان القضاء على المظاهر الكاذبة التي لا تتناسب مع إيران بعد أن أعيد بعثها .

وقد استخدم المتخصصون من الأجانب لتنفيذ برنامج التصنيع والإصلاح المالي والإداري ، غير أنهم كانوا — بعد عام ١٩٣٠ — لا يعطون مناصب ذات نفوذ ، فاكثف باستعمالهم كفنيين ومهندسين ، لأن رضا شاه أظهر نفورا شديدا من الدول الأجنبية وقد تولد فيه هذا الشعور بسبب وطنيته المفرطة وبسبب نفوره من كل نقد يوجهه إليه الأجانب ، وغذاه أيضا ضغط الازمة الاقتصادية العالمية الشاملة على إيران .

وقد ووجه رضا شاه بالازمة الاقتصادية وبنقص في العملات الأجنبية ، فاضطرت حكومته إلى السيطرة على الاقتصاد والتجارة ، وأسست شركات احتكارية لتنفيذ مشروعات الاستيراد والتصدير ، كانت الحكومة تمتلك جميع أسهمها أو أكثرها ، وكانت أثمان البضائع المستوردة تحدد بأسعار تزيد على أسعارها العادية في أنحاء العالم ، فحققت الحكومة بذلك أرباحا طائلة ، وعقدت اتفاقيات المقايضة والتبادل التجاري بين إيران وكل من ألمانيا وروسيا السوفيتية .

وكانت الأرباح الناتجة عن الاحتكار والدخل الناتج من الضرائب العادية والضرائب الاستثنائية تمول الاعتمادات الخاصة بإنشاء الصناعات التي تمتلكها الدولة ، فحدث تقدم كبير في إنشاء المصانع ، وتيسير النقل بفضل إنشاء السكك الحديدية عبر إيران ، وتعبيد آلاف الأميال من الطرق الجديدة ، واستيراد السيارات لنقل المسافرين والبضائع ، ولكن الزراعة وطرق الري أهملت من — ناحية أخرى — ولذلك فإن الزراع لم يستفيدوا كثيرا من الصناعات الجديدة ، فشعروا بهبوط ملحوظ في مستوى معيشتهم .

وبما يؤسف له ، أن تكريس رضا شاه نفسه لخدمة إيران وتقدمها قد عاقته لذته المتزايدة في جمع ثروة شخصية هائلة ، وعدم رغبته في التنازل عن شيء من السلطة ، فأصبحت في يده مبالغ طائلة من المال ، واستولى على كثير من القرى ، وامتلك كثيرا من الأراضي الزراعية والغابات .

أما في الناحية الإدارية فقد استعان بقوته الشخصية الصارمة ، وببرلمان فقد روح الاستقلال ومقوماته الأساسية ، فكان ينفذ كل اقتراح تقدمه الحكومة .

وقد استعمل الجيش — تنفيذاً لأوامره — كل الوسائل العنيفة لإخماد روح التمرد بين القبائل البدوية . وتجنب الموظفون الحكوميون تحمل المسؤولية ، فكانت تقاريرهم عن الحالة الداخلية تصور حالة الرضا ، والشعور بالتفاؤل لإرضائه ، كما تشير إلى الصلات الطيبة بين إيران والدول الأجنبية . وكان المخطئون يعاقبون عقاباً قاسياً ، كما يعاقب أعداء الملك الشخصيين .

وانعدمت حرية الكلام والصحافة ، وأنشأت الدولة إدارة خاصة لتوجيه الرأي العام ، ولم تتح أية فرصة لإظهار المصلحين والزعماء الوطنيين من بين أفراد الجيل المتعلم الناهض . وصفوة القول أنه وجدت حالة إضعاف للأساس الخلقى ، كما وجد جو شامل من الضعف والإذعان .

ولما قامت الحرب العالمية الثانية أعلنت إيران حيادها ، وحاولت أن تقيم علاقات عادية مع جميع القوى المتصارعة ، وكانت الواردات من الآلات ومواد

البناء ، والمواد اللازمة للصناعة تعد حيوية بالنسبة للبرنامج الصناعي ، وللحياة الاقتصادية في البلاد ، فكانت الظروف تحتم الاعتماد على الصلات الطيبة التي تربط بين إيران وألمانيا في الحصول على هذه الأشياء ، لأن ألمانيا كانت — حتى عام ١٩٣٨ — قد ظفرت بالمكان الأول في تجارة إيران الخارجية ، ويسرت هذه التجارة بواسطة نظام المقايضة ، وبعض ترتيبات الدفع الخاصة ، هذا فضلا عن أن رضا شاه كان قد رسخ في نفسه نفور شديد من الشيوعية وخوف من إمكان انتشار مبادئها في إيران .

ثم حدث أن أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في يونيو من عام ١٩٤١ ؛ مما أدى إلى إيجاد تحالف جديد بين روسيا وبريطانيا العظمى ، وسرعان ما أدركت الدولتان أهمية إيران من الناحية الاستراتيجية ، لأن أي هجوم ألماني عن طريق القوقاز إلى داخل البلاد كان معناه تهديد مؤخرة الروس ، كما أن إيران كانت مهمة كطريق آمن لإمداد روسيا .

وكانت القوات البحرية البريطانية تعتمد على محصول حقول البترول القريبة من رأس الخليج الفارسي ، كما كانت ألمانيا تعرف — تماما — أهمية إيران ، فأبقت عملاءها في البلاد ، وكانوا نشيطين دائما . وقد أثار نشاطهم شعور بريطانيا وروسيا بضرورة اتخاذ خطوات سريعة لوضع حد لهذه الحالة التي كانت تنافي مع حياد إيران ، ولم يذعن رضا شاه للاحتجاجات ، ويبدو أنه لم يعتقد كثيراً في جدتها ، أو أنه اعتقد أن الحلفاء لن يقدموا على اتخاذ عمل جدي مباشر بشأنها ، هذا من ناحية ، كما أن الحلفاء — من ناحية أخرى — كانوا قد اقتصروا باستحالة التعاون مع شخصية قوية مثل رضا شاه .

وفي ٢٦ أغسطس من عام ١٩٤١ ؛ هاجمت القوات الروسية إيران من الشمال الغربي ، ودخلت القوات البريطانية إيران من ناحية الحدود العراقية ، كما أنزلت قوات على رأس الخليج الفارسي ، وقامت السفن البريطانية بهجوم مباشر على القوات البحرية الإيرانية في خرمشهر ، فأغرقت جميع السفن الإيرانية ، وأحدثت خسائر فادحة في الأرواح ، وأبدى الجيش الإيراني

مقاومة واهية انتهت بعد ثلاثة أيام ، وفكر رضا شاه في خير وسيلة لإنقاذ بلاده والأسرة البهلوية فتنازل عن العرش ، وأخذ تحت حراسة بريطانية ، فحمل أولا إلى جزيرة موريتيوس (Mauritius) ثم نقل إلى جنوبي أفريقيا حيث توفي في عام ١٩٤٤ .

وقد نشر سيل من المقالات وعديد من الكتب عن عصر رضا شاه منذ تنازله في عام ١٩٤١ ، والواقع أن الأجانب يجب أن يبنوا حكمهم النهائي عليه ؛ على أساس ما في هذه المصادر من مادة . ومهما يكن من شيء فإن من الواضح تماما أنه أحد الشخصيات المهمة في تاريخ إيران ، وأنه قد استطاع بمفرده أن يضع إيران جنبا إلى جنب مع دول العالم الحديثة المتحضرة .

وقد خلف محمد رضا أباه على عرش إيران ، وأسندت الوزارة إلى فروغى — وكان فيلسوفا ومؤلفا ورجلا سياسيا ذا مكانة محترمة — فوضع نصب عينيه أن يبرم معاهدة ودية مع الحلفاء تؤيد متابعة الحرب ضد ألمانيا .

وقد أمضيت معاهدة التحالف الثلاثية بين إيران وبريطانيا العظمى ، وروسيا السوفيتية في ٢٩ يناير من عام ١٩٤٢ . وتعهدت بريطانيا وروسيا في أول مادة من هذه المعاهدة باحترام سيادة إيران واستقلالها السياسى والمحافظة على حدودها ، كما وافقت الحليفتان على بذل المحاولات اللازمة لتأمين الكيان الاقتصادى للشعب الإيرانى لحفظه من الفاقة والصعوبات التى تكون نتيجة للحرب . وعينت المواد الأخرى التسهيلات التى يجب منحها للحليفتين فى أثناء حربهما ضد ألمانيا ، وأكدت المعاهدة أن وجود القوات المتحالفة فى الأراضى الإيرانية لا يعنى احتلالا عسكريا ، وأن هذه القوات يجب أن تنسحب من الأراضى الإيرانية فى خلال مدة لا تزيد على ستة أشهر بعد انتهاء الحرب بين قوات الحلفاء وبين ألمانيا وحليفتها .

وفى أوائل عام ١٩٤٢ ، بدأت الإمدادات المقررة لروسيا تصل إلى رأس الخليج الفارسى ، وتدخل بواسطة الخطوط الحديدية الإيرانية ، وطرق السيارات المؤدية إلى الشمال كما وصلت أولى القوات الأمريكية إلى إيران فى ديسمبر ١٩٤٢ ،

وهي قوات عرفت باسم «قيادة الخليج الفارسي» (Persian Gulf Command) وبلغ عددها — في النهاية — ٣٠,٠٠٠ رجل . وقد استغل الأمريكيون الخط الحديدي الممتد من الخليج الفارسي إلى طهران ، وكذلك قوافل السيارات التي تنتقل من الخليج إلى شمالي إيران حيث كانت الإمدادات تسلم للروس ، فعمل خط النقل بالسيارات ٤٠٠,٠٠٠ طن من مواد الحرب ، بينما نقل الخط الحديدي ٤,٠٠٠,٠٠٠ طن من الإمدادات سلبت جميعها لروسيا السوفيتية وإيران ، وقد استطاع الحلفاء بفضل تعاونهم وكفائتهم أن ينقلوا خمسة ملايين طن من مواد الحرب عبر إيران ، ويسلموها للجيش الروسي .

ولم يكد يحل ربيع ١٩٤٢ ، حتى كانت الالاقات الدبلوماسية قد قطعت مع ألمانيا وإيطاليا واليابان ، وأخرجت جالياتها من إيران ، وفي ٩ سبتمبر ١٩٤٣ أعلنت إيران الحرب على ألمانيا كما أعلنت تمسكها بميثاق هيئة الأمم المتحدة .

وفي آخر نوفمبر ١٩٤٣ ؛ جاء روزفلت وتشرشل وستالين إلى إيران لحضور مؤتمر طهران ، وكان ميثاق طهران ذا أهمية حيوية بالنسبة للإيرانيين ، فقد اعترف الزعماء المتحالفون فيه بالمساعدة التي قدمتها إيران في الحرب ، ووافقوا على مواصلة تقديم المساعدة الاقتصادية لإيران ، وقرروا أن المشاكل الاقتصادية التي سوف تواجه إيران بعد الحرب ينبغي أن تعطى عناية بواسطة المؤتمرات الدولية أو ممثلي الدول ، كما عبروا عن رغبتهم في رعاية استقلال إيران وسيادتها ، وسلامة حدودها .

وكان ضغط الحرب شديدا على إيران ، فكان الطعام قليلا ، والبضائع — من كل نوع نادرة ؛ وساعد التضخم المالي على ارتفاع الأسعار ، وكانت المقادير الكبيرة من العملة الصادرة لمواجهة نفقات القوات المتحالفة داخل البلاد تعمل عملها في ارتفاع الأسعار وازدياد التضخم المالي ، وكانت الوزارات المتتالية قصيرة الأجل ، تهتم بالضروريات اليومية فلا تستطيع أن تقدر المشاكل الجوهرية الناشئة من التغير السريع من حكم رضا شاه الأرسقراطي إلى حكم ديمقراطي . وقد فشل رضا شاه في تكوين حزب يمثل الأغلبية

في داخل البرلمان ، كما فشل أعضاء البرلمان المنتخبون في ١٩٤٣ في إعطاء ثقتهم وتأييدهم للحكومات المتتالية ، نظرا لقلّة التعاون ، وانعدام الهدف بينهم ، وكان رؤساء الوزارات يتلو بعضهم بعضا في فترات متقاربة ، وكانت الحكومات المتتابعة تهتم برعاية مصالح الشعوب الأجنبية ، وبأن تكون محافظة جدا ، أو منطرفة جدا .

وفي ١٩٤٤ ؛ قدمت شركات البترول الأمريكية والإنجليزية عروضاً لاخذ امتيازات في جنوب شرقى إيران ، كما طلبت روسيا السوفيتية — في أكتوبر من نفس العام — امتيازاً لاستغلال البترول في شمالى البلاد ، وكان جواب البرلمان أنه صدق على مشروع قانون — في ديسمبر ١٩٤٤ — يمنع أى موظف رسمى إيراني من عقد أى اتفاق مع أية دولة أجنبية أو شركة يتعلق بأى امتياز . وقرر الزعماء الإيرانيون أن المشروعات الحيوية بالنسبة للشعب يجب ألا تتم إلا بعد انتهاء الحرب ، وفي أكتوبر ١٩٤٥ وافق البرلمان على قرار بتأجيل الانتخابات للدورة البرلمانية القادمة لمدة ستة أشهر بعد جلاء القوات الأجنبية جميعها عن البلاد .

وكانت الأحزاب السياسية الجديدة ذات أسماء رنانة ، وكان حزب « توده » (الكتلة الشعبية) المتطرف — في إقليم آذربيجان ، قد أبدل اسمه باسم « الحزب الديمقراطي الآذربيجاني » ، وكانت جماعة هذا الحزب — الذى تحتل القوات السوفيتية ميدان نشاطه — تتهم الحكومة المركزية بشدة ، وتهاجم حاميات الجيش الإيرانى ومراكز الشرطة في كل مكان في الإقليم ، مما جعل المنطقة في فوضى شاملة واضحة . وفي نوفمبر ١٩٤٥ ؛ أرسلت الإمدادات الحكومية من طهران ، ولكنها لم تتقدم إلى أبعد من شريف آباد — إلى الغرب من طهران — حيث أوقفتها القوات السوفيتية المعسكرة هناك . وفي ديسمبر أعلن الحزب الديمقراطي الآذربيجاني تأسيس دولة مستقلة في آذربيجان . وفي يناير ١٩٤٦ ؛ أخطرت الحكومة الإيرانية مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة بتدخل روسيا السوفيتية الواضح في شئون إيران الداخلية بواسطة

موظفيها الرسميين ، وقواتها المسلحة ، فاتخذ المجلس قرارا بالإجماع بأن إيران وروسيا ينبغي أن تخطرا مجلس الأمن بنتائج المفاوضات التي تدور في هذه المسألة ، واستبقى لنفسه الحق في أن يطلب معلومات عن سير هذه المفاوضات .

وفي فبراير ١٩٤٦ ؛ أصبح أحمد قوام رئيسا للوزارة الإيرانية ، فسافر إلى موسكو بالطائرة — فورا — لإجراء المفاوضات ، فوصل إليها في ٢ مارس ، وهو التاريخ الذي اتفقت عليه الدول المتحالفة لجلاء جميع قواتها عن إيران جلاء تاما ، وكانت القوات الأمريكية قد جلت قبل ذلك ، كما جلت القوات الانجليزية في التاريخ المحدد ولكن روسيا السوفيتية أعلنت أن جلاء قواتها عن بعض المواقع في الشمال الشرقي من إيران سيبدأ في ٢ مارس ، وأن قواتها ستبقى في بعض المواقع الأخرى حتى يتضح الموقف ، فشكت إيران في ١٨ مارس — إلى مجلس الأمن — من أن روسيا السوفيتية تحتفظ بقوات داخل حدود إيران ، مخالفة بذلك المعاهدة الثلاثية ، وأن عملاءها ، وموظفيها الرسميين ، وقواتها المسلحة مستمرة في التدخل في شؤون إيران الداخلية ، وقد نوقشت المسألة في المجلس ، ولكن المفاوضات بين أحمد قوام وأعضاء السفارة السوفيتية في طهران ؛ وهي التي بدأت حوالي نهاية الشهر انتهت بتبادل المذكرات وأعلنت نتائجها في ٤ أبريل . وقد تم الاتفاق فيها على انسحاب جميع القوات السوفيتية من إيران في خلال مدة ستة أسابيع ، وعلى تقديم اقتراح في دورة المجلس القادمة بإنشاء شركة بترول إيرانية سوفيتية مشتركة لاستغلال آبار البترول في ولايات إيران الشمالية ، وإيجاد تسوية سلمية داخلية بين الحكومة المركزية ، والحركة الثورية في آذربيجان ، وأبلغت الاتفاقية المتعلقة بجلاء القوات السوفيتية إلى مجلس الأمن ، فوافق على قرار بتأجيل المناقشة في المسألة الإيرانية إلى ٦ مايو ، على أنه يجب على كل من روسيا السوفيتية وإيران أن تبلغ المجلس — في ذلك الوقت — ما إذا كان جلاء القوات السوفيتية قد تم أم لا . وفي ٢٢ مايو ؛ أجل المجلس مناقشة المسألة الإيرانية ، وأخيرا جلت القوات السوفيتية عن إيران .

ووجه قوام رئيس الوزارة عنايته إلى الشؤون الداخلية ، ليغنى بالنزاع السافر بين الأجنحة اليمينية واليسارية في الأحزاب السياسية ، وبالاضطراب القبلي ، وبمشكلة آذربيجان وبالإصلاحات الجوهرية ، وكانت الدورة البرلمانية قد انتهت ، فكان حرا في أن يعمل دون أن تعوقه المعارضات البرلمانية ، إلى أن يحين موعد الانتخابات القادمة .

وقبض على السيد ضياء الدين طباطبائي — رئيس حزب مشيئة الأمة — فاختمى حزبه من فوق المسرح السياسي ، وأعلن رئيس الوزارة تكوينه لحزبه الشخصي المختص به ، المسمى بالحزب الديمقراطي الإيراني .

وفي صيف ١٩٤٦ ؛ قبل التعاون مع حزب « توده » ، وأشرك ثلاثة من مؤسسي الحزب — الذين كان ينظر إليهم كشيوعيين في الوزارة — ولكن سرعان ما أعيد تشكيل الوزارة بدون أعضاء حزب « توده » ، وبدأ الديمقراطيون الإيرانيون يسيطرون — وحدهم — على مسرح السياسة .

ودارت مباحثات طويلة مع زعماء الحكومة الآذربيجانية المذكورة ، واتفق فيها على الأسس العامة للاتفاق ، فأصدر الشاه — في أكتوبر — مرسوما ملكيا يدعو إلى الانتخابات الجديدة ، وأعلن رئيس الوزارة أن الانتخابات يجب أن تعقد في جميع أنحاء البلاد بمجرد أن تصبح قوات الأمن الوطنية في مواقعها في كل مكان للإشراف على هذه الانتخابات ، وحينذاك تراجعت حكومة آذربيجان المتمردة عن تنفيذ الاتفاقية ، ولم تسمح بمثل هذا الإشراف ، ولذلك ؛ فقد أرسلت حكومة إيران المركزية — في أوائل ديسمبر ١٩٤٦ — قواتها إلى آذربيجان ، فلم تلبث أن احتلت تبريز عاصمة الإقليم ، وانهار نظام الحكم في الحال ، وهرب بعض الزعماء عبر الحدود الروسية .

كما أجريت — أيضا — مباحثات مع الزعماء القبليين للكرد والبختاريين والقاشقائيين ، وعقدت اتفاقية مع القاشقائيين تصلح نموذجا للعلاقات مع القبائل الأخرى ، فمن ناحية ؛ كان على القبيلة أن تسلم أسلحتها للحكومة ، ومن ناحية أخرى ، صار للقبيلة الحق في أن يكون لها تمثيل متناسب في البرلمان ،

وأن تتمتع بتسهيلات أفضل في التعليم والعلاج والمواصلات ، وأن يعين الموظفون المحليون من بين سكان المنطقة .

وبدأت الانتخابات البرلمانية في أوائل ١٩٤٧ ، وقرر حزب توده — الذى كانت قوته قد ضعفت ضعفا ملحوظا — ألا يشترك فيها ، وفي صيف ١٩٤٧ ، كانت جميع النتائج قد رصدت ؛ وظهر أن جميع النواب الذين انتخبوا — ما عدا حفنة قليلة — ينتمون إلى الحزب الديمقراطي الإيراني ، وبدأ أن قوام — الذى بقى فى الحكم مدة أطول كثيرا من أسلافه المباشرين وواجه فى خلال هذه المدة مشاكل هامة وعالجاها — يريد أن ينفذ سلسلة طويلة من المشروعات النافعة لمستقبل إيران معتمدا على معاونة برلمان مؤيد له .

وفي ربيع ١٩٤٧ ، وأوائل الصيف ، أخذ متخصصون من شركة موريسون — نودسن الدولية (Morrison — Knudsen International Company) يشرفون على العمل فى إيران ، وقد استبقت الحكومة الإيرانية هذه الشركة الأمريكية لتقوم بدراسات ، وتوصيات محددة ، لتنفيذ برنامج اقتصادى يستغرق سبع سنوات ، وحوالى نهاية الصيف ، قدمت الشركة تقريرا مطولا يحدد النفقات المحتملة بحوالى ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار لتنفيذ الإصلاحات فى ميادين الزراعة ، والوقود والقوى ، ووسائل النقل والمواصلات ، وطرق الرى ، والصناعة .

واجتمعت الدورة الخامسة عشرة للبرلمان فى ١٧ يولييه ١٩٤٧ ، واختارت — فى ٣٠ أغسطس — «قوام» رئيساً للوزارة ، وفى ٢٢ أكتوبر قدم قوام هيئة وزارته مع تقرير عن اتفاقية أبريل ١٩٤٦ الخاصة بتكوين شركة بترول إيرانية — سوفيتية ، فوافق البرلمان — فى الحال — بأكثرية مائة صوت ضد صوتين على مشروع قانون يتضمن عدة مواد ، ألغت اتفاقية ١٩٤٦ باعتبارها مناقضة لقانون ١٩٤٤ الذى يمنع مثل هذه المباحثات بواسطة موظفى الحكومة ، وأوصت بوجوب معاينة المختصين للبترول فى إيران فى السنوات الخمس التالية ، ومعركة ما إذا كان موجودا فى الشمال بكميات تصلح للتجارة ، حتى تستطيع الحكومة أن تدخل فى مباحثات مع روسيا السوفيتية لبيع مثل

هذا البترول لها ، وقرر هذا القانون أنه لا يمكن منح أية امتيازات للأجانب في المستقبل ، أو لشركات يكون للأجانب فيها أسهم ومنافع ، ووجه نظر الحكومة لدراسة الامتيازات الممنوحة للشركات الأجنبية ، وخصوصا امتياز البترول الموجود في الجنوب ؛ على أساس زيادة المنافع التي يمكن أن تجنيها إيران من مثل هذه الامتيازات .

وبعد هذا التاريخ اشتدت المعارضة لقوام بين الديمقراطيين الإيرانيين في البرلمان ، وفي داخل وزارته نفسها ، فاستقال في ١٠ ديسمبر بعد فشله في الظفر — من البرلمان — بقرار بالثقة بوزارته . وفي ٢١ ديسمبر اختير إبراهيم حكيمى رئيسا للوزارة فأظهرت وزارته نشاطا محدودا في معالجة مشاكل الميزانية وسلسلة الإصلاحات الطويلة .

وفي ١٠ فبراير ١٩٤٨ ؛ وافق البرلمان الإيراني على قانون يوصى بشراء ما قيمته ١٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار من المهمات الحربية الأمريكية الفائضة ، وهو اقتراح كان يهدف إلى تحسين مهمات قوات الأمن الإيرانية ، وعلى العموم ؛ فقد فشلت الدورة البرلمانية الخامسة عشرة في مواجهة مسئولياتها ، ولم تجز في السنة الأولى من مدتها إلا حفنة قليلة من مشروعات القوانين ، وكان جو المناقشة والمواد الموجودة في بعض هذه المشروعات يصور عداء متزايدا دون سبب منطقي ، وقد نوقشت الرغبة في مراجعة عقد شركة البترول الإيرانية الإنجازية ، ووافق المجلس على مشروع قانون تجارى يمنع التجار الأجانب — في إيران — من استيراد البضائع . ومشروع قانون يوصى الحكومة الإيرانية باستعادة السيادة الإيرانية على جزيرة البحرين في الخليج الفارسي ، — والبحرين ضمن منطقة امتياز البترول الممنوح للشركة العربية الأمريكية للبترول Arabian - American Oilcompany

ويحكمها حاكم محلي له علاقات وثيقة بإنجلترا بمقتضى معاهدة خاصة — واعتقدت الجماعات — في إيران — أن مثل هذه الإجراءات المشروعة ستكون أفضل وسيلة تعجل بمنح الشاه سلطات أوسع ، فقدم مشروع قانون — في مايو — يقترح إنشاء مجلس للشيوخ وهي هيئة اقترح الدستور تسكوينها من قبل .

وفي يونه ١٩٤٨ ، اعتلت وزارة جديدة برئاسة عبد الحسين هزير منصب الحكم — وقد قتل في ١٩٤٩ على يد متعصب ديني ، أثناء الدورة البرلمانية — وفي يولييه زار محمد رضا شاه إنجلترا ، وفي نوفمبر أعلن طلاقه من الامبراطورة فوزية ، وفي نوفمبر استقالت وزارة هزير بعد مقتله ، وأصبح محمد ساعد رئيسا للوزارة ، وظل ساعد — وهو شيخ سياسي ذو لياقة وخلق — في منصبه إلى مارس ١٩٥٠ ، وكانت سنة ١٩٤٨ هادئة نسبيا ، ولكنها تتميز بظهور البطالة ، ومظاهر إحياء قوة حزب توده ، وبسلسلة من المذكرات السوفيتية التي اتهمت إيران بأنها تسمح للولايات المتحدة بإنشاء قواعد حربية في أراضيها . وفي ٤ فبراير ١٩٤٩ بذلت محاولة فاشلة لاغتيال الشاه ، وكان رد الفعل السريع لهذا العمل مهما ، فمن جهة اعتبر حزب توده مسئولاً عن الاعتداء ، فحارب ، وهرب زعمائه وحوكم الذين لم يستطيعوا الهرب من الدولة ، وأرسلوا إلى السجن ، ومن جهة أخرى اجتمعت عناصر الشعب المختلفة حول الشاه ، وأظهر البرلمان مزيدا هائلا من النشاط قبل أن تنتهي الدورة البرلمانية في يولييه ، فأقر تكوين مجلس الشيوخ ، كما أقر مشروع السنوات السبع للإنهاض والتعمير . وفي ١٦ نوفمبر وصل الشاه إلى الولايات المتحدة في زيارة — رسمية ، واشترك حتى وقت رحيله في آخر العام — في عدة حفلات عامة ، وأدلى بأحاديث عن أهداف دولته واحتياجاتها بلغة انجليزية سليمة .

وقد تميزت سنة ١٩٤٩ بنجاحها في برنامج الإصلاح باستخدام متخصصين من الشركة المساهمة لخبراء ما وراء البحار الاسـتشاريين Overseas Consultants, Inc. خلفت هذه الشركة شركة موريسون — نودسن Morrison - Knudsen كما تميزت هذه السنة بانتهاء الدورة البرلمانية الخامسة عشرة ، والانتخابات للدورة السادسة عشرة لمجلس النواب ، وبتكوين أول مجلس للشيوخ ، وباشتباكات مسلحة عديدة على الحدود الإيرانية السوفيتية ، وبنقص شديد في محصول القمح .

الفصل الخامس

مصادر الثروة

أنواع التربة والمعادن والأحجار

تدل الأبحاث على أن إيران تمتلك موارد معدنية كثيرة ، متنوعة للغاية ومنذ خمسة عشر عاما ، كان استخراج المعادن جميعها يتم بواسطة استعمال الآلات اليدوية فكان عملا شاقا ، غير أنه منذ إنشاء المؤسسات الحديثة في صناعة المعادن ، أدخلت وسائل فعالة في عملية التعدين .

وقد كانت ثروات البلاد التي تحت سطح الأرض موضوعا عاجله قانون خاص بالتعدين ، نقح أخيراً في ١٩٤٧ . وقسم القانون جميع موارد الثروة إلى ثلاثة أنواع ، فإذا وجدت المعادن التي تدخل تحت النوع الأول — مثل حجر البكس ، وحجر البناء ، والرخام ، والجبس في أرض مملوكة ملكاً خاصاً ، فإن الحكومة تمنح أحد المستغلين حقوق استخراجها في مقابل حصولها على ٥٪ من قيمة هذه المواد ، على أن يعطى المالك ١٪ ، أما إذا تم استخراج المعادن في أرض مملوكة للحكومة ، أو لا مالك لها ، فإن الحكومة تأخذ ٦٪ من قيمتها ، وإذا كانت المواد المستخرجة من النوع الثاني ، — مثل المواد المعدنية ، والوقود اليابس ، والأملاح ، والاسبستوس^(١) ، والكبريت ، وأكسيد الحديد — فإن الدولة تأخذ ٣٪ من قيمتها ، أما النوع الثالث — ويشمل البترول والمعادن الثمينة ، والأحجار الكريمة فإن حقوق استغلالها من اختصاص الحكومة وحدها ، بصرف النظر عن مالك الأرض . ويمكن للحكومة أن تعطى حقوق استخراج هذه المعادن للشركات المحلية ، أو أن تشرف

(١) معدن ذو ألياف غير سريع الإلتهاب .

هى بنفسها على عمليات استخراجها ، وتمنح الشركات الأجنبية امتيازات تحديد أماكن البترول والمواد المعدنية واستخراجها ؛ ولكن بشرط الحصول على موافقة خاصة من البرلمان .

ويعد المستغل من الموارد المعروفة — فعلاً — قليلاً نسبياً في الوقت الحاضر ؛ وليس المقصود من القائمة التالية أن تتضمن جميع مصادر الثروة المعروفة ، وإنما هى دالة — فقط — على أمثلة من المعادن مع ذكر أماكنها .

وقد حددت فعلاً أماكن مناجم : الفحم ، ومعادن الكروم ، والحديد ، والرصاص ، والكبريت ، والنحاس ، والفضة ، والذهب ، والنيكل ، والزرنيخ ، والكونالت^(١) ، وحجر الكحل ، والأكسيد الأحمر ، وأكسيد المنجنيز ، والصفيرج

ويستخرج الفحم من حقول الفحم الواقعة على سفوح سلسلة جبال البرز الشمالية والجنوبية لیسد حاجة المطالب الصناعية في مدينة طهران ، كما يوجد الفحم في شقوق الصخور الدقيقة في شمالي إيران ، وفي إصفهان ، وفي مناطق أخرى كثيرة ، ويستخرج معدن النحاس — بصفة عامة — في زنجان ، وبالقرب من سبزوار ؛ بينما يشتمل الإقليم الواقع إلى الشمال من تبريز على مناجم كثيرة قديمة ، وتتناثر مناجم الحديد على طول سلسلة جبال البرز ، وهناك جبل غني بالحديد بالقرب من كرمان ، ويصدر — سنوياً — حوالي ٢٠.٠٠٠ طن من الأكسيد الأحمر من جزيرة هرمز في الخليج الفارسي .

وتدل الدلائل على أن المناجم الموجودة في أناراك Anarak داخل حدود دشت كوير قد استغلت لمدة قرون عديدة ، وكانت الفضة تستخرج منها في الأصل ، ولكنها تستغل الآن في استخراج النيكل والرصاص أيضاً ، ويبدو أن مناجم الذهب المعروفة تحتاج إلى تعدين دقيق حتى يقوم استخراج هذا المعدن النفيس على أساس مربح تجارياً .

وتوجد الأملاح الكيماوية — مثل البوراتس Borates والسلفات Sulphates من مختلف المعادن في طبقات غنية بها ، بينما يحصل على ملح الطعام

(١) معدن صلب رمادي (المترجم) .

إما باستخراجه من الصخور الملحية أو بالسماح لفيض الينابيع الملحية بالانصباب في أحواض الترسيب والتبلور .

وتوجد مواد البناء — وتشمل الحجر والجبس والكلس — في جميع أنحاء البلاد ، كما توجد محاجر للهرمر والرخام بالقرب من مراغه ويزد وشيراز ، والمناطق الأصلية للفخار والآجر ، والآجر الخاص المصقول المطبوع في النار ، كثيرة شائعة ؛ كما توجد — كذلك — المعادن النفيسة أو نصف النفيسة مثل : الياقوت الأصفر والزمرد ، والياقوت الأزرق ، والعقيق والفيروز . وبالقرب من نيسابور ؛ توجد مناجم وأروقة كثيرة تستخرج منها قوالب مطمورة ذات فيروز بديع استخرجت منذ سنوات طويلة عديدة .

البترول :

في السنوات الحاضرة ، أصبحت إيران رابعة الدول المنتجة للبترول في العالم فهي تتلو الولايات المتحدة وفنزويلا وروسيا السوفيتية ، وتنتج الآن ٨ و ٥ ٪ من مجموع الإنتاج السنوي للبترول .

وكانت ينابيع البترول تنساب خلال الصخور في إيران منذ ظهر الإنسان الأول على سطح الهضبة الإيرانية ، ومن المحتمل أن تدفقات البترول ، أو الغاز المنساب من القيعان المحملة بالزيت قد اشتعلت بفعل البرق ، وأصبحت هدفا للإعجاب والعبادة ، وبعد ذلك بكثير ، حينما أصبح كتاب زردشت المقدس الديانة الرسمية للأكيمنيين ، واحترم الصدق والنور ، أنشئ كثير من بيوت النار التي تشتمل على شعلة دائمة فوق منابع الزيت والغاز ، أو بالقرب منها . ولا تزال أطلال واحد من هذه الآثار — وهو مسجد سليمان — ترى في وسط الحقول المنتجة للبترول . وفي عصور متأخرة استعمل البترول الطبيعي استعمالا عمليا .

وقد كتب أوروبي زار إيران منذ مائتي عام يقول : « يوجد في الناحية التي يسمونها مازندران زيت النفط ، وهو يستعمل في الصقل والنقش ، والطب ، والعلاج ، كما أن أفقر طبقات الشعب تحرق الزيت الذي يستخرج منه » .

وفي العصور الحديثة بدأ البحث عن آبار البترول في أواخر القرن التاسع عشر ، وفي ١٩٠١ سمع رجل من رعايا الإنجليز يسمى وليام دي آرسي William D'Arcy عن إمكان استخراج البترول في إيران ومنحته الحكومة الإيرانية سائر الحقوق للتنقيب عن البترول واستخراجه في جميع أنحاء البلاد ما عدا الأقاليم الشمالية وخولته حق إنشاء خطوط من الأنايب تصل إلى الخليج الفارسي ، على أن يسرى مفعول هذا الامتياز لمدة ستين عاما .

وكانت أولى شركات دي آرسي تمول من جيبه الخاص ، وفي ١٩٠٨ حفر أول بئر يتدفق بغزارة في منطقة تبعد حوالي ١٢٥ ميلا شمالى رأس الخليج الفارسي ، وفي السنة التالية أسست شركة البترول الإنجليزية — الإيرانية في لندن وأخذت على عاتقها مهمة تنفيذ الامتياز ، وفي عام ١٩١٢ ، قدمت الحكومة الإنجليزية أول إعانة لتمويل هذه الشركة ، وهي في الوقت الحاضر تسيطر على ٥٢٪ من أسهمها .

وفي عام ١٩٣٢ ؛ ألغت الحكومة الإيرانية الامتياز ، لأنها لم تقتنع ببعض المواد الموجودة في الاتفاق المبرم بين الشركة والحكومة الإيرانية ، ثم تفاوضت في عقد اتفاق آخر في عام ١٩٣٣ ، وباختصار ، نص الاتفاق الجديد على :

- ١ — منح امتياز إلى سنة ١٩٩٣ .
- ٢ — تحديد الامتياز بمساحة ١٠٠.٠٠٠ ميل مربع .
- ٣ — فقدان الحق في إنشاء خطوط من الأنايب تصل إلى الخليج الفارسي .
- ٤ — دفع أربعة شلنات للحكومة الإيرانية عن كل طن من البترول سواء بيع للاستهلاك داخل إيران ، أو صدر للخارج .
- ٥ — دفع حصة سنوية تساوي ٢٠٪ من جميع الأرباح السنوية التي تحصل عليها الشركة ، فضلا عن مبلغ ٦٧١,٢٥٠ جنيهًا إنجليزيًا ، وينبغي أن يكون مجموع كل هذه المدفوعات ٧٥٠,٠٠٠ جنيه سنويا على الأقل .

وفي الوقت الحاضر ، تمتلك شركة البترول الإنجليزية الإيرانية ستة حقول منتجة للبترول في المنطقة المرتفعة التي تقع إلى الشمال والشمال الشرقي من رأس الخليج الفارسي ، ويسحب الزيت المستخرج من هذه الحقول خلال خطوط عديدة من الأنابيب إلى «عبدان» الواقعة على الخليج الفارسي ، حيث يوجد أكبر معمل لتكرير البترول يعد واحداً من أحدث المعامل الموجودة في العالم ، وتساعد خطوط الأنابيب في عبدان ومعاملها والتسهيلات الموجودة في مينائها على تسليم ٦٠٠.٠٠٠ برميل من الزيت يوميا ، أما الغاز الذي يتسرب في الحقول متدفقا مع الزيت فإنه يسحب ويحرق سدى . ويصل الاستهلاك فيه إلى ما يقرب من ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ قدم مكعب يوميا ، وقد أعد مشروع لحمل هذا الغاز إلى طهران والمدن المهمة الأخرى . ولما كان ضغط الغاز في الطبقات التي تحمل البترول يكفي تماما لدفع الزيت إلى السطح ، فإن الشركة قد نفذت عملية خاصة تعيد بواسطتها بقايا الزيت الثقيلة المتخلفة بعد عملية التصفية وترجعها مرة أخرى من عبدان إلى الحقول ، حيث تحقن في الطبقات الأرضية لتكون الضغط تحت الأرض من جديد .

وتستخدم شركة البترول الإنجليزية الإيرانية حوالي ٦٠.٠٠٠ من الإيرانيين وهيئة إنجليزية وأجنبية كبيرة ، وقد اهتمت اهتماما خاصا بمساكن الموظفين وتعليمهم وتدريبهم ومعالجتهم في مؤسساتها الموجودة في عبدان ، وفي داخل البلاد .

وقد بلغ مجموع إنتاج شركة البترول الإنجليزية الإيرانية في عام ١٩٤٨ ١٩٠.٣٩٥.٠٠٠ برميل ، وارتفع هذا المستوى في عام ١٩٤٩ ، وقد تجاوزت ضرائب الامتياز المدفوعة للحكومة الإيرانية — في عام ١٩٤٨ — ٨.٠٠٠.٠٠٠ جنيه . وتنفق شركة البترول مبلغا يساوي ضعف هذا المبلغ المدفوع لضرائب الامتياز — بالجنيهات الاسترلينية — لشراء العملة الإيرانية اللازمة لتنفيذ عملياتها في إيران ؛ والنقد الخارجى الذى تظفر به إيران من هذين المصدرين ذو أهمية حيوية للاستقرار المالى فى البلاد .

ويوزع البترول المشحون من عبدان على نصف الكرة الأرضية الشرقي بواسطة النظام الذي وضعته الشركة الإنجليزية الإيرانية للتسويق . في عام ١٩٤٧ وتعاقدت شركتان أمريكيتان للبترول — لهما حقوق التسويق في نفس هذه المنطقة — على شراء ١٣٢,٠٠٠ و ٠,٠٠٠ طن برديل من الزيت الخام من شركة البترول الإنجليزية الإيرانية في خلال السنوات العشرين التالية .

وفي غرب إيران ، استغلت شركة البترول بخانقين — وهي فرع من شركة البترول الإنجليزية الإيرانية — حقول نفط شاه (الزيت الملكي) بالقرب من قصر شيرين المجاورة — تماما — للحدود بين إيران والعراق ، ويسحب الزيت بالطلبات فوق الجبال المشرفة على الهضبة إلى معمل حديث للتكرير أنشئ في مدينة كرمانشاه ، ويوزع الجازولين والكيروسين — من هناك — على جميع أنحاء شمال إيران .

وتدل التقارير — عن مدى اتساع حقول البترول الموجودة في إيران — على أن في البلاد مخزوناً يبلغ ثمانية بلايين من البراميل على الأقل .

ومن المحقق أن آبار البترول توجد في جهات أخرى من إيران ، وقد وجدت آثار من الزيت والقار في شمال غرب إيران ، كما توجد ينابيع البترول على طول ساحل بحر قزوين ، وعلامات على وجود البترول في شمال شرق إيران ، كما لوحظت ينابيع البترول في إقليم كرمان أيضا .

وفي عام ١٩٣٧ ؛ منحت الحكومة الإيرانية امتيازاً يشمل آبار البترول في القسم الشمالي الشرقي من البلاد لشركة أميرانيان Amiranian Oil Company وهي فرع من شركة سيبوردا الأمريكية للبترول Seaboard Oil Company of Delaware .

وبدأت أعمال المعاينة في الحال ، ولكن الشركة الأمريكية تخلت عن الامتياز في ١٩٣٨ ، وفي تواريخ أحدث من ذلك ، أبدت شركات البترول الأمريكية والانجليزية رغبة شديدة في الحصول على امتيازات في القسم الجنوبي الشرقي من البلاد ، وضغطت روسيا السوفيتية لتكوين شركة إيرانية سوفيتية

مشتركة لاستخراج مقادير البترول الممكنة من الولايات الشمالية في إيران .
وفي أثناء الاحتلال السوفيتي في الحرب العالمية الثانية قامت القوات بمحاولات
للكشف في سمنان — شرق طهران — وعلى طول ساحل بحر قزوين ، ولا بد
أن الجيولوجيين الروس قد كونوا فكرة واضحة عن حقول البترول المحتمل
وجودها في شمالي إيران .

النبات والتربة :

إن ثلثي مساحة الأراضي في إيران قد شغلته سلاسل الجبال العالية ،
والصحارى الواسعة ، وهي أجزاء غير صالحة للزراعة ، وتبلغ مساحة الأرض
الزراعية في الوقت الحاضر خمس مساحة الثلث الباقي — تقريباً — وهي مساحة
ضئيلة تبلغ ١١ من مساحة إيران كلها . ومنذ عام ١٧٠٠ م، تهدم كثير من وسائل
الري الصناعية ، وتناقص عدد سكان البلاد بنسبة ٥٠ ٪ على الأقل .
ولذلك فإنه رغم أن مساحة الأرض الزراعية المنتجة كافية الآن لسد احتياجات
السكان القاطنين في البلاد ، وتقديم كميات محدودة للتصدير إلى الخارج ، فإنها
ليست مناسبة لتزايد عدد السكان .

والتربة الإيرانية لا تشبه التربة المعروفة في أوروبا والولايات المتحدة ،
وهي التربة التي تشتمل عادة على تركيبات عضوية حيوية نتجت عن تحلل النباتات
الطبيعية . أما تربة إيران الأصلية فإنها غير ذلك ، فهي خليط من الحصباء والرمل
والطين والكس ، مما جعلها تتعرض — بمضى القرون — للبوار والفساد
والتآكل ، وهي رغم ذلك صالحة للزراعة إلا حينما تتشبع بالقلويات^(١) .

(١) يقصد أملاح القلي وهي أملاح متجمدة ممزوجة بالأحماض تسمى (Alkalis) وهي مادة ضد
الحوامض (المترجم) .

الزراعة والغلات الطبيعية :

يتوقف الإنتاج الزراعى ونمو النباتات البرية على المطر ، وتحدد مقاديرها وفقاً لقلة المطر أو كثرته فى البلاد ، والحبوب هى قوام غلات البلاد ، وتشمل : القمح والشعير والأرز ، وتشغل زراعتها ٨,٠٠٠,٠٠٠ فدان .

ويزرع القمح فى كل جزء من أجزاء البلاد فيما عدا الأجزاء الواقعة على طول ساحل بحر قزوين حيث تحتل مكانه حقول الأرز الشاسعة الذى يزرع على الهضبة أيضاً فى الأماكن القليلة التى تتوافر فيها كميات كبيرة من المياه ، وقد بلغ محصول القمح فى عام ١٩٤٧ : ٢,١٣١,٩٠٠ طن ، وبلغ محصول الأرز ٢٤٥,٨٠٠ طن ، كما حصد أيضاً حوالى ٨٥٥,٤٠٠ طن من الشعير ، وهناك محاصيل أخرى من بينها الأذرة والحنطة والبطاطس والذرة العويجة والبازلاء والفول والعدس . ويعد العلف — وهو من النباتات المستوطنة فى الأقاليم — أحد المحاصيل الجديرة بالزراعة على نطاق أوسع ، لأن جذوره الطويلة تستطيع النفاذ إلى طبقات التربة الرطبة كما يزرع فى إيران — عموماً — الكرنب واللفت والبصل والباذنجان والخيار والبطيخ ، ويزرع كذلك البنجر والقطن والطباق والخشخاش .

وتنتج إيران فواكه رائعة ، لا يساوى أغلبها فى الحجم أصنافنا التى تحسنت كثيراً ، ولسكنها الذ طعماً ، وتشمل الفواكه التى تزرع فى إيران على الخوخ والمشمش والبرقوق والكرز والكمثرى والرمان والتفاح . ومن المحتمل أن زراعة الخوخ وكثير من الفواكه الأخرى قد بدأت أصلاً فى إيران ثم انتشرت منها إلى البلاد الأخرى والمشمش هو المحصول الذى يزرع بكثرة وهو يخفف للاستهلاك المحلى والتصدير . والتفاح أصغر فى الحجم من التفاح المزروع فى الولايات المتحدة لأن برودة الشتاء لا تمتد امتداداً كافياً لصيانة فترة الحياة الساكنة اللازمة لأشجار التفاح . وتزرع الموالح وتشمل : البرتقال ، واليوسفى ، والليمون ، والليمون الحامض على طول الساحل القزوينى الدافئ الرطب ، كما تزرع كذلك فى الأقاليم الجنوبية كبدة شيراز ، ويبلغ متوسط المحصول السنوى ١٤٩,٠٠٠ طن .

ويزرع نخيل البلح في قرى الواحات الواقعة في الداخل في المناطق الواقعة على الخليج الفارسي ، وفي الحدائق المزروعة على رأس الخليج الفارسي ، وتوجد في إيران ٨,٠٠٠,٠٠٠ شجرة من أشجار النخيل ، بلغ محصولها في عام ١٩٤٧ — ١٢١,٣٠٠ طن . ويعد البلح الغذاء الرئيسي في جنوبي البلاد ويقوم مقام الخبز .

ويقدر عدد أشجار الزيتون في — إيران — بحوالي ٤٠٠,٠٠٠ شجرة تزرع في مساحة محدودة على المنحدرات الشمالية لجبال البرز ، ومحصولها من الثمار والزيت الذي تغله ذو قيمة محققة ، وهناك محاولات تبذل لإنبات هذه الأشجار في أجزاء أخرى من البلاد .

وينمو على سطح الهضبة أكثر من ثلاثين نوعاً من أنواع العنب وتختلف طرق زراعته باختلاف العادات المحلية ، وهناك طريقة طريفة من هذه الطرق — هي أن تحفر حفرة مستديرة إلى عمق عدة ياردات حتى تصل إلى الطبقات الرطبة من الأرض ، ثم تزرع جذور الكرم في قاع الحفرة ، وتملأ الحفرة بالتراب ، فيأخذ الجذر في النمو نحو السطح ، حتى تصبح الكروم المزروعة جميعها فوق سطح الأرض . والعنب غذاء رئيسي في أثناء أشهر الصيف ، ويحفف فيصير زيباً للتصدير ويستعمل في صنع النبيذ ، وتصنع أنواع من الأنبذة على الطريقة الأوروبية في كثير من المدن ، ولكن خمر شيراز القوية هي أكثرها شهرة وانتشاراً .

وبالإضافة إلى الحبوب ، فإن هناك محاصيل أخرى تعد المصدر الرئيسي للإيراد الزراعي وهي القطن ، والبنجر ، والطباق ، والشاي ، وشرانق دود القز ، والخشخاش . وتشرف الحكومة على الصناعات المتصلة بالأنواع الخمسة الأولى منها في مصانع حديثة مملوكة لها .

ويتفاوت محصول القطن المزروع بين سنة وأخرى تفاوتاً كبيراً ، ففي السنوات ذات المحصول الوفير بلغ وزن المحصول المصدر ٢٧,٠٠٠ طن ، وفي عام ١٩٤٧ ، زرعت ٤٠٣,٦٠٠ طن من البنجر في مساحات قريبة من المعامل

السبعة الكبيرة لتكرير السكر ، وهي مملوكة للدولة ويبلغ إنتاجها السنوى ٥٢,٥٠٠ طن من السكر ، أى أكثر من ثلث الاستهلاك المحلى للبلاد .

ويزرع قصب السكر على طول ساحل بحر قزوين ، وفى إقليم خوزستان — فى جزئيه الجنوبي الشرقى والجنوبى الغربى — حيث يلائم الجو القصب ، وكان يزرع بكثرة فيما سبق ؛ ويزرع الطبايق المسمى بالطبايق التركى — الذى يستعمل فى السجاير — فى الحقول الواقعة على طول بحر قزوين ، كما يزرع الطبايق المستعمل فى الغليون (البيبة) فى الشمال الغربى .

ويزرع نوع خاص أكثر ملاءمة للرجيلة (الشيشة) فى قرية خوانسار ذات الرى الوفير؛ وقد بلغ محصول الطبايق — فى عام ١٩٤٧ — ١٨,٧٠٠ طن . ومنذ سنوات استدعى متخصصون من الصين للعمل على التوسع فى زراعة الشاى الموجودة ، ولتحسين النباتات ، وتنتج إيران — فى الوقت الحاضر — ٧,٧٠٠ طن من الشاى سنويا ؛ من نباتاته التى تزرع على طول بحر قزوين ، ولكن هذه الكمية ، تقل عن المقدار اللازم لسد نصف الاستهلاك المحلى .

وفى الصيف ، تصير حقول الخشخاش البيضاء منظرًا مألوفًا ، ورغم احتياج زراعته إلى قليل من العناية ، فإنها تغل بإيرادا نقديا طيبا ، وكان إعداد الأفيون وبيعه احتكارا حكوميا مربحا ، وقد بلغت مشتريات الولايات المتحدة وحدها فى سنة ١٩٤٢ ما قيمته ١,٤٠٠,٠٠٠ دولار من الأفيون ، ولكن الجهودات الحديثة التى تبذل لمنع تدخين الأفيون فى داخل البلاد ، قد أدت إلى إصدار أمر وزارى — فى عام ١٩٤٦ — بتحريم زراعة الخشخاش وبيع الأفيون . وغير اسم « القسم الحكومى لاحتكار الأفيون » إلى « إدارة تحريم زراعة الأفيون واستهلاكه » ، ومع ذلك فقد أغلت البلاد محصولا من الأفيون بلغ ثمنه ٩,٣٣٠,٠٠٠ دولار ، واستمر إنتاج الأفيون وإعداده خلال عام ١٩٤٩ . وتنمو أشجار التوت فى جميع أجزاء الهضبة الإيرانية ، وتربى قرى كثيرة دود القز الذى يتغذى على أوراق التوت ، ولكن أهم مركز لإعداد شرائق دود القز هو السهل الساحلى لبحر قزوين ، ويتراوح إنتاج الحرير بين ٥٠٠ و ٢,٠٠٠ طن سنويا .

ولا تزيد مساحة المناطق المغطاة بالغابات الخشبية عن ١٠٪ من مساحة البلاد، وثلاث هذه المناطق مغطى بغابات كثيفة، وهي توجد على طول المنحدرات الشمالية لسلسلة جبال ألبرز، مبتدئة من مسافة قصيرة خلف بحر قزوين، من الشريط الساحلي لهذا البحر، وتتدرج في الارتفاع حتى تصل إلى ارتفاع أقصاه ٧.٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتغطي أغلب هذه المساحة غابات بكر من شجر البلوط ولسان العصافير (Ash)، وشجر الدردار (البقيصاء) والجوز، وخشب الزان، وخشب البقس (Box)، وشجر السرو، وشجر القيقب (الاسفندان) (Maple)، وشجر الخرنوب الحلو.

وتعد هذه الأشجار أهم ثروة وطنية يمكن الحصول عليها، ولذا فإن قطع الأشجار خاضع للقوانين الحكومية، وينقل الخشب في صورة أعمدة للبرق، والأواح خشبية للوقود. إلى أجزاء الهضبة المختلفة بالقطار، وعربات للنقل، ويقوم مصنع حكومي بالقرب من بابل بقطع الأخشاب ودهنها بالزيت — خشية فسادها — لإعداد قواعد لقضبان السكك الحديدية التابعة للحكومة الإيرانية.

وتنحصر مناطق الغابات في الهضبة الأصلية في أعلى الجبال — غالباً — وتشتمل على نباتات متفرقة متباعدة من شجر البلوط المنخفض الذي يستعمل قشره في دبغ جلود الحيوانات، ويقابل النقص الشديد في الأخشاب في أجزاء الهضبة الإيرانية بزراعة أحراش من شجر الزان في بعض الأجزاء ذات الرى الوفير، وتستعمل جذوع هذه الأشجار في إقامة المنازل، كما تزرع أشجار الصفصاف، والأشجار الباسقة، في القرى، وعلى شواطئ الأنهار، كما توجد أحراش من أشجار الجوز السوداء الجميلة في جميع أنحاء البلاد. وتزرع أشجار اللوز والفسق بكثرة أيضاً، وتغر هذه الأشجار إيراداتاً نقدياً طيباً لكل من البدوى والفلاح، والواقع أن الدخل المتحصل من محصول شجرة جوز ضخمة واحدة يكفي لإعالة أسرة كاملة طوال العام.

وقد استمر قطع الغابات في الهضبة الإيرانية قروناً عديدة، ولا زال قائماً على قدم وساق، فان البدو يقطعون أشجار البلوط المنخفضة، ويحرقون

الخشب للحصول على الفحم ، بينما تلتهم قطعان الغنم والماعز الشجيرات الجديدة . كما أن القرويين — في كل مكان — يبحثون بحثاً حثيثاً عن الوقود . ومن المتيسر تماماً إعادة زراعة الغابات في مناطق معينة من البلاد ، ولكن ينبغي أن يحمى كل قسم تعاد زراعته لمدة معينة من السنوات ، حتى لا تصيبه أنواع التخريب التي ذكرت .

وتجمع بعض النباتات والشجيرات البرية ، ويعاسيها وعصاراتها ومستخرجاتها بعناية فتكون مادة هامة من مواد التصدير ، ومن هذه المستخرجات : صمغ الكثيراء Gum tragacanth والصمغ العربي ، وصمغ الحلثيت والبرزد^(١) Galbanum والحنظل (العلقم) Colocynth والعرقسوس ، ومواد الصباغة ؛ كانييلة والزعفران والحناء المستعملة في تخضيب الأيدي والأرجل والشعر والذقن — وهي تستعمل الآن أقل كثيراً جداً من ذي قبل — وتستخرج من أشجار تسمى بهذه الأسماء ، ويعد نبات القنبس الهندي (الجوت) Jute من النباتات المحلية المألوفة على الساحل القزويني حيث بلغ أقصى إنتاجه في إحدى السنوات ٦,٠٠٠ طن من أليافه ، وتستخرج الزيوت بعصرها من بذور النباتات مثل القطن والكتان والسهم والخرع والخشخاش . وتحظى الأزهار بتقدير عظيم من الإيرانيين ، حتى إن أصغر الحدائق المنزلية لتتألف من أزهار ، والنباتات الموضوعة في الأصص .

وفي أوائل الربيع تزدهر أراضي الوديان وسفوح الجبال بالأزهار البرية . ومن بين الأزهار المألوفة في إيران : الشقائق ، والياقوت الزعفراني Grape-hyacinth والجيلاديولا^(٢) Gladiola وعباد الشمس Gentian ، والناقوس الأزرق Bell-flower ، والخشخاش Poppy ، والشقيق الأصفر Buttercup ، والكرم (الزعفران) Crocus والقرنفل الأحمر ، وزهرة السوش (الأيريس) Iris ، والخيزي (الجيرانيوم) Geranium ، وشقائق

(١) البرزد أو الفنة صمغ من شجرة القناوشق (المترجم) .

(٢) الجلاديولا : زهر من الأبصال (المترجم) .

النعمان القصيرة (Dwarf Hollyhock) ، وكثير من الأزهار البرية التي ليست مألوفة في البلاد الأخرى .

وتعتبر الوردية — من بين هذه الزهور جميعها — ذات المكان الأول في قلوب الناس عامة ، فقد امتدحها الشعراء في أشعار جميلة ، منذ ألف سنة ، وتزرع أنواع كثيرة منها في الحدائق ، أو تنمو كأزهار برية على أطراف مجارى المياه ، كما تزرع في كاشان حقول واسعة من الورد لاستخراج ماء الورد المشهور الذي يصنع هناك .

موارد المياه ونظام الري :

لقد أكدنا فيما سبق الحقيقة الثابتة ، وهي أن سقوط المطر في إيران محدود بما أوجب أن ينتفع بقدر الإمكان من موارد المياه الموجودة فعلاً ، وقد ذكرنا أن قدراً كبيراً من الأراضي يزرع بغير اعتماد على وسائل الري في الشمال الغربى والشمال الشرقى للبلاد ، ومع ذلك فإن إنتاج إيران الزراعى يعتمد على طرق الري المختلفة .

والطريقة الفعالة في زراعة سفوح الجبال هي أن تشق قنوات متفرعة من الأنهار ومجارى المياه فتحمل المياه مباشرة إلى الحقول المزروعة ، وتقسم القنوات الأكثر اتساعاً إلى أخاديد ضيقة ، وتتصل الأخاديد المتوازية على مسطحات مختلفة على طول المنحدرات بمجارى المياه الصغيرة التي يمكن أن تترك مفتوحة أو مغلقة بواسطة الأحجار والحواجز ، ورغم هذا ، فإن نسبة كبيرة من موارد المياه الأصلية تضيع — بهذه الطريقة — عن طريق التسرب والتبخر في القنوات ، وطبعاً أن كمية كبيرة من المياه تستنفد عند منبع النهر ، بحيث لا يبقى إلا ماء قليل لرى المساحات الواقعة في مجرى النهر الأسفل .

وهناك طريقة أكثر منطقية وتعد تحويراً لهذه الطريقة من الرى الطبيعى ، وهو تحوير يجعله أكثر نفعا ، هي أن تحول القناة الرئيسية بحيث تجرى خلف الخزانات والقناطر المقامة على طول الأنهار ، ومن المحتمل أن تاريخ هذه الخزانات والقناطر يرجع إلى العصر الأكمني رغم أنه لا توجد أطلال قائمة

يمكن أن تنسب إلى هذه الفترة التاريخية على وجه التحديد ، ومع هذا فإنه من المعروف أن الخزانات والقنوات المتصلة بها قد أنشئت في جنوب غربى إيران فى حوالى القرن الأول الميلادى ، وقد وجدت بقايا لخزانات وقناطر كثيرة أنشئت فى أثناء العصر الساسانى — فيما بين القرنين الثالث والسابع الميلاديين — على مساحة واسعة من جنوبى إيران وغربها ، ولا زال قليل منها سليما فى أكثر أجزائه وهو يستعمل فى مشاريع الرى الحالية ، وقد أنشئت سلسلة متينة من الخزانات على طول نهري قارون وآب دژ ، ويستطيع المسافر بطريق الجو فوق خوزستان — الآن — أن يلاحظ بسهولة خطوط القنوات الواسعة التى تواصل سيرها خارج الخزانات . وقد ظلت هذه الخزانات مصونة جيداً بعد الغزو الإسلامى لإيران ، وحتى القرن الثالث عشر الميلادى ؛ وكانت مشاريع الرى تتسع دائماً ، فنتجت عنها زراعة آلاف كثيرة من الأفدنة على نطاق واسع ، وقد صارت الآن قاحلة تماماً ، وإذا تقدمنا إلى عهود تاريخية أحدث ، فإننا نجد خزانات قليلة ضخمة قد أنشئت فى القرن السابع عشر ، وقد بقى اثنان منها — واحد بالقرب من ساوه والآخر بالقرب من كاشان — فى حالة حسنة تماماً .

ومنذ ١٩٤١ ، اقتنع زعماء إيران بأنه ليس هناك مشروع أكثر حيوية بالنسبة لمستقبل البلاد من تيسير التسهيلات فى الرى ، فوضعت إدارة الرى مشروعات شاملة وقد بنيت — فعلاً — خزانات قليلة صغيرة ، أما المشروعات الأخرى التى فى مرحلة الدراسة والتخطيط فتشمل إنشاءات على نطاق واسع سوف تحتاج إلى مبالغ كبيرة من المال ، وأحد هذه المشروعات مشروع لتوسيع نهر زاینده رود وتعميقه ، وهو النهر الذى يجرى إلى ما وراء إصفهان ، ويوجد أخدود ضيق على بعد حوالى خمسة وسبعين ميلاً غربى إصفهان فى سلسلة جبال كوهرنك ، وهو يفصل بين حوضين رئيسيين من المصارف ، حيث توجد — إلى غربى الأخدود — منابع المياه الوفيرة لنهر قارون الذى يصب فى الخليج الفارسى ، ويوجد — إلى شرقى الأخدود — الجزء العلوى لجرى زاینده رود الذى ينتهى فى الصحراء الداخلية .

وكان الملوك الصفويون هم أول من فكر في ربط نهر قارون بزائنده رود في القرن السابع عشر الميلادي ، فاشتغل آلاف من العمال بقطع حوض يشبه حرف د V ، في الأخدود ولكنهم تركوا العمل بعد أن أكملوا ما يقرب من ثلثه . والهدف — الآن — هو أن يشقوا نفقا عبر الأخدود وأن ينشئوا خزاناً على الجانب الشرقي ليخزن مياه فيضان كل من النهرين ، وسوف يكون هذا الخزان — أيضاً — مصدراً للقوة الكهربائية التي ستستعمل لإدارة مصانع إصفهان ، وقد أكمل إنشاء نصف الطريق إلى الخزان . وموقع النفق .

وهناك مشروع آخر سوف يوفر كميات كبيرة من مياه الشرب لمدينة طهران ، كما يروى — أيضاً — مساحات واسعة من سهل ورامين جنوبي طهران ؛ فعلى بعد من طهران وعلى الجانب الآخر من سلسلة جبال البرز — يوجد نهر لار الذي يجري نحو بحر قزوين ، وقد اقترح إنشاء خزان مرتفع جداً على الجزء العلوي من نهر لار لخزن المياه ، وحفر أنفاق لحمل المياه من هذا الخزان تحت الجبال إلى نهر « جاجي رود » الذي يجري في المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال البرز ، ثم تحمل أنابيب منفصلة — تخترق الجبال — الماء النقي إلى طهران ، وتعد هذه الطريقة الجبارة مشروعاً بالغ الأهمية .

ويجب أن يبين أنه ليس من الضروري أن تكون مشروعات الري العملية ذات الفائدة العظيمة للبلاد على النطاق الذي يكون عليه المشروعات اللذان وصفا من قبل ؛ وسوف تحدد المعايينات الدقيقة جوانب كثيرة . حيث يمكن أن تنشأ خزانات صغيرة على الوديان الضيقة في نقط مرتفعة مجاورة للمناطق الزراعية ، وسوف تملأ هذه الخزانات في الربيع ثم تطلق المياه بالتدريج خلال الأشهر الجافة ، ويمكن أن تبني هذه الخزانات بواسطة العمال المحليين ، ومن الحجارة الموجودة في متناول اليد مباشرة ، ويحتاج في هذه الحالة إلى نقل الأسمنت فقط ، وبعض الآلات التي تنقل الأتربة إلى موقع الخزان ، ورغم هذا فإن الدراسات الأولية يجب أن تهتم بالاعتبارات الأخرى في اختيار كل موقع فلا تقتصر على مجرد ملامته ، فهناك نماذج معينة من التربة يكفي

توزيع المياه فيها لخلخلة بناء الخزان ، وينبغي أن تتخذ عناية تامة حتى لا يساق الماء الأجاج إلى أرض عذبة ، أو يضيع الماء العذب في أرض مشبعة فعلا تشبعها شديدا بالأملاح .

والوسيلة الثانية — وهي الأكثر أهمية — للرى في إيران هي القنوات الجوفية التي تحت الأرض والتي تسمى بالفارسية «قنات» أو «كاريز» ، وهي طريقة تستعمل في جميع أنحاء البلاد ، وخصوصا في المناطق التي تفيض فيها أنهار قليلة ، ويبدو أن هذه الطريقة خاصة بإيران وحدها ، لأنه يندر أن توجد في غير هذه البلاد ، وتعتقد بعض المصادر أن القنوات الأولى من هذا النوع قد حفرت في عصور ما قبل التاريخ ، وقد وجد نفق لقناة قديمة — وهي القناة الوحيدة المعروفة في مصر — في واحة الخارجة ، على بعد مائة ميل غربى وادى النيل ، ولما كانت القناة قريبة من معبد مشيد بعد فتح الجيوش الإيرانية لمصر في القرن الخامس قبل الميلاد ؛ فإنه يبدو من المحتمل جدا أن الغزاة شيدوا هناك مشروعا كان في ذلك الوقت معروفا في إيران .

وقد يحفر مجرى للقناة ليمد قرية منزرعة بالماء ، وليروى حقولها الخصبة ، كما قد تحفر بئر أو ينشأ خزان في قواعد الجبال في أقرب نقطة إلى القرية ، وتغوص البئر في الأرض بحيث يكون قاعها تحت المستوى المائى في الصيف ، والمستوى المائى هو طبقة من الصخور المسامية تستبقى الماء الذى يتسرب إلى أسفل الأرض — بعد أن يكون الربيع قد أذاب الثلوج التى على القمم العالية — ويكون عمق البئر الرئيسية مائى متر على الأقل ، وتوجد آبار رئيسية بالقرب من قرية «كناباد» في شرقى إيران يبلغ عمق الواحدة منها حوالى ١٠٠٠ قدم ، ومن المعروف أنها حفرت منذ خمسمائة سنة على الأقل ويتفرع من قاع البئر غالبا بمجموعة من الدهايز الأفقية حتى يمكن سحب الماء من منطقة أوسع من منطقة المستوى المائى إلى المشروع الذى تم فعلا . وبعد الفراغ من البئر الرئيسية يبدأ في حفر خندق في المنحدر البسيط الذى يعلو القرية ، يتجه مباشرة نحو البئر البعيدة ، وحينما يصل إلى عمق معين يتحول إلى نفق ، وبعد أن

يمتد النفق خلال الأرض تخترقه آبار عمودية تحفر على مسافات تبلغ خمسين ياردة أو أكثر ، وهى تساعد على جلب الهواء للعمال الذين فى النفق كما تساعد على إخراج المواد المحفورة بسلام تسحب إلى أعلى الآبار بواسطة الحبال . ثم يصل النفق إلى البئر الرئيسية فى النهاية ، وتتدافع المياه خلاله إلى القرية .

وقد تخصص فى حفر شبكة القنوات عدد محدود من أسرقام أفرادها بهذا العمل أجيالا عديدة ، وتعد مدينة يزد مقر حفرة القناة المهرة ، ويحفر هؤلاء الرجال مجرى النفق بمعدات بسيطة ، ويرسمون انحداره بحيث يجعل المياه فى حالة حركة ، وأحيانا يشق النفق من قاعدة البئر الرئيسية نحو القرية ، ويختلف مجرى خط القناة فى الطول فيتراوح بين مئات قليلة من الياردات وبين خمسة عشر أو عشرين ميلا ، وقد يستغرق حفر مجرى قناة واحدة سنوات عديدة ، ويبلغ عرض النفق الذى تحت الأرض ٢١ قدم ، ويبلغ ارتفاعه أربعة أقدام ، وهو مكان يكفى لأحد الحفرة . ويحفظ سقف النفق من الانهيار — فى الأرض الهشة أو الرملية — بتدعيمه بأسطوانات من القرميد . ولا يعد العمل منتهيا بمجرد إتمام القناة ، لأنه ينبغى أن تبقى من الانقراض والرمل الذى يقع فيها من الآبار العمودية ، وتتكون — عاجلا أو آجلا — كهوف ، فيبدأ أولا بحفر أجزاء جديدة من النفق حول هذه النقط ، ويصبح جميع خط النفق مغلقا بالحجارة ، وينبغى فى هذه الحالة أن يهجر بعد ذلك . وعلى هذا ، فإنك تستطيع حينما ترى قرية من الجوان أن تتابع مجرى أربع قنوات أو خمس بواسطة أكوام التراب التى حول الآبار العمودية ، ولكن المحتمل أن واحدة فقط — لا أكثر — هى التى تؤدى وظيفتها .

ويمكن لمجرى القناة الذى يحمل كمية وفيرة من الماء أن يفيض بمعدل حوالى أربعة أقدام مكعبة فى الثانية ، وهو مقدار يكفى لرى حوالى مائتى فدان ريا دوريا ، ويفيض مجرى القناة على السطح المنحدر البسيط الذى يعلو القرية ، ويكون فى البداية نفقا منفردا يهب القوة الكافية لإدارة الطاحون المحلية ،

ثم يتفرع النفق فيها وراء الطاحون وتفيض فروعه — أولا — خلال الحدائق والأراضي التي تحيط بالمنازل ، ثم خلال أزقة القرية ، وتنتشر المياه قرب نهاية المنازل لتغطي منطقة — على شكل مروحة — من الحقول المزروعة .

وتمر الأنفاق أو الجداول عبر الحقول — في زوايا مستقيمة إلى قطع مستطيلة من الأرض محاطة بحاجز من الطين ارتفاعه قدم ، وتروى كل قطعة بواسطة نقل المياه من المجرى إليها حتى يغمرها الماء بارتفاع بوصة أو بوصتين . وتروى حقول القمح في الشتاء — في أثناء الجو البارد — ثلاث ريات أو أربعا ، وفي الصيف تروى كل قطعة في فترات تتراوح بين ثمانية أيام وأسبوعين ، وتكون حقوق الري عادة معقدة جدا ، لأن دخل القناة يمكن أن يكون ملكا لشخص واحد ، أو لعدة أشخاص بالشيوع ، يمتلك كل منهم نسبة مئوية مختلفة من مجموع الدخل ويتولى واحد من الرجال أو أكثر توزيع الماء وصرفه ، ويقدر الزمن اللازم لري كل قطعة بواسطة قدح نحاسي صغير مجوف مثقوب في قاعدته ، ويوضع في سلطانية أكبر من الماء ، وذلك لقياس الزمن المطلوب لغطسه في هذا الماء .

والوسيلة الثالثة للري هي المياه المسحوبة من الآبار ، وتحقق الآن فائدة محدودة — نسبيا — من هذه الوسيلة ، اللهم إلا في جنوب غربي إيران حيث تستعمل الحيوانات لإدارة السواقي أو سحب أدلاء الماء المصنوعة من الجلد ، وكلتا الوسيلتين مألوفتان في بلاد الشرق الأدنى وشمال إفريقيا ، ومع هذا فإن من المحقق أن الآبار سوف تلعب دورا متزايدا الأهمية في الري ، لأن المياه في معظم أجزاء الهضبة تقع على مسافات ليست بعيدة جدا عن سطح الأرض ، وقد بدأت إمكانيات حفر الآبار بالآلات ودفع الماء بواسطة المضخات الآلية تلفت الأنظار ، وتحظى باهتمام كبير ؛ وهناك الآن جملة من آلات الحفر تشتغل في أماكن متعددة . ويمكن بواسطة الآبار الارتوازية أو الينابيع التي تفيض من تلقاء نفسها أن تكثر كميات المياه ، كالبر التي تفيض الآن في ناحية شهربار بطهران ، وقد حدد المتخصصون مناطق أخرى قليلة ،

تدل طبوغرافيتها العامة وتكوينها السفلى على إمكان وجود الآبار الارتوازية فيها ، غير أنه ليس من المحتمل أن توجد مثل هذه التكوينات المناسبة في أجزاء كثيرة من الهضبة .

وسائل الزراعة :

تم زراعة الأرض — حرثها وبذرها وحصدها — بنفس الطريقة المتبعة في البلاد الأخرى في الشرقيين الأدنى والأوسط ، وبالوسائل المستعملة منذ آلاف السنين فتشقق الأرض بواسطة عدد من الثيران تجر محراثا مصنوعا من فرع شجرة متشعب ، حده مصنوع من الحديد ، وتسمى المساحة التي يمكن أن تحرث بواسطة ثورين « جفت » ، أي « زوج » ، وتتطلب من البذور ألفي رطل من القمح أو الشعير ، ويتم بذر الحبوب ، وتنقية الحشائش باليد ، ويقطع القمح الناضج أو الشعير بالمنجل ويحزم في حزم ، ويترك للفقراء حق جمع العيدان الساقطة كما ورد في التوراة تماما .

وتحمل الحزم إلى البيدر ، وهو مسطح من الأرض الصلدة يقع في حافة كل قرية ، وهناك يكوم القمح كومات ، ويدرس بنورج تجره ثيران ، وهو عبارة عن إطار ضخم له حدود بارزة ، تمر ببطء فوق الحزم التي تكون في شكل دائرة مرات عديدة ، ويتم تذرية الحبوب بمذراة في ريح قوية ، ويطحن الدقيق في طاحون التربة للاستهلاك المحلي ، بينما يوضع الباقي في جوانات ، تحملها الخيول أو الجمال إلى المدن الكبيرة ، وتستعمل الحكومة أيضا أسطولا من عربات نقل البضائع لجمع القمح ونقله إلى المخازن الكبيرة .

الفصل السادس
الصناعات
والتجارة الداخلية
والتبادل التجاري

الصناعة والتجارة :

قال رضا شاه حينما افتتح الجلسة الأولى للدورة البرلمانية الثامنة في ديسمبر من عام ١٩٣٠ : « نريد أن تعرف هذه الدورة البرلمانية — في تاريخ البلاد — باسم الدورة البرلمانية الاقتصادية . »

ومنذ ذلك الوقت ، بذلت كل المحاولات لجعل إيران تكني نفسها بنفسها بقدر المستطاع ؛ وقد بدأت الحكومة العمل بأن قامت بدور هيئة التنظيم الاقتصادية العليا ، فبدأت بتنمية الصناعة في داخل البلاد على نطاق واسع ، غير أنه كان لابد من اتخاذ مقاييس خاصة قبل إنشاء المصانع وإعدادها للعمل ، وكانت الأزمة الاقتصادية العالمية قد أثرت في إيران كثيرا ، فكان لزاما على الحكومة أن تنهض بالسيطرة النامة على المعاملات التي تتم عن طريق التبادل الخارجي ، وأن تشرف على تجارة (عملية) الاستيراد حتى لا تشتري إلا الضروريات الرئيسية برأس مالها الضئيل المخصص للمعاملات الخارجية ، وكانت فكرة إنشاء شركات ذات رأس مال Stock Companies وطريقة تشغيلها ، يجب ان تشرح للتجار ولرجال الصناعة الجدد وللمساهمين الذين يمكن اشتراكهم فيها ، وفضلا عن ذلك كان من الواجب إعداد جملة من الشركات المساهمة التي تشتغل بمسائل التصدير والاستيراد لتوزيع منتجات المصانع التي كانت تحت التأسيس .

وأنشئت وزارة الاقتصاد الوطني لتنظيم ميادين الزراعة والتجارة والصناعة . وفي عام ١٩٣١ ؛ ووفق على قانون يحتم تسجيل جميع الشركات ، وإلزام هذه الشركات باتباع بعض التنظيمات المعينة . وفي عام ١٩٣٢ ؛ نفذت لائحة قوانين

جديدة ، وتزعمت الحكومة حركة إنشاء شركات جديدة ، كان بعضها كله ملكا للحكومة ، وكانت للحكومة نسبة مئوية غالبية في البعض الآخر ، وكانت الملكية في البعض القاتم موزعة بين حملة الأسهم في الشركة الجديدة والحكومة ، وشركة أو أكثر من الشركات الموجودة ، والواقع أن أعمال بعض هذه الشركات وكيفية تقسيمها جديدة بالذكر .

وقد أسست الشركة الإمبراطورية Emperial Company في عام ١٩٣١ برأس مال قدره ٥٠٠٠٠٠٠ ريال تمثلها ٥٠٠٠ سهم هي قيمة رأس المال ، وكان رضا شاه يملك ٢٠٠٠ سهم منها ، بينما كان المصرف الأهلي يملك ٢٠٠٠ سهم ، أما الباقي وهو ١٠٠٠ سهم فكان ملكا لشركتين ألمانيتين تنتجان الأدوات الميكانيكية ، والمعدات الكهربائية .

وأسست الشركة المركزية Central Company لتنمض بالمعاملات التجارية في الخارج ، وكانت تموّلها وزارة المالية والمصرف الزراعي ، وكانت تتحكم في شركة القطن ، والصوف ، وجلود الحيوانات التي كان عليها أن تعد هذه الأشياء وتصدرها .

وكانت شركة المنسوجات القطنية تحتكر واردات أثواب المنسوجات القطنية وبيعها لأفراد التجار وقد قرر لها رأس مال قدره ٢٠٠٠٠٠٠ ريال ، ٥٢٪ منه يملكه المصرف الأهلي ، ويملك الباقي وزارة المالية ومدير الشركة ، وكان على التجار أن يدفعوا للشركة ٢٠٪ فوق قيمة البضائع ؛ فكان ١٥٪ من هذا الربح يدفع للحكومة ثمنا لإعطائها حق هذا الاحتكار للشركة ، بينما كانت الـ ٥٪ الباقية تدفع عمولة للشركة .

وفي عام ١٩٣٦ حصلت الشركات — التي للحكومة عدد ضخم من أسهمها ، أو التي لها فيها أكبر نسبة من الأرباح — على امتياز احتكار تصدير أو استيراد الأشياء الآتية : بيض دود القز ، والسكر والكبريت ، والخشخاش ، والحرير ، والمنسوجات القطنية ، والجوت ، والأرز ، وأوراق اللعب ، وجلود الماعز ، والغنم ، والزعفران والحلثيت ، والسجاد ، والجوارب الحريرية ، والصوف ،

والمشروبات الروحية ، والأطعمة المحفوظة في العلب ، والفراء ، وحقائب اليد ، والأحذية ، والسيارات ، وعربات النقل ، والإطارات ، وقطع الغيار ، والفواكه المجففة .

وهذا معناه أن الحكومة كانت لها سيطرة مباشرة على ٣٣ ٪ من جميع الواردات ، وعلى ٤٤ ٪ من مجموع الصادرات . وكانت أرباح الشركات كبيرة ، فمثلا عرضت شركة أسهما للبيع مع ضمان ربح سنوي لها قدره ١٢ ٪ ، كما حققت شركة أخرى للغزل والنسيج أرباحاً تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ ٪ .

وكان جزء من الأرباح التي تتجمع لدى الحكومة يستعمل لإنشاء المصانع ، والمشروعات الصناعية ، وكانت هناك بטיعة الحال محاولة لجعل ثمن البضائع المستوردة عاليا نسبياً ، وكان أهل إيران — نتيجة لهذا — يدفعون شيئاً للتوسع الصناعي في بلادهم عن طريق نوع من الضرائب غير المباشرة .

ودخل نظام الاحتكار والمراقبة في طور جديد حوالي سنة ١٩٣٧ بعقد اتفاقات مبادلة (مقايضة) بين إيران وألمانيا ، وبين إيران وروسيا السوفيتية ، فأرسلت روسيا المنسوجات القطنية والسكر والأشياء الأخرى في مقابل الصوف والأرز .

ولما جلت الحرب العالمية الثانية ؛ لعب نظام الاحتكار دوراً مهماً للغاية في الحياة الاقتصادية للبلاد ، لأن مصادر التموين المحدودة ، وصعوبة الشحن في السفن ، جعلت من الضروري على الحكومة الإيرانية أن تستورد عن طريق عملاء الحلفاء ، فلم تكن تستورد إلا الأشياء الضرورية ، وكان نظام التموين في وقت الحرب — أيضاً — من العوامل التي جعلت الحكومة في شغل شاغل .

وقد ألغيت احتكارات كثيرة منذ عام ١٩٤٢ ، وأخذ البرلمان والحكومة يدرسان نظام الاحتكار جميعه ، لتقرير ما إذا كان ينبغي أن يبقى الاحتكار جزئياً ، أو أن يلغى تماماً .

وكان في إيران أقل من مائة شركة أجنبية مسجلة في المدة ما بين ١٩٢٥ و ١٩٤١ ، وكان أغلب هذه الشركات يشتغل بالتجارة والتأمين والنقل ، وكان سبعة منها — فقط — شركات صناعية .

وفي عام ١٩٤٣ زودت إنجلترا رأس المال الأجنبي المستثمر في إيران بمبلغ ١٩,٥٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني ، وضعت أغلبه في المصرف الإمبراطوري (Imperial Bank) ، وفي شركة البترول الإنجليزية الإيرانية (Anglo-Iranian Oil Company) ثم اقتفت روسيا السوفيتية أثر إنجلترا فزودت رأس المال الأجنبي بمبلغ ١٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وضعتها في شركات التأمين والنقل ، والسياحة ، وشراء منتجات البترول ، واقتفت دول أخرى أثرهما إلى أبعد حد .

وطبعي جداً أن تتخلف إيران — كثيراً — عن العالم الغربي في ميدان التصنيع ، واستعمال الآلات الحديثة ، ففي نهاية الحرب العالمية الأولى كانت هناك صناعات قليلة في داخل البلاد لا تعدو بعض مصانع توليد الكهرباء على نطاق محدود ، ومصانع قليلة للكبريت . وقبل أن توقف الحرب العالمية الثانية برنامج رضا شاه المفصل لتصنيع البلاد ، استطاع أن ينشئ ثلاثين مصنعا متوسطة الاتساع ، تملكها الحكومة وتديرها فضلا عن مائتي إدارة أخرى للصناعة ، وكان الاهتمام منصبا — غالبا — على نسج المنسوجات ، تليها — في المرتبة الثانية — المواد الغذائية ، ومنتجات الخضروات .

وكان البرنامج الصناعي — عامة — ذا هدف واحد ، وكان ينفذه متخصصون أجانب ومهندسون إيرانيون دربوا في الخارج ، وكانت المصانع تقام في أماكن معينة خاصة بجوار السكك الحديدية الجديدة ، والمناطق التي بها رواسب معدنية ، والمساحات التي تصلح لإنتاج المنتجات الزراعية ، وقد صمم كثير من هذه المصانع بمعرفة الشركات الأوروبية التي أشرفت عليها ، واشترت لها آلات حديثة جديدة من إنجلترا ، وألمانيا ، والسويد وغيرها من الدول .

ويوجد في كل مدينة تقريباً — أيا كانت مساحتها — مصنع لتوليد الكهرباء الإضاءة وإدارة الآلات ، وتستعمل أغلبها محركات الديزل ، ويدار قليل منها بالفحم .

وتوجد سبعة معامل كبيرة لتكرير السكر ، في أجزاء مختلفة من البلاد ، حيث توجد مساحات كبيرة من الأراضي الصالحة لزراعة البنجر .

وقد أنشئت مصانع النسيج في أماكن متعددة من البلاد ، ويحلب القطن في محالج محلية كثيرة ، حيث أقيمت مصانع كثيرة تدار بالآلات ، ويوجد ٢٩ مصنعا للغزل والنسيج فيها ٢٢٣,٩١٤ مغزل ، وأكثر من ٣,٦٠٠ نول ؛ وهي تنتج حالياً ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ متر من الأقمشة القطنية — أي حوالي ١/٣ احتياجات البلاد — و ٢,٤٠٠,٠٠٠ حزمة (بكرة) من الغزل ، وهناك مصنع ينتج الخيوط القطنية ، وخمسون مصنعا صغيراً لصناعة الجوارب ، والبضائع المحبوكة على ٤٥٠ نول يدوي ، وتضم عشرة مصانع لغزل الصوف ونسجه ٤٣٦ نول ، وتنتج الآن ٢,١٤٢,٧١٩ متر من القماش — أي نصف الاستهلاك السنوي — و ٤٠١,٥١١ بطانية سنوياً . وإصفهان هي مركز صناعة نسيج الصوف ، وكثير من المصانع مملوك ملكاً خاصاً ، ويربى دود القز على طول الساحل القزويني ، حيث يوجد مصنع حكومي في جالوس ، يقدر إنتاجه السنوي بـ ٤٢٢,٠٠٠ متر من الأقمشة الحريرية .

وقد أقيمت مصانع لحفظ اللحوم والفواكه على طول الساحل القزويني ، وتوجد مصانع أصغر لحفظ الخضروات والفواكه في شمالي البلاد ، ويوجد مصنع لحفظ السردين في بندر عباس على الخليج الفارسي ، يبلغ إنتاجه السنوي خمسين طناً . وتعصر الخضراوات ، ويصنع الصابون من زيوتها في كثير من المصانع ، ويوجد في جنوبي طهران مصنع للزيوت النباتية يقدر إنتاجه السنوي بـ ٣,٠٠٠ طن ، ويوجد مصنع حكومي في طهران ينتج ٩,٦٠٠,٠٠٠ قالب من الصابون ، و ٢٥ طناً من الجلسرين كل عام وينظف القمح والشعير في سبعة مصانع تملكها الحكومة ، وتخزن الحبوب في مخازن كثيرة محكمة ، ثم تطحن في أحد عشر مطحناً ، ينتج كل منها ٣٠ طناً من الدقيق يومياً .

وقد أنشأت الحكومة — وهي تحتكر الطبايق — مصنعا حديثاً ، ذا إنتاج سريع لمنتجات الطبايق في طهران ، وهو ينتج السيجار والتبغ للغليون ، ودخان

الترجييلة ، والنيكوتين المركز ، ويستطيع أن ينتج ١٢,٥٠٠,٠٠٠ سيجارة من مختلف الأصناف يوميا .

وفي عام ١٩٤٧ ، كانت العشرون سيجارة من أرخص صنف تباع بعشرين سنتا ، بينما كانت العشرون من أحسن صنف تباع بأربعين سنتا^(١) ، وهي أثمان تساوى ثمانية أضعاف أثمان عام ١٩٣٩ ، وهذه الزيادة لم تنتج من ارتفاع تكاليف الإنتاج ؛ بل نتجت عن ارتفاع الأرباح التي تأخذها الحكومة عن طريق احتكارها لهذا الصنف المهم .

وتعد طهران — أيضا — مركزا لإنتاج مواد البناء ، حيث يوجد فيها مصنع تملكه الحكومة ، ينتج ٣٣٠ طن من الأسمنت يوميا ، كما تحرق الأفران الموجودة على الحافة الجنوبية للمدينة حوالي أربعة ملايين من قوالب الطوب يوميا .

ولكن إنشاء المصانع لصهر المعادن وصنعها لا يسائر التوسع الصناعي في الميادين الأخرى . ويوجد مصنع حكومي بالقرب من طهران ، ينتج السبائك والأسلاك النحاسية ، ولكن الصلب والحديد يستوردان في الوقت الحاضر من الدول الأخرى لجميع الإنشاءات المعمارية . ولما قامت الحرب العالمية الثانية ؛ كان مصنع كبير للصلب قد تم إنشاء أكثر من نصفه في مدينة « كرج » على بعد ٢٥ ميلا من طهران ، وكان هذا المصنع يضم أفرانا للصهر والتفجير ، وأسطوانة لبسط المادة ؛ كما كان قريبا من مناجم الفحم والحديد ، وقد أنشئ لإنتاج القضبان ، والحدائد الثقيلة ، والعمادات الخاصة بخطوط السكك الحديدية ، ولصنع الدعائم وكمرات الحديد للمنشآت البنائية والمعابر .

وتنتج مصانع أخرى مملوكة ملكا خاصا ، أو مملوكة للحكومة ؛ كربونات الصوديوم ، والصودا الكاوية ، وحامض الهيدروكلوريك ، وحامض الكبريت (السلفريك) ، وبيكرومات (ثاني كرومات) البوتاسيوم لدبغ الجلود ، والبوراكس ، والجنور والبيرة .

(١) كان السنت يساوى في ذلك الوقت مليون بالعملة المصرية تقريبا (المترجم) .

والصناعة مركزة في طهران ، وتوجد مراكز ثانوية للصناعة على طول الساحل القزويني وفي الإقليم الشمالي الغربي لأذربيجان ، ويقدر المجموع الكلي للعمال الصناعيين بما يزيد على ٢٠٠.٠٠٠ عامل ، منهم ٦٠.٠٠٠ يعملون في شركة البترول الإنجليزية الإيرانية ، و ٢٥.٠٠٠ في مصانع النسيج .

ولم يكن يسمح بإنشاء نقابات للعمال في أثناء عهد رضا شاه ، وقد أنشئت الاتحادات الأولى من هذا القبيل في عام ١٩٤٢ . واستطاع حزب توده — وهو حزب سياسي — أن يسيطر على لجنة مركزية لاتحاد نقابات العمال التجاريين ، وأن ينظم لها فروعاً محلية في المراكز الصناعية في البلاد . وقد استفادت اللجنة المركزية استفادة فعالة من الضغط السياسي والإضرابات للحصول على أجور أعلى ، وتحسين أحوال العمل لأعضاء الاتحاد .

وفي عام ١٩٤٦ ، أصدرت وزارة العمل — المنشأة حديثاً — قوانين للإشراف على تكوين نقابات العمال ، وتنظيم نشاطها ، واستوعبت كثيراً من النقابات الموجودة في اتحاد سمته : « الاتحاد الحكومي لرعاية العمال الإيرانيين » .

التجارة الخارجية :

مكنت القوانين التي فرضتها الحكومة الإيرانية وأشرفت على تنفيذها — في المدة التي سبقت الحرب العالمية الثانية — إيران من الاعتماد على ميزان مناسب للتجارة الخارجية رغم أنه كان ميزاناً مضطرباً ، ففي السنوات التي مالت أسعار الواردات فيها إلى الزيادة ، استعملت البلاد العملة الأجنبية المتحصلة من استغلال امتياز البترول في شراء البضائع الأجنبية ، وبذلك تجنبت التصدع في نظامها الاقتصادي .

وتمثل الإحصاءات الواردة في الجدول التالي المجموع الكلي لتجارة إيران الخارجية خلال بضع سنوات ، وقد أخذت من نشرات إدارة الجمارك الإيرانية ، وتشمل الأرقام الخاصة بالواردات مشتريات الذهب والفضة ، ولكنها لا تشمل على قيمة البضائع التي أعفيت من الرسوم الجمركية ، كما أن

أرقام الصادرات لا تشمل على قيمة منتجات الزيت المصدرة من إيران عن طريق شركة البترول الإنجليزية الإيرانية ، ولا تضم قيمة التجارة الخارجية التي تمت بمقتضى اتفاقيات المقايضة وقد تم تحويل الأرقام الأصلية من الريالات الإيرانية إلى الدولارات الأمريكية بناء على السعر الرسمي الذي تم به المعاملات كما كان سائدا في كل سنة تم فيها التعامل . وقد كانت قيمة الريال الإيراني — في سنة ١٩٤٢ — بالنسبة للدولار الأمريكي أكثر ارتفاعا منها في أي وقت آخر منذ ذلك الحين :

الصادرات	الواردات	مجموع التبادل التجاري
١٩٤٧ ٧١٥٠٧٠٠٠ دولار	١٤٤٨٠٠٠٠ دولار	٢١٦٣٠٧٠٠٠ دولار
١٩٤٦ ٧٩٠٧٦٠٠٠ »	١٢٦٦١٥٠٠٠ »	٢٠٥٦٩١٠٠٠ »
١٩٤٥ ٥٢٢٤٦٠٠٠ »	٩٥٥٦٩٠٠٠ »	١٤٧٨١٥٠٠٠ »
١٩٤٤ ٢٤٣٦٩٠٠٠ »	٩٠٨٤٦٠٠٠ »	١١٥٢١٥٠٠٠ »
١٩٤٣ ٢١٦٦١٠٠٠ »	٤٦٩٨٤٠٠٠ »	٦٨٦٤٥٠٠٠ »
١٩٤٢ ١٦٩٦٠٠٠ »	٣٩٩٣٩٠٠٠ »	٥٦٨٩٩٠٠٠ »
١٩٤١ ٣١٤٧٢٠٠٠ »	٢٣٧٩٤٠٠٠ »	٥٥٢٦٦٠٠٠ (١)
١٩٤٠ ٥٤٠٩٣٠٠٠ »	٥٠٥٨٤٠٠٠ »	١٠٤٦٧٧٠٠٠ »
١٩٣٩ ٤٣٩٣٤٠٠٠ »	٣٣٤٤٢٠٠٠ »	٧٧٣٧٦٠٠٠ »

وأغلب الواردات الإيرانية عبارة عن : الآلات ، والسيارات ولوازم السكك الحديدية ومواد البناء ، والمنسوجات القطنية ، والسكر ، والشاي ، وفيما يلي قوائم شاملة — تقريبا — لواردات البلاد وصادراتها :

الواردات :

سيارات المسافرين ، والسيارات العامة ، وسيارات النقل ، والدراجات البخارية والدراجات وقطع غيارها ، والإطارات وأنايبها ، ولوازم السكك الحديدية ، والقضبان ، والحديد والصلب اللازمان للبناء والصناعة ، والمواد

(١) كتب هذا الرقم في الأصل ٧٥٢٦٦٠٠٠ وهو خطأ كما يبدو من مجموع الصادرات والواردات ، والصحيح ما ذكرنا (المترجم) .

الكيميائية اللازمة للصناعة ، والمواد الاقرباذنية وأدوات الزينة ، والورق ، وأوراق اللعب ، والتوصيلات الكهربائية ، ولوازم الإضاءة ، وبيكات (كوبسات) النور ، والأسلاك من جميع الأنواع ، وأجهزة التليفون والراديو والموتورات الكهربائية ، والمحولات ، والبطاريات المشحونة ، وموتورات الديزل والمبردات الميكانيكية ، والمواقد ، ومضخات المياه اليدوية ، والميكانيكية ، والأدوات الصينية ، والأدوات الزجاجية ، والملابس القديمة المستعملة (الخرق) ، ولوازم المكاتب ومعدات الرسم ، ومواد الصباغة والآلات الزراعية ، والسكر والشاي والبن والكافو والتوابل ، وأدوات السيارات ، والمنسوجات القطنية ، والمنسوجات الصوفية والحريرية ، والخردوات ، وقبعات السيدات ، وتوابعها .

الصادرات : الغنم والماعز ، وجلود الحملان ، وجلود الحيوانات المفترسة ، والصموغ وصمغ الصنوبر ، وزيت البلسم ، والعصارات الطبيعية ، والقطن والصوف ، وجلود الحيوانات ، والأرز والقمح ، ومصارين الغنم لصنع السجق ، والسجاجيد والأبسطة المنسوجة يدويا ، والفواكه الجافة ، والزبيب ، والكافيار ، والمعادن ، والخشخاش ، والزيت ، ومنتجات الزيت .

ويبين الجدول التالى الانصبة المتعلقة بالدول الأجنبية فى التبادل التجارى الخارجى مع إيران :

النسبة المئوية لتجارة إيران الخارجية مع الدول الأجنبية

١٩٤٧	١٩٤٦	١٩٤٤	١٩٤٢	١٩٤٠	١٩٣٨	١٩٣٥	
٢٢,٧٨	٢١,٤١	٢٣,٣٠	١٧,٥٠	١٠,٥٠	٩,٥٠	٩,٨٠	الولايات المتحدة الأمريكية
٢١,٤٨	١٥,٨٤	٤,٦٥	٥,٥٠	٤,٠٠	٩,٥٠	١٥,٠٠	المملكة المتحدة
١٠,٢٢	٢٢,٤٥	٢١,٠٠	١٥,٧٥	١١,٠٠	١١,٥٠	٢٩,٥٠	روسيا
١١,٣٠	١٤,٨٠	٣٠,٣٠	٤٣,٥٠	٧,٥٠	٨,٥٠	٧,٧٠	الهند
—	٠,٢٨	١,٠٠	١,٣٥	٤٥,٥٠	٤١,٥٠	١٣,٩٠	ألمانيا
٠,١٧	—	—	١,٥٠	—	٢,٥٠	٥,٩٠	اليابان
٦,٢٨	٣,٢٣	—	—	٥,٥٠	١,٥٠	٣,٦٠	فرنسا
٢٧,٧٩	٢١,٩٩	٢٠,٦٥	١٥,٠٠	٢١,٠٠	١٦,٠٠	١٤,٦٠	الدول الأخرى

وفي المدة الواقعة بين ١٩٣٥ و ١٩٤٠ ازدادت المعاملات التجارية الخارجية بين إيران وروسيا السوفيتية وبينها وبين ألمانيا ونشطت — بسبب اتفاقيات التبادل التجاري ، واتفاقيات الدفع الخاصة — بين إيران وألمانيا .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ارتفعت الهند إلى المرتبة الأولى في المعاملات التجارية الخارجية نظراً لقدرتها على الإمداد بالمواد الحيوية التي لم يمكن من المتيسر الحصول عليها من الدول الأخرى .

وقد أصبحت التجارة الخارجية بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية ذات أهمية متزايدة لأن الولايات المتحدة تعد الآن أكثر الدول شراءاً للسجاد الإيراني ، ولجلود الجمال ، كما أنها تقوم بشراء نسبة مئوية كبيرة من الصمغ ، والمصارين لصنع السجق ، هذا فضلاً عن أن إيران تقوم غالباً بشراء جميع السيارات الخاصة وسيارات النقل وقطع غيارها ، والإطارات وأنايبها من الولايات المتحدة وحدها . كما تمد الولايات المتحدة إيران أيضاً بما يلزمها من الأدوات الكهربائية ، والموتورات ، ومضخات المياه ، والأدوات الصينية والزجاجية ، والأدوات الكيميائية وأدوات الزينة . ونضرب مثلاً بعام ١٩٤٨ ، فقد صدرت الولايات المتحدة فيه لإيران بضائع بلغت قيمتها ٤٣,٦٥٠,٠٠٠ دولار ، واستوردت من البضائع الإيرانية ما بلغت قيمته ٢٦,٥٠٧,٠٠٠ دولار .

صناعة السجاد :

بلغ فن صناعة السجاد في إيران — في خلال القرن السادس عشر (العاشر الهجري) — مرتبة لم تدرك قط في أية دولة أخرى ، وكانت صناعة السجاد ذي الوبر ، والأبسطة صناعة وطنية محلية منذ قرون عديدة ، غير أن أقدم قطع السجاد المحفوظة يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) ، كما توجد أبسطة مصورة في المنمنمات (مناياور) التي يرجع تاريخها إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر (الثامن والتاسع الهجريين) ، أو في الصور الأوروبية المرسومة بالزيت ويرجع تاريخها إلى هذه الفترة نفسها .

وما زالت الأنوال اليدوية التي تستعمل في صنع السجاد الفاخر توجد في إيران على نطاق واسع ، ويتبع نظام إعداد المواد ، وطرق النسيج ، واختيار النماذج والألوان نظام النماذج القديمة نفسه ، ويعتز سكان البلاد بهذا السجاد ، ويعدونه من أغلى ممتلكاتهم ، وفضلا عن ذلك فإن السجاد الإيراني يكون أهم جزء من صادرات البلاد ، وهو يستطيع منافسة السجاد الذي تصنعه الدول الغربية حتى الوقت الحاضر ، وتستعمل الدول الغربية الماكينات في نسيج السجاد ، وتصنع الولايات المتحدة الأمريكية سجادا مطابقا تماما للسجاد الإيراني بواسطة الأنوال المدارة بالمحركات ، ولكنه يبدو دائما أقل روعة وتلاؤا من النماذج الأصلية ؛ وأغلب الظن أن عدم انتظام نماذج الرسم وألوانها في السجاد الإيراني هو مصدر جماله وسربريقه .

وتشرف الحكومة على نوع السجاد المخصص للتصدير ، فتدعو النساجين إلى استعمال صبغات ثابتة . وتستعمل الصبغات الزيتية إلى حد ما ، بينما تغلى الخيوط — في أغلب مراکز النسيج — في أحواض تحتوى على مواد للتلوين لمدة معينة ، مثل العروق الحمر ، والنيلة ، واللون القرمزى ، وأعشاب الصباغة ، وقشور أو جلود اللوز والجوز ، والفسق ، والرمان .

وتتم صناعة السجاد — غالبا — في مصانع خاصة ، والمصنع عبارة عن منزل عادى واسع ، يوجد فيه نولان أو أكثر أما المنشآت التي بنيت خصيصا لإقامة الأنوال فيها فقليلة نسبيا .

وفي عام ١٩٣٦ : كان عدد النساجين الذين يعملون في بعض مراکز إنتاج السجاد المهمة كالآتى :

٦٦,٦٨٠	أرك وما جاورها
١,٦٠٠	قم
٨,٠٠٠	كرمان
٢٠٠	مشهد
٢,٨٠٠	برجنند

٢٠٠	سبزوار
٤٠٠	كاشان
٢,٠٠٠	همدان
٨١,٨٨٠	المجموع

ولا تشمل هذه الأرقام النساجين في شيراز ، وتبريز ، وبجارج ، وسنا ، وبعض المدن الأخرى ، ويحتمل أن يكون مجموع المشتغلين بصناعة النسيج في فترات العمل المختلفة قريبا من ١٠٠,٠٠٠ نساج .

وينسج السجاد غالبا على قاعدة (أرضية) من خيوط القطن ثم يقام الوبر من شطوط من لفات الصوف أو الحرير تعقد حول خيوط القاعدة ثم تقطع بعد ذلك ، ويفضل القطن على الصوف في خيوط القاعدة ، لأن العقد يمكن أن تعقد على مسافات أكثر تقاربا على الشطوط القطنية الضيقة . وقد تشمل السجادة السميكة على ستين عقدة في كل بوصة مربعة ، بينما تشمل السجادة ذات الصنف الفاخر على مائتي عقدة .

ويحتوي السجاد الرائع الموجود منذ القرن السادس عشر (العاشر الهجري) على أربع مائة عقدة في البوصة المربعة ، وتوجد هذه الخاصية أحيانا في قطع السجاد الحريرية الغالية جدا ، ولا علاقة لعقد العقد الموجودة في البوصة المربعة بخصائص النسيج ، ولكن الصناعة البارة تعطي أهمية فائقة للألوان التي تتكون منها نماذج الرسم .

وفي المصنع ، يعد رسم أولى لكل سجادة ، كما تعد صورة دقيقة كاملة لمنظر الألوان المستعملة في أجزاء النموذج ، وإذا أريد صنع سجادة كبيرة ، فإن ثلاثة أو أربعة من البالغين ، أو من الأطفال يجلسون أمام نول ، ويرشدون ملاحظتهم — متبعا الرسوم المعدة — إلى عدد العقد ولونها ، فتعقد بواسطة كل واحد منهم ، ويسير العمل ويتقدم على هذا المنوال .

وينتهى صنع السجادة ، وهى لا تزال على النول ، وحينما يتم صنع جزء طوله قدمان يقطع ملاحظ العمال الوبر ويضعه على سطح مستو على نسق واحد ، وهكذا يتقدم العمل ببطء حتى تنتهى السجادة .

ويستغرق صنع سجادة — من الحجم المتوسط — شهرا تقريبا ، بينما تستغرق صناعة سجادة ضخمة — يبلغ عرضها ١٥ قدما وطولها ٣٥ قدما — أكثر من سنتين ، ويصنع هذا النوع من السجاد في بعض الأحيان .

ويعرف السجاد في التجارة بواسطة أسماء المدن أو الأقاليم التي يصنع فيها . وهناك مدن كثيرة لها نماذجها الخاصة ، ولها تركيبها الخاص للألوان بحيث يمكن أن يعرف السجاد المصنوع في كل منها بسهولة . ورغم هذا ، فقد قام مركز صناعة السجاد في « أرك » بصناعة سجاد لشركات تعمل في الولايات المتحدة ، فأخرج نماذج من السجاد تروق الذوق الأمريكي . وهذا السجاد ليس قريبا من النماذج التقليدية للسجاد الذي يصنع في الأقاليم الأخرى ، كما يصنع في أرك أيضا سجاد بعدد كبير ليني بحاجات الفنادق الأمريكية والمطاعم ، والمباني العامة الأخرى . وتتبع النماذج والأحجام الخاصة بهذا السجاد الرسوم المعروفة في الولايات المتحدة .

كما تنسج قطع كبيرة كثيرة من السجاد أيضا بواسطة نساء البدو ، أو بواسطة الجمعيات الزراعية ، وهي لا تصدر غالبا ، ولا يعمل لها رسم أولى ، وتكثر فيها الرسوم الهندسية الكبيرة ، كلما اتسع النسيج .

وقد أسست منذ عشر سنوات شركة تعرف باسم شركة السجاد الإيرانية ، وهي مؤسسة حكومية تشرف على جميع الأنوال المستعملة في صناعة السجاد في أنحاء البلاد ، وحينما ظهرت هذه الشركات كانت نشيطة تنتج السجاد وتبيعه وتملك حوالي ٤,٠٠٠ نول .

والولايات المتحدة — منذ زمن بعيد — هي أكثر الدول شراءا للسجاد الإيراني وتليها إنجلترا ثم تركيا .

وقد اشترت الولايات المتحدة في المدة الواقعة بين ١٩٣٢ و ١٩٤٣ من السجاد الإيراني ما تزيد قيمته على ٣,٠٠٠,٠٠٠ دولار كل عام .

وقد بدأت الصادرات تقل في الوقت الحاضر نظرا لنفقات الإنتاج المتزايدة ، إذ تبلغ نفقات نسج المتر المربع من السجاد — الآن — حوالى ٢٥ دولارا ، بينما يبلغ متوسط إنتاج النول حوالى عشرة أمتار مربعة سنويا ، كما يشترط فى السجاد الذى يمر من الجمارك الإيرانية — لتصديره للخارج — أن يشتمل على صبغات ثابتة ، وأحيانا تعمل اختبارات للصبغات التى تتكون منها ألوان السجاد . وتعد شركة السجاد الإيرانية أكبر شركة لصناعة السجاد وتصديره .

الفصل السابع

النقل

الطرق :

يرجع تاريخ الطرق ، والتجارة الخارجية ، والسفر في إيران إلى عهد موغل في القدم ؛ ففي العصر الأكميني امتد الطريق الملكي الشهير من مدينة السوس عبر ما بين النهرين وآسيا الصغرى إلى مدينة سرديس القريبة جدا من الساحل الإيحيى ، وكان مجموع طوله حوالى ١٥٠٠ ميل . ويعتمد نظام البريد الموضوع في الوقت الحاضر ، الذى ينفذ بطريقة أو بأخرى في القرن العشرين على الفكرة القديمة التى كانت تقوم على إنشاء مجموعة من الاستراحات على طول الطريق على مسافات متناسبة ، لينزل فيها الرسل الحكوميون أو المسافرون حيث يجدون المسكن والمأكل ، والخيل القوية المستعدة .

ومنذ بداية العصر المسيحى استعمل الطريق الرئيسى الكبير — الذى يربط بين الشرق والغرب — بكثرة وهو يمتد من الصين إلى البحر الأبيض المتوسط ، وكان يطلق عليه اسم « طريق الحرير » (Silk Route) ولم يكن يحمل عبره الحرير فحسب بل كانت تحمل أيضا كميات من الخزف والتوابل والسلع الأخرى من الشرق الأقصى إلى أسواق العالم الغربى ، وكانت قوافل الجمال — التى خلدت مناظرها على التلوينات المشهورة فى برسبوليس — هى الطريقة الرئيسية للنقل خلال قرون كثيرة ، إلى أن وجدت شبكة من طرق التجارة ، وأخذت تنتشر حتى شملت إيران ، وبعض خطوط هذه الطرق مطابق للطرق الحديثة ، أما الطرق الأخرى ، فيمكن أن تعرف معالمها بالخانات المهجورة التى كانت معدة لمبيت القوافل ، وبواسطة القرى الخربة ، وكانت سلامة القوافل تحظى باهتمام كبير من الحكومة ؛ فمثلا فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى أنشئت

مراكز للحراسة على طول الطرق المهمة ، وكان الموظفون المحليون يجبرون على تعويض أية خسارة تصيب القوافل نتيجة للهجمات التي تتعرض لها وهي تمر في المناطق التي يشرفون عليها .

ويمكن أن تشاهد الخانات المعدة لمبيت القوافل على مسافات تبلغ كل منها عشرين ميلا على طول كل طريق ، وقد أنشأ الشاه عباس كثيرا منها في أوائل القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري) .

ويصل عدد هذه الخانات تبعا للأقاليم الشائعة إلى ٩٩٩ خانا ، وبعضها أقدم عهدا من ذلك العصر ، بينما بنى الحديث منها بواسطة الحكومات المحلية ، والصالحين من الأغنياء ، أو بواسطة أصحاب الفنادق أنفسهم ، وهذه الخانات مبنية من الحجر أو الأحجار في شكل مستطيل ، وهي مصممة على أساس وجود فناء واسع مفتوح في وسطها ، وبئر في وسط الفناء ، وتوجد — حول الفناء — حجرات للرجال ، واصطبلات للحيوانات ، وكانت الخانات تستعد للترحيب باستقبال القادمين في نهاية كل يوم بحيث يبدو منظرها بهيجا . وقد لما يعجب مسافر بهذه الخانات ، فكتب يقول : « وحينما وصلنا إلى الخانات لم نجد مضيفا ، ولا فتيات صغيرات للترحيب بنا ، كما لم نجد أثانا اللهم إلا حيطانا عارية ، فكان كل ما وجدناه ينحصر في منزل مفتوح ليس فيه كأس من الخمر المنعش يطرد عنا متاعب السفر . غير أننا — بعد أن تناولنا بقايا الأطعمة التي كانت معنا بالأمس — عمدنا إلى الراحة في لف شديد وسط ضوء أجراس الجمالين ، وأكل الحيوانات وصهيل الخيول ونهيق الجمير ، وغناء الخدم وأحاديثهم ، وطنينهم » .

ولم تكن الطرق القديمة التي تخترق السهول الفسيحة معبدة تماما ، أما في الممرات الجبلية ، فكانت تنحت درجات عريضة — أشبه بدرجات السلم — في الصخور الجرداء . وقد أنشأ الشاه عباس نوعا أحسن من الطرق يسمى « سنك فرش » أي « البساط الحجري » وهو عبارة عن رصيف من الحجر يقام على جسر عال من الأرض ، ولا زالت توجد أجزاء منه جنوب طهران ، وعلى طول الساحل القزويني .

ولا تشاهد قوافل الجمال بكثرة — الآن — عبر الطرق الكثيرة المعدة للسيارات ، ولكنها ما زالت مألوفة في الجزء الشرقى من البلاد ، حيث توجد الطرق القديمة التى تخترق الأراضى الصحراوية التى لا تصلح لمروور السيارات . والجمال نفسه من الحيوانات العجيبة فى طبيعته — كما تصوره قصة عربية قديمة — تقول إن الله قد خلقه بعد أن خلق جميع الحيوانات ، وأنه قد أبدعه بما تخلف من هذه المخلوقات من نفايات عجيبة . وقد كتب رحالة أوروبى ساح فى الأراضى الإيرانية منذ حوالى قرنين يقول : « الجمال من الحيوانات المنتشرة فى إيران ، وهى عظيمة الفائدة والقيمة والتمن فى تلك الأجزاء الشرقية ، وهى تعمر طويلا ، فكثيراً ما تزيد أعمارها على ستين عاماً ، وهى ذات طبع هادى لطيف ، وهى صبورة فى السفر ، ذات قوة عظيمة ، تستطيع أن تحمل بسهولة حملاً يزن حوالى ١٠٠٠ رطل ، وتقنع بالقليل من الطعام من أرخص الأنواع كأوراق الشجر والحسك ، والحشائش المهملة وما شابهها ، وتكتفى بالقليل من الشراب ؛ ففى مثل هذه البلاد الجافة ، تستطيع عادة أن تكف عن الشرب ما يقرب من أربعة أيام . »

وإذا خرجت القوافل فى رحلة طويلة ، فإنها تبدأ السير — غالباً — فى وقت الغروب وتسير ما يقرب من ثلاثة أميال فقط ، ثم تتوقف ويعد لها المناخ ، ويراجع ما معها من رجال ويرسل شخص لجمع الأشياء التى تكون القافلة قد خلفتها عند بدء تحركها . ويقاس طول الطريق بالفراسخ التى لا يطرد طولها على نسق واحد ، فالفرسخ فى الأرض المنبسطة حوالى أربعة أميال ، بينما هو فى المناطق الجبلية حوالى ثلاثة أميال . وتقطع القافلة حوالى نصف فرسخ فى الساعة ، ويبلغ متوسط سيرها فى اليوم الواحد أربعة أو خمسة فراسخ .

وتبدأ القوافل سيرها بعد الغروب إذا كان الجو حاراً أو كانت الرحلة طويلة ، وتتواصل سيرها طوال الليل ، ويحمل كل من الجمال الذى فى المقدمة ، والجمال الذى فى مؤخرة الموكب الطويل جرساً ضحكاً معلقاً فى رقبته ، وتظل

القافلة سائرة ما دامت الأجراس تدق وتعلم كل مرحلة من مراحل الرحلة بالخان ، حيث تحط الأحمال من فوق ظهور الجمال ، وتطلق الجمال للرعى في أثناء النهار ، بينما يذهب الرجال في النوم .

وقد أصبحت الحاجة ملحة إلى طرق حديثة بعد إدخال السيارات للنقل منذ القرن التاسع عشر ، ويبدو أن أول طريق حديث أنشئ في إيران هو الطريق بين طهران وقم ، الذي أنشئ في ١٨٨٣ ، وفي عام ١٨٩٩ افتتح طريق جديد من رشت على بحر قزوين إلى طهران وقد أنشئ قسم منه بواسطة شركة روسية ، وأنشئ الجزء الباقي بواسطة الحكومة الإيرانية ، وهناك طرق أخرى أنشئت منذ مدة لتربط روسيا بمواقع في شمالي إيران ، وقد نظر إليها على أنها نوع من الامتيازات ، وسمح لمنشئها بصيانة هذه الطرق واستعمالها ، والإنفاق على الخيل والمنازل التي على طول هذه الطرق . وقد منحت امتيازات لشركة روسية وأخرى إنجليزية تسمى الشركة الإيرانية للطرق والنقل . وجدت شبكة جديدة من هذه الطرق المخصصة لسير السيارات امتد فرع منها من طهران إلى الخليج الفارسي في عام ١٩١٤ . ولكن النقل بالسيارات ظل محدوداً جداً ، وفي عام ١٩١٩ ؛ سافرت قوة بريطانية في سيارات فورد من بغداد إلى قزوين فاضطرت إلى القيام بكثير من الأعمال الميكانيكية لإصلاح السيارات وهي تعبر الجزء المرتفع من الطريق .

وقد بدأ إنشاء الطرق في العصر الحديث بعد عام ١٩٢٥ بأمر من رضا شاه ، وظل يتقدم باطراد حتى عام ١٩٤١ ، ثم تمت أعمال إضافية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولم تكن الطرق التي أنشئت فيما سبق — متسعة اتساعاً كافياً ، كما لم تشيد على أساس متين يستطيع أن يتحمل سيارات النقل الثقيلة ، فأعيد إنشاؤها جميعاً من الحصباء على قاعدة من الحجارة المسحوقة .

ويوجد في إيران عدد يتراوح بين ٢٥,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ سيارة ، وهذا العدد يشمل أكثر من ٨,٠٠٠ سيارة لنقل البضائع ، وحوالي ٢,٠٠٠ سيارة لنقل الركاب ، ويمكن أن ترسم على الخريطة الطرق الرئيسية في البلاد ، ويوجد منها

— فى الوقت الحاضر — حوالى ٩,٠٠٠ ميل ويخترق كل طريق منها — مهما كان طوله — الممرات الجبلية المرتفعة ، ويستخدم — فى كل شتاء — مئات من القرويين فى صيانة الطرق ، وحفظها مفتوحة . ولا تزيد أحسن الطرق على ٦٪ ، ويبلغ متوسط نصف قطر المنحنيات ٢٧ ياردة ، وتوجد المحطات المزودة بمضخات الجازولين على مسافات لا يزيد البعد بينها على ٥٠ ميلا ، ويمكن الحصول على الجازولين فى كثير من القرى فى صفائح تسع كل واحدة منها خمسة جالونات ، وفى عام ١٩٤٩ كان الجازولين يباع بسعر محدد قدره ٤٥ سنتا^(١) للجالون رغم أنه كان يستخرج ويكرر فى إيران .

ويوجد حوالى ١٥,٠٠٠ ميل من الطرق الفرعية التى تعد فى المرتبتين الثانية والثالثة ؛ والطرق التى فى المرتبة الثانية تتحمل عدداً أقل من العربات ، وهى أضيق ، وأخف رصفاً ، أما الطرق التى فى المرتبة الثالثة فهى تربط بين الطرق الرئيسية والمدن والقرى المعزولة ، وهى غالباً عبارة عن طرق ممهدة ولكنها ليست مرصوفة ، وهى لا تصلح للعبور بعد أمطار الربيع فى كثير من الأحيان . وتساعد الطرق غير المعبدة التى تمتد من قرية إلى أخرى — والتى تتسع لمروور سيارة — على السفر بالسيارات فى كثير من المناطق التى لم تعد فيها طرق صالحة لسير العربات ، وتبدو الصعوبات الحقيقية فى الصيف وفى أثناء سقوط الأمطار ، وذلك بسبب الأخاديد التى يقطعونها للرى فى عرض الطريق ، وبسبب الاضطرار إلى الدوران حول القرى التى لا تصلح دروبها الضيقة لمروور السيارات .

وقد رصفت الطرق الرئيسية الثلاثة الخارجة من طهران قبل عام ١٩٤١ ، وفى أثناء الحرب كان ثقل قوافل السيارات المستمرة التى تحمل الإمدادات من الخليج الفارسى إلى روسيا أكثر من أن تتحمله الحصباء ، فكانت محتاجة إلى طبقة أصلب وأكثر دواما من هذه الحصباء ، فاضطرت الوحدات الميكانيكية الإنجليزية والأمريكية والروسية إلى أن تقوم أو تشرف على رصف مسافات

(١) « ٤٥ سنتا » كانت فى ذلك الوقت تساوى ٩٠ مليا بالعملة المصرية (المترجم) .

طويلة من طريق الإمدادات بالأسفلت، فرصفت الطريق من خانقين — على حدود العراق — إلى قزوين، والطريق الطويل الذي يصل ثمن خرمشهر إلى همدان — عبر الأهواز وخرم آباد، وملایر — وجزءا من الطريق من رشت — على بحر قزوين — إلى قزوين قبل نهاية الحرب ويزيل بمجموع طول هذه الطرق أكثر من ٩٠٠ ميل، ومنذ نهاية الحرب أبرمت الحكومة الإيرانية عقودا لرصف أجزاء أخرى، وقد أكمل رصف الطريق الذي يربط بين طهران وقم، كما أن الجزء الذي يربط بين طهران وقزوين قد أوشك على الانتهاء، وحينما يكمل هذا الطريق سيكون من السهل أن تسير العربات من طهران إلى رأس الخليج الفارسي على طريق مرصوف، وسوف يمتد طريق مرصوف آخر من طهران إلى بغداد ثم يمتد بعد ذلك مخترقا — بادية الشام — إلى دمشق وبغروت.

السكك الحديدية :

في خلال القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وجدت كل من بريطانيا العظمى وروسيا لذة في إنشاء خطوط للسكك الحديدية في إيران كوسيلة لتنمية المنافع الاقتصادية والتجارية لكل من الدولتين، وكان الخط الذي اقترحه الإنجليز يرمي إلى اختراق المنطقة الواقعة جنوبي ما بين النهرين، وجنوبي فارس وجنوبها الشرقي، وبلوخستان ليربط الهند بالبحر الأبيض المتوسط، أما روسيا فقد اقترحت خطا يخترق المنطقة الشمالية من إيران ليربط بين القوقاز وتركستان، وليساعد أيضا على تقوية نفوذها الاقتصادي في المنطقة التي اختارتها مجالا لهذا النفوذ.

ولكن كلا من الدولتين لم تستطع أن تنفذ ما وضعت من مشروعات، واكتفت بإنشاء عدد قليل من الخطوط القصيرة ذات الفائدة المحدودة بالنسبة لإيران، وكان أول هذه الخطوط خط ضيق — بني في عام ١٨٩٢ — ليربط بين طهران والقرية التي فيها مزار شاه عبد العظيم^(١)، وهي على بعد ستة أميال

(١) يقصد قرية « الري » القديمة، وكانت الري — قديما — مدينة كبيرة، وكانت طهران لأحدى ضواحيها (الترجم).

جنوبي طهران ، وهذا الخط لا يزال يستعمل حتى الآن ، ويقوم بهذه الرحلة قطار قصير ذو قاطرة صغيرة ، وبضع عربات مكشوفة حاملا جموعا من المترين والزائرين في كل يوم من أيام الجمعة .

وفي عام ١٩١٤ ، بدأت شركة روسية في إنشاء خط حديدى طوله تسعين ميلا ليصل بين جلفا وتبريز ، وقد اكمل هو وفرع له طوله خمسون ميلا إلى ساحل بحيرة رضائية في عام ١٩١٦ ، وكان هذا الخط يعد امتدادا للخط الروسى العريض ، فكان يتصل مباشرة بالخط الروسى الرئيسى عن طريق معبر على نهر أرس على الحدود بين روسيا وإيران ، وقد آلت ملكية هذا الخط إلى الحكومة الإيرانية بمقتضى إحدى مواد المعاهدة التى عقدت بين إيران وروسيا في عام ١٩٢١ ، كما أنشأت شركة البترول الإيرانية الإنجليزية خطا حديديا ضيقا قصيرا جدا - في عام ١٩٢٣ - وهو يمتد بين مدينة رشت وساحل بحر قزوين لنقل الإمدادات والمعدات داخل منطقة حقول البترول ، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى مدت الحكومة الهندية خطها الحديدى عبر بلوخيستان من « ميرجاوه » على حدود إيران وبلوخيستان إلى زاهدان أى إلى حوالى خمسين ميلا داخل الأراضى الإيرانية ، وكان الخط أوسع الخطوط الهندية ، فكان اتساعه ٦ و ٥ من الأقدام ، وقد ازداد الاهتمام بإنشاء الخطوط الحديدية داخل إيران بعد الحرب ، كما أعيد إنشاء الخطوط الحديدية بعد عام ١٩٤١ ، ولا يزال الخط الذى يربط بين زاهدان والهند يستعمل فى الوقت الحاضر .

وقد اتخذت أيضا خطوات قبل تولى رضا شاه عرش البلاد لإنشاء شبكة خطوط حديدية عبر إيران لتساعد على ربط إيران بالبلاد المجاورة أكثر من أن تكون وسيلة لترويج مصالح إيران نفسها ، وقد أدى الطريق الحديدى الذى أنشئ بين الخليج الفارسى وبحر قزوين خدمات جليلة ، فقد مكن الحكومة المركزية من الاعتماد على وسيلة أقرب للاتصال بالأقاليم المجاورة ، ويسر التحرك السريع للقوات اللازمة لكفالة الأمن الداخلى فيها ، وسوف تساعد على توزيع أفضل لموارد البلاد الطبيعية ، فإن منتجات الطعام فى الساحل القزوينى

الخصيب سوف تنقل بسهولة إلى المناطق الجنوبية القاحلة ، وسوف تصل مستخرجات المناجم والمواد الخام إلى المشروعات الصناعية التي أنشئت حديثاً ، وسوف تساعد أيضاً على تقليل اعتماد إيران على بريطانيا العظمى وروسيا في تجارتها ، بعد أن يتم إنشاء ميناء إيراني على الخليج الفارسي لدخول البضائع .

ومنذ عام ١٩٢٥ سن البرلمان قانوناً أعطى الحكومة حق احتكار السكر والشاي ، وخصص جميع الأرباح الناتجة عن ذلك لإنشاء السكك الحديدية ، ووافق في عام ١٩٢٦ على إنشاء لجنة لتخطيط المشروع ، وفي عام ١٩٢٧ صدر قانون يخول حق إنشاء الخط الحديدي الذي يمتد من الخليج الفارسي إلى بحر قزوين ، كما تم التعاقد — في عام ١٩٢٨ — مع شركات هندسية أمريكية وألمانية لإتمام الخط كله ، والبداية في إنشاء الأجزاء التي تقع جنوبي بحر قزوين ، وإلى الشمال من الخليج الفارسي بأجر قدره ١٠٪ من جميع التكاليف ، وفي عام ١٩٣١ ألغت الحكومة الإيرانية هذا العقد ، وحول العمل إلى شركة كامساكس (Kampsax) وهي عبارة عن شركة متحدة من المؤسسات السويدية والدانمركية فتقدمت بالعمل ، وولت بعض أجزائه إلى بعض المقاولين المحليين والأجانب .

وفي عام ١٩٣٨ بدأ استعمال الخط الحديدي المنفرد الذي امتد من ميناء بندر شابور الذي بني حديثاً على الخليج الفارسي ماراً بطهران حتى ميناء بندر شاه في الركن الجنوبي الشرقي من بحر قزوين ، وقطع مسافة قدرها ٨٠٨ أميال . ومن الجائز أنه لا يوجد خط حديدي في العالم واجهت إنشاءه صعوبات طبيعية مثل هذا الخط الذي يمر في الأراضي الإيرانية ، فقد مر أكثره في أراضي جبلية وعرة للغاية ، ويمر الجزء الجنوبي منه الذي يمتد بين الخليج الفارسي وطهران مسافة أميال عديدة على حافات نسفت من الحيطان المنحدرة للنفازات الجبلية العميقة ، ويتسلق في النهاية ممراً ارتفاعه ٧٢٥٣ قدماً فوق سطح البحر حتى يصل إلى السهل المنبسط ، وقد أدى هذا إلى إنشاء مئات من المعابر والجسور ، ويوجد في هذا الجزء ١٢٥ نفق يبلغ مجموع طولها ٣٥ ميلاً ، أما الجزء الشمالي

من الخط فيصعد من ساحل بحر قزوين إلى الهضبة في مسافة قصيرة كثيرا ، ويتدرج في الارتفاع بنسبة ١ : ٣٦ ، ويعترض مرحلته الأخيرة نفق يزيد طوله على ميلين ، ويبلغ ارتفاعه ٦,٩٢٤ قدما ، ويبلغ مجموع طول الأنفاق الخمسة والأربعين الموجودة في هذا الجزء — التي استعمل في إنشائها عدد يتراوح بين أربعين وخمسين ألف عامل — اثني عشر ميلا ، وينحني الخط في أحد امتداداته مسافة ٣٣ ميلا ليعبر مسافة طولها ١٨ ميلا فقط (على خط مستقيم) . وقد أنشئت المحطات ، والمخازن ، والمحولات ، وصهاريج الماء على طول الخط كله على مسافات لا تزيد على عشرين ميلا ، وقوبلت صعاب كثيرة — مثل المواد اللازمة لترشيح الماء — ولكنها ذلت ، كما استوردت القضبان ، والقاطرات ، والعربات ، ومواد البناء والآلات جميعها من الخارج ، وقد صنعت الدعامات الخشبية محليا ، وقد قدرت التكاليف النهائية لإنشاء هذا الخط بما يتراوح بين ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ و ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار أخذت جميعها من ثروة البلاد وكانت عبارة عن استنزاف شديد للدخل القومي .

ولم ينته إنشاء خطوط السكك الحديدية بإتمام هذا الخط الرئيسي عبر الأراضي الإيرانية لأن العمل لم يلبث أن استوقف بعد ذلك مباشرة لإنشاء خطين طويلين آخرين يتصلان في النهاية بالخطوط الحديدية المستعملة في الأقطار المجاورة ، وكان أحد هذين الخطين يمر في شمالي البلاد ، وقد سارت القطارات — في عام ١٩٤٢ — على الجزء الغربي منه بين طهران وميانه ، أي حوالى ثلثي الطريق المؤدى إلى تبريز ، ولا زالت أعمال إنشاء بقية الخط تسير إلى الأمام من ميانه إلى الحدود التركية ، ومن المحتمل أن يواصل الجزء الأخير من هذا الخط السير من تبريز إلى الحدود التركية ، حيث يتصل هناك بشبكة خطوط السكك الحديدية التركية ، وقد خطط الجزء الشرقي من هذا الخط بحيث يصل إلى مشهد ، وهو يتفرع من الخط الرئيسي المتجه إلى بحر قزوين من نقطة تبعد حوالى ستين ميلا شرقي طهران ، وقد جرت القطارات — في عام ١٩٤١ — على هذا الخط حتى شاهرود ، أي حوالى نصف الطريق من طهران إلى مشهد ،

وقد مهد الطريق الذي يمتد عليه هذا الخط إلى أبعد من شاهرود بحوالى ١٢٥ ميل ، وسيمتد هذا الجزء الشرقى من الخط فى النهاية من مشهد متجها إلى الشمال ليتصل بالخط الذى يمر عبر بحر قزوين حتى يصل إلى الحدود الروسية ، مع احتمال مد خط فى المستقبل يصل بين مشهد وزاهدان .

أما الخط الآخر الجديد فإنه يتفرع من الخط الرئيسى عبر الأراضى الإيرانية عند مدينة قم على أساس أن يتجه نحو الجنوب الشرقى عبر كاشان ويزد حتى يصل إلى كرمان ، وقد عبد الطريق الذى يمتد عليه الخط الحديدى حتى يزد فى عام ١٩٤١ ، وفى عام ١٩٤٩ افتتح الجزء الذى يمتد من قم إلى كاشان ، وسوف يواصل هذا الخط امتداده حتى يبلغ فى النهاية كرمان ومنها إلى بام وزاهدان حيث يتصل بالخط الموجود فعلا ، وهو الخط الموصل إلى الهند . وفى أثناء الحرب ، تولت القوات المتحالفة أمر تشغيل خطوط السكك الحديدية الإيرانية لتسهيل مهمة إرسال الإمدادات إلى روسيا ، واتفق على أن تتسلم الحكومة الإيرانية أجر استعمال شبكة خطوطها الحديدية تبعا لمقدار الشحنات المنقولة ؛ ولكن الاتفاق النهائى لم يتم ، وكانت القوات الإنجليزية والأمريكية والروسية مسئولة عن تشغيل أجزاء مختلفة من الخط ، وقد أحضرت عشرات من القاطرات إلى البلاد ، كما أحضرت مئات من العربات ، وحملت ملايين من الإمدادات على هذا الخط . وقد قام الأمريكيون والإنجليز بإنجاز منشآت إضافية ؛ فبنى الإنجليز خطاً جديداً يمتد من الأهواز إلى خرمشهر ، على الخليج الفارسى ثم مدوا هذا الخط إلى البصرة فى العراق ، ويبلغ طول الخطوط الحديدية المستعملة فى إيران حالياً ١,٥٨٥ ميلا .

الخطوط الجوية :

حصلت شركة ألمانية على امتياز بنقل الركاب والبريد داخل إيران فى المدة الواقعة بين ١٩٢٧ و ١٩٣٢ ، ثم بدأت الحكومة الإيرانية — بعد عام ١٩٣٥ — فى افتتاح خطين جويين : أحدهما من طهران إلى بوشهر ، والآخر من طهران إلى بغداد .

وحوالى عام ١٩٤٦ ، بدأت الخطوط الجوية الإيرانية ، التابعة لمصلحة الطيران المدنى عملها داخل البلاد ، وأصبح لها بعد ذلك خطوط طيران شرقى لىران وغربىها ، وفى عام ١٩٤٩ بدأ نادى الطيران الأهلى فى نقل البريد للحكومة على طول ساحل الخليج الفارسى جميعه .

أما الخطوط الجوية العالمىة إلى طهران فتديرها الشركات الإنجليزىة ، والهولندىة والفرنسىة ، والسویدىة والعراقىة ، ويشتمل مطار مهرآباد — وهو أفضل المطارات الأربعة الموجودة فى طهران — على أرضىة صلبة من الخرسانة ، وممراته طویلة طولا مناسبا لنزول الطائرات ذات الأربعة محركات وصعودها . ويجرى الآن توسع فى تهيئة التسهيلات اللازمة للهواصلات من هذا المطار ، كما أن هناك فندقا على وشك البناء فى طرفه .

وتشتمل كل من آبادان (عبدان) وزاهدان على مطار واسع ذى ممرات مرصوفة ، كما تشتمل كل المدن الكبىرة فى لىران — تقريبا — على مطارات ذات أرضىة ممهدة أو مرصوفة بالحصباء . ومنذ انتهاء الحرب الثانىة أصبحت طهران المحطة النهایة للخطوط الجوية الفرعىة التى تسيرها الشركات الأمريكىة والإنجليزىة والفرنسىة وغيرها .

الملاححة :

يحمل المسافرون والبضائع عبر بحر قزوين بواسطة سفن روسىة ، والموانىء الإيرانية الواقعة على طول الساحل القزوينى هى : بندر بهلوى ، ونوشهر ، ومشهد سر ، وبندر كاز ، وبندر شاه ، ولكن بندر بهلوى وبندر شاه هما أهم هذه الموانىء . وتستطيع السفن ذات الحمولة الصغىرة أن ترسو فى ميناء بندر بهلوى ، بينما يوجد فى ميناء بندر شاه رصيف طویل لتموين السفن التى تصل حمولتها إلى ألف طن .

والموانىء الرئسىة الواقعة على طول الساحل الشمالى للخليج الفارسى ، والتى تشتغل فيها كثیر من خطوط الملاححة التابعة لكثیر من الدول الأجنبىة هى : خرمشهر ، وبندر شابور ، وآبادان (عبدان) وبوشهر ، ونجاسك ، وبندر

عباس ، ولنكه ، ولكن السفن التجارية لا تستطيع أن تدخل الميناء وترسو إلا في الموانئ الثلاثة الأولى ، وفي عبدان إمكانيات واسعة لترسو حاملات البترول ، وقد أنشئت الميناء التي ينتهى عندها الخط الحديدى الرئيسى عبر إيران — أصلا — فى بندر شاپور — فى جهة منعزلة على مسطحات من الطين — بدلا من خرمشهر ، لأن الحدود بين إيران والعراق تقع هناك فى منتصف قناة من شط العرب حيث يصب نهرى دجلة والفرات ، ولكن الجزء الفارسى من القناة هو الذى تكون المياه فيه منخفضة المستوى .

على أن القوات المتحالفة ، وخصوصا القوات الأمريكية ، بذلت الكثير — فى أثناء الحرب — لتهيء كثير من التسهيلات فى ميناء خرمشهر ، فأنشأت رصيفا على الشاطئ الإيرانى يكفى لرسو ثمانى سفن فى وقت واحد ، كما أنشأت خطا حديديا يمتد من الأهواز إلى هذا المرفأ مباشرة ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت ميناء خرمشهر الميناء الرئيسى على الخليج الفارسى ، وصارت تفوق غيرها بكثير .

والملاحة فى بحيرة رضائية مقصورة على مرور الصنادل ، والسفن البخارية الصغيرة التى تعبر البحيرة فى شكل دائرى ، وترسو فى نقاط مختلفة على طول ساحلها ، ولا يوجد بين أنهار إيران الكثيرة نهر صالح للملاحة إلا نهر قارون الذى يصب فى الخليج الفارسى بالقرب من خرمشهر .

الفصل الثامن

نظم الحكم في إيران

كانت إيران خلال أكثر من عشرين قرنا من الزمان تحت حكم ملكيات مطلقة حتى قامت حركة ١٩٠٦ الثورية التي أنتجت لإيران حكومة نيابية . وإذا أخذنا هذا في الاعتبار إلى جانب أنها كانت في الأربعين سنة التي تلت ذلك عرضة لضغط أجنبي في أحيان كثيرة ، فإن التقدم الذي أحرزته إيران في الحكم الديمقراطي ملحوظ جدا .

الحكومة النيابية :

عدل دستور ١٩٠٦ بملحق ألحق به في عام ١٩٠٧ ، وبتعديلات أدخلت عليه في عامي ١٩٢٥ و ١٩٤٩ فجعلت الأجزاء التي كانت موجزة في مواد عامة أكثر دلالة وشمولا بقانون أصدره المجلس النيابي ، وأصبح الدستور أكثر تجسدا وتحررا ، ولكنه ما زال يشتمل على بعض نصوص خاصة بدين إيران أي بالمذهب الشيعي أحد المذاهب الإسلامية ، ويدعو هذا الدستور إلى قيام حكومة تتكون من ثلاثة أفرع : الهيئة التنفيذية التي تتمثل قوتها في هيئة الوزارة ، وموظفي الحكومة الذين يحكمون باسم الشاه ؛ والهيئة القضائية المكونة من مجموعة من المحاكم تبتدىء بمحاكم الأقاليم وتنتهي إلى محكمة عليا ؛ والسلطة التشريعية التي لا تصير تشريعاتها قانونا إلا بعد إمضاءها من الشاه .

ويقرر الدستور قيام مجلس للشيوخ ، لم يصبح له وجود قانوني إلا في عام ١٩٤٩ ، وقد اجتمع لأول مرة في عام ١٩٥٠ ، ومجلس للنواب ، تظل دورته عامين ؛ وأعضاء هذا المجلس ينتخبون من كل إقليم بنسبة عدد السكان ، وليس ضروريا أن يكونوا من القاطنين في تلك الأقاليم التي ينتخبون فيها ، بل أن يمثلوا رغبات الشعب بصفة عامة ، وينبغي أن يكون سنهم بين الثلاثين

والسبعين ، ويمكن أن يعاد انتخابهم لمدة متتالية ، والقوانين الحاضرة تحدد عدد النواب بـ ١٣٦ نائبا وإن كان الدستور يحيز الوصول بعددهم إلى مائتين . وتختار الطوائف الأرمنية نائبين لتمثيل مصالحها ، كما يختار كل من اليهود والزردهشتيين نائبا ، أما فيما يتعلق بالشيوخ فإن ثلاثين منهم يعينهم الشاه بينما يختار ثلاثون بطريق الانتخاب .

ويستقبل المجلس التشريعات التي يقترحها أعضاء الوزارة ، ويحيلها عادة إلى لجنة من اللجان الثماني المختصة ، ثم يناقش تقارير اللجان بعد وصولها ، والتشريعات المقترحة ، ويجب أن يصدق عليها بأغلبية الأصوات ، وينبغي على النواب أيضا أن يناقشوا التشريعات التي يقدمها الأعضاء ، ما دامت معتمدة من خمسة عشر نائبا ، وللجلس الحق في أن يطلب من أعضاء الوزارة الحضور والإجابة على الأسئلة الشفوية أو المكتوبة ، ويحضر الجلسة عادة واحد أو أكثر من أعضاء الوزارة .

ويعطى الدستور للمجلس الحق في الإشراف على سياسة الوزارة وتصرفاتها في المسائل التي تعد حيوية بالنسبة لمصالح الشعب ، وينبغي أن يصدق على كل مشروع يتصل بثروة البلاد أو باعتمادات مالية ، وعلى كل التراخيص والامتيازات التي تمنح لهيئة داخلية أو أجنبية ، وعلى قروض الحكومة ، وما تقترحه من إنشاء للطرق أو السكك الحديدية .

وتعقد جلسات البرلمان في مبناه المسمى « بهارستان » وهو يقع في وسط حديقة كبيرة مفتوحة للجمهور بالقرب من وسط مدينة طهران الحديثة ، وتلشر محتويات الجلسات في جريدة رسمية يومية . وتعقد الجلسات الخاصة أو السرية بناء على طلب كتابي يقدمه عشرة من النواب أو واحد من أعضاء الوزارة . وقد كانت المناقشات في الدورات الأخيرة للمجلس حامية وكانت تبلغ مبلغ الحدة أحيانا ، ولكنها كانت دائما حرة غير مقيدة .

وتجرى الانتخابات لعضوية المجلس كل عامين ، ويقسم قانون الانتخابات الأصلي الناخبين إلى ست طبقات اجتماعية ولكن هذا التمييز قد نبذ منذ عهد

طويل ، ويدعى جميع الذكور الذين بلغوا الحادية والعشرين من عمرهم إلى التصويت باستثناء رجال القوات المسلحة والمجرمين المحكوم عليهم ، والاقتراع سري وللناخبين الحرية الكاملة في الإدلاء بأصواتهم ، ولا تجرى الانتخابات — في الوقت الحاضر — في يوم واحد في جميع أجزاء البلاد ، ولكنها تتم في مدة تتراوح بين أسابيع وأشهر ، وعدد الأصوات المجموعة يكون عادة قليلا جدا بالنسبة لعدد الذين يحق لهم الإدلاء بأصواتهم ولذلك يدور الآن بحث حول تغيير النظام الذي يجرى على أساسه الانتخاب .

ومنذ أواخر عام ١٩٤١ : لعبت الأحزاب السياسية — ولا تزال تلعب — دورا بالغ الأهمية في توجيه الحكم والحياة العامة ، وما زالت الأحزاب الجديدة حتى الوقت الحاضر تتأرجح بين اليمينية المتطرفة ، واليسارية المفرطة . وقد كانت الأحزاب الأولى التي أسست في عام ١٩٤٢ واقعة تحت نفوذ التجار وملاك الأرض ، وكانت تستعمل صحف طهران لنشر مبادئها ، ولكنها كانت ضعيفة في تنظيمها وفي برامجها . وكانت هذه الأحزاب — التي أسست في الفترة الأولى تحمل أسماء تجذب الجمهور مثل : العدل ، والشعب ، والوطن ، والمواطنون — وقد أعلن الأخير برنامجا اجتماعيا — أما الأحزاب الأخرى التي كانت أكثر تحررا فإنها كانت تحمل أسماء أخرى منها الحزب الوطني أو حزب إيران .

وأكثر الأحزاب أهمية في المدة الواقعة بين ١٩٤٤ و ١٩٤٦ حزب « توده » ، « أو جماهير الشعب » ، وحزب « الإرادة الوطنية » ، وقد نظم حزب « توده » طائفة من الرجال المثقفين الذين سجن الكثير منهم في عهد رضا شاه بتهمة الشيوعية ، وسعى هذا الحزب جاهدا ليجعل تنظيمه حكما ، فظفر بشهرة مسموعة ، وضم أعضاء من النقابات التجارية التي أسست حديثا ، ومثله ثمانية نواب في الدورة البرلمانية التي امتدت من ١٩٤٤ إلى ١٩٤٦ . وفي إقليم آذربيجان اختار نوع الحزب المجاهد اسم « الحزب الديمقراطي بآذربيجان » ، وقاد حركة انفصالية فصلت هذا الإقليم عن سائر البلاد منذ أواخر عام ١٩٤٥ إلى شتاء عام ١٩٤٦ .

وكان السيد ضياء الدين طباطبائي زعيما لحزب «الإرادة الوطنية» وهو الذي كان رئيسا لوزراء إيران في خلال مدة قصيرة من عام ١٩٢١ ، وقد أقصى عن البلاد سنوات عديدة؛ ثم عاد إلى إيران في عام ١٩٤٣ ، وانتخب عضوا في البرلمان ، وقد أعلن حزبه برنامجا مفصلا يتضمن إصلاحات اجتماعية واقتصادية ، ولكنه هوجم هو وأتباعه بواسطة المعارضين من حزب توده بينما تعرض هو شخصيا لهجوم الصحافة والإذاعة الروسييتين . وقد اختفى الزعيم وحزبه معا من فوق المسرح السياسي في عام ١٩٤٦ .

وفي عام ١٩٤٦ رأس أحمد قوام — رئيس الوزارة — الحزب الديمقراطي الإيراني الذي اكتسح الانتخابات في عام ١٩٤٧ ، وبدأ في خلال بضعة أشهر أن المسرح السياسي معد بالضرورة لحزب الأغلبية الساحقة في البرلمان ، ولكن الديمقراطيين الإيرانيين فقدوا الكثير من قوتهم في أواخر عام ١٩٤٧ .

وهناك نسبة كبيرة من الإيرانيين من التجار وكبار الملاك ، والمثقفين ، والعمال الصناعيين والطلبة تبدي اهتمامها البالغ بالسياسة ، وهي على استعداد دائما للدخول في مناقشات لا نهاية لها حول مستقبل إيران ، ولكن أغلب أعضاء الجمعيات الزراعية لا يعرفون إلا القليل عن المشاكل القائمة وسياسة الحكومة في طهران ، وعدد قليل جداً منهم هم الذين يدلون بأصواتهم في الانتخابات ، وهؤلاء أيضاً لا يكادون يعرفون شيئا عن المؤهلات الواجب توفرها فيمن ينتخب لعضوية المجلس النيابي .

الشاه :

في عام ١٩٢٥ ؛ أعلنت الجمعية التأسيسية الخاصة رضا خان امبراطوراً لإيران . وقد اختار اللقب الفارسي القديم « بهلوى » اسماً للأسرة الحاكمة الجديدة ، واتخذ — في أثناء تنويجه في أبريل من عام ١٩٢٦ — عبارة « رضا شاه بهلوى » اسماً ولقباً له .

وقد نص الدستور على أن ولي العهد هو الابن الأول للملك الحاكم ؛

بشرط أن يولد من أم إيرانية الأصل ، فإذا لم يكن هناك ابن للملك ، فإنه يقترح خليفة له على أن يصدق البرلمان على هذا الاقتراح .

وقد ولد ابن رضا شاه الأول ، صاحب السمو الملكي شاهبور^(١) محمد في ٢٧ أكتوبر ١٩١٩ ، وتلقى علومه في سويسرا ، وأصبح يجيد الإنجليزية والفرنسية لإجادة تامة ، وصار ولا يزال بارعا في نواحي الرياضة ، ثم تزوج في عام ١٩٣٩ الأميرة فوزية الأخت الكبرى للملك فاروق الأول ملك مصر^(٢) ، وولدت ابنتهما الأولى المسماة « شاهناز » في عام ١٩٤٠ ، واعتلى العرش بعد تنازل رضا شاه عن الملك ، وذلك في ٢٧ سبتمبر ١٩٤١ باسم « محمد رضا شاه بهلوى » .

وتشمل سلطات الملك — وهي السلطات المقررة له في الدستور — تعيين وعزل الوزراء ، وقيادة القوات المسلحة ، وإعلان الحرب ، وإقرار السلم ، ومنح الرتب العسكرية ، كما أن له الحق أيضاً في أن يدعو البرلمان إلى جلسة خاصة ، وتضرب النقود في المملكة باسم الشاه ، وتنقش صورته على السكة ، وتطبع على أوراق العملة ، وطوابع البريد .

ووظيفة الملك كقائد أعلى للقوات المسلحة تجعله يتصل عن قرب بالقواد العسكريين ، وبالشؤون الحربية ، وإلى جانب سلطاته هذه ؛ فإنه يبذل جهدا في الإشراف على أعمال الوزارة باتصاله الشخصي بالوزراء ، وبالموظفين الرسميين ، وقد يحتضن أحيانا بعض الحركات والإصلاحات . وقد أظهر — فعلا — اهتماما بالغاً بالمشكلات الاجتماعية الرئيسية ، وقدم مبالغ كبيرة جدا من الأموال التي ورثها عن أبيه رضا شاه لإنشاء المستشفيات ، وتوسيع التعليم ، ومشروعات الري والمشروعات الأخرى المهمة .

(١) « شاهبور » كلمة فارسية مركبة معناها « الأمير » (المترجم) .

(٢) كان هذا وقت تأليف الكتاب (المترجم) .

رئيس الوزراء ومجلس الوزراء :

حينما يراد اختيار رئيس للوزارة يقترح في مجلس النواب على الأسماء المرشحة لهذا المنصب ، ويعين الشاه من يظفر بأكثر الأصوات رئيسا للوزارة ، وبعد أن يختار رئيس الوزراء وزرائه ، يقدمهم للملك ليظفر بموافقته . ثم تضع الوزارة برنامجها ، وتقدمه للمجلس ، فإذا ظفر البرنامج بموافقة المجلس ظل رئيس الوزارة متمتعاً بالقوة والسلطة إلى أن يختار هو أن يستقيل أو يقترح البرلمان على عدم الثقة به بأغلبية كبيرة .

وينبغي أن يكون الوزراء من المواطنين الإيرانيين ، وأن يكونوا مسلمين ، وألا يكون بينهم أحد من أمراء الأسرة المالكة ، وللبرلمان الحق في أن يحيل إلى المحكمة العليا التهم التي توجه إلى من يسيء التصرف من أعضاء الوزارة .

ولا يتزعزع العمل كثيرا في أفرع وزارات الحكومة بسبب التغيير المستمر للوزارات ؛ لأن كل وزارة يديرها وكيل ، ويشرف على الإدارات الكبرى في كل منها مديرون عامون ، كما يحتفظ كبار الموظفين بوظائفهم لعدد من السنين ، فيلبون للمساواة بالاعمال العادية في وزاراتهم ، ويتبع أغلب الموظفين في الوزارات المختلفة للخدمة المدنية في الحكومة ، التي تمنحهم درجاتهم المعتادة ، ومكافآتهم المألوفة .

الوزراء بلا وزارة :

تضم كل وزارة في العادة وزيرا أو أكثر بلا وزارة ، أو وزراء دولة ، وهي وظيفة مألوفة في الوزارات الأوروبية ، ولكنها غير موجودة في الولايات المتحدة ، ووظيفة هؤلاء هي مساعدة رئيس الوزارة ، وتقديم المشورة له ، وإنجاز أعمال خاصة .

وزارة البلاط :

يتمتع وزير البلاط الإمبراطوري بنفس المرتبة التي لأعضاء الوزارة ، ولكنه لا يحضر اجتماعات الوزارة وليس مسئولاً أمام البرلمان ، وتشرف

هذه الوزارة على الأموال الامبراطورية ، ممثلة في جزء منها بالمبلغ الذي يعتمد للبلاط في الميزانية سنويا ، وفي جزئها الآخر بأموال البلاط الدائمة في صورة أموال أو أراضى ، وتختص أقسام ميزانيتها بالحفلات والمراسم ، وصيانة القصور والحدائق ، كما تختص بالمراسلات والتقارير وصيانة معدات الصيد الامبراطورية .

ويوجد عدد من القصور الملكية في داخل طهران وبالقرب منها ، وقد بنى كثير منها منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهذه القصور معروفة بحداثتها الرائعة ، فقصر كلستان أى « الروضة » في طهران قصر أقدم في بنائه من غيره وهو مشهور بحجرة العرش الكبيرة التى تستعمل للاستقبالات الرسمية ، وفي الجزء الأهل بالسكان من مدينة طهران توجد مساحات واسعة من الأراضى تضم القصور الملكية الأخرى ، وهى مبنية ، ومؤثثة بطريقة حديثة ، حيث يسكن الشاه وأعضاء الأسرة المالكة . وفي المنطقة الجبلية المسكونة التى تبعد حوالى ثمانية أميال شمالى طهران توجد منطقة تبلغ مساحتها مائة فدان تابعة للبلاط الإمبراطورى ، حيث توجد القصور الامبراطورية والمكاتب الخاصة بوزارة البلاط فى أثناء فصل الصيف ، ويقوم قصر سعد آباد على أعلى نقطة من هذه الأرض المغطاة بالأشجار ، وهو يطل على مدينة طهران ، وهو أشبه بصندوق كبير مملوء بالجواهر ، وكل حجرة من حجراته مزينة بطريقة خاصة قام بزخرفتها أمهر الفنانين فى البلاد .

وزارة الخارجية :

تضم وزارة الخارجية عددا من الإدارات الخاصة التى تختص بالأعمال الرتيبة (الروتينية) ، وبالمراسم (البروتوكول) والحفلات ، والحسابات ، والجوازات ، والمسائل الاقتصادية ، وما يتعلق بالأمم المتحدة ، وتنظيم المكتبة والسجلات ، كما توجد أيضا ست إدارات سياسية . تختص الإدارة الأولى بشؤون الأمم الإسلامية المجاورة لإيران ؛ وتعنى الثانية بالمسائل المتعلقة بروسيا السوفيتية وأوروبا الشرقية ، وتهتم الثالثة بشؤون الدول الأوروبية الأخرى ،

وتختص الرابعة بالمسائل المتعلقة بالولايات المتحدة والدول الأمريكية الأخرى ، وتعنى الخامسة بشؤون الدول العربية ، وتختص السادسة بالمسائل المتعلقة بالهند وباكستان وجنوب شرق آسيا .

ولإيران قنصليات ومفوضيات وسفارات في حوالي عشرين دولة أجنبية ، وتوجد سفارة إيرانية في شنجنون عاصمة الولايات المتحدة ومقر حكومتها ، بينما توجد قنصلية إيرانية عامة في مدينة نيويورك .

وقد كانت إيران عضوا سابقا في عصبة الأمم ، كما ساهمت في إنشاء وتنظيم هيئة الأمم المتحدة ، وتوجد معاهدات واتفاقيات سارية المفعول بين إيران والدول الأخرى تتعلق بالتجارة والرسوم الجمركية ، والملاحة وحقوق المواطنين فيها وفي هذه الدول . . . الخ .

وتقوم صلات إيران بجاراتها على أساس معاهدة « سعد آباد » التي وقعت بين كل من إيران وأفغانستان والعراق وتركيا في طهران في عام ١٩٣٧ .

وقد تعهد الموقعون على هذه المعاهدة بامتناع كل دولة عن التدخل في شؤون الأخرى الداخلية ، وعلى احترام الحدود المشتركة بين هذه الدول ، والامتناع عن الاعتداء من جانب دولة على أخرى ، وأن تتشاور هذه الدول معا في حالة حدوث نزاع عالمي يهدد مصالحها المشتركة .

وزارة الحربية :

وتضم وزارة الحربية الجيش والبحرية والقوات الجوية ، وهي مكلفة بالدفاع عن الوطن .

وتزيد قوة الجيش الإيراني — في الوقت الحاضر — على مائة ألف جندي ، وضعت فرقتان منه في طهران ، بينما وضعت الفرق الأخرى في مراكز مختلفة في الأقاليم . والتجنيد إجباري في إيران ، ويستدعى الشباب للتجنيد حينما يبلغون الحادية والعشرين من عمرهم ، ويبقون سنتين في الخدمة ، ويستثنى من ذلك الأشخاص الذين تشتد الحاجة إليهم في إعالة أسرهم . وتقدم بعض

البرامج الدراسية الخاصة بالشباب لهؤلاء الجنود الجدد ، ويقضى تلاميذ المدارس الثانوية وطلاب الجامعات مدداً أقصر في الخدمة العسكرية ، وهم عادة يعطون التمرينات الخاصة بالضباط ، ويوجد ناد نخم للضباط في طهران ، وقد أعد بطريقة تجعله يخلق شعوراً بالاتحاد والاعتزاز بين طائفة الضباط .

وقد كانت الوظيفة الأولى للجيش أن يعالج حالة الاضطراب الداخلية ، وقد وجه الجيش حملات تأديبية ضد القبائل البدوية منذ عهد قريب جداً ولكن الإيرانيين يتمنون أن تنتهى مثل هذه الحالة وأن تصبح من مخلفات الماضي . وتستطيع قوات الأمن أن تنهض جيداً بمهمة المحافظة على النظام في الظروف العادية ، ولا تلعب قوات الفرسان دوراً حيوياً كالذى كانت تلعبه — في الجيوش الإيرانية — في القرون القديمة الماضية . ويضم جزء من الجيش الإيراني الحديث قوات ميكانيكية . وتصنع جميع الأسلحة الصغيرة — تقريباً — والملابس والمعدات الخفيفة للجيش في المصانع والترسانات الحكومية .

ومنذ عام ١٩٤٢ ؛ تعمل بعثة أمريكية استشارية في إعداد وتموين وتدريب أجزاء من الجيش الإيراني . وقد كان يرأس هذه البعثة — أولاً — ماجور جنرال روبرت و. جرو Major General Rodert W. Grow ثم رأسها منذ سبتمبر ١٩٤٨ ماجور جنرال فيرنون إيفانز Major General Vernon Evans أما البحرية الإيرانية فتتخصص عملياتها في الخليج الفارسي وبحر قزوين ، حيث توجد سفن قليلة ، ذات أحجام متوسطة تقوم بدوريات لمنع تهريب البضائع ، وتحول دون حدوث اشتباكات مسلحة .

وتتضم القوات الجوية — في الوقت الحاضر — أقل من ثلاثمائة طائرة أغلبها طائرات تدريب ولكن الإيرانيين — فيما يبدو — يخرجون طيارين ممتازين ، ويلقى حماسهم للطيران داخل القوات الجوية أو خارجها تشجيعاً من نادى الطيران الوطنى الإيراني ، وهو ناد شبه رسمى له ميادينه ومعداته الخاصة به خارج طهران ، ويتبعه ناد ضخمة يحرق بناؤه بالقرب من ميدان التدريب ، ويمتلك النادى حوالى عشرين طائرة من الطائرات ذات المقعدين المصنوعة

في أمريكا ، ويشرف على تدريس برنامج خاص بالطيران المدني وهو مفتوح للشباب من كلا الجنسين .

وزارة المالية :

تستخدم وزارة المالية عددا كبيرا من الموظفين ، وتشمل أعمالها الحيوية كثيراً من أوجه النشاط . وفي عام ١٩٤٧ ؛ صمم بناء ضخيم من الخرسانة المسلحة والآجر ليسد جميع حاجات الوزارة ، لأن المساحة التي خصصت للكاتب كانت قد أوشكت على أن تشغل تماماً .

ويوجد بهذه الوزارة قسمان رئيسيان : القسم الخاص بالميزانية ، وهو مختص بمصلحة الجمارك ، والضرائب المباشرة ، وغير المباشرة ، والميزانية السنوية ، والحسابات والمراقبة والمباني ، والتبادل الخارجي ، وإدارة سك النقود ، وممتلكات الحكومة ، والمحاكم الحكومية ، والدخل من امتيازات الشركات ، والبترول والمناجم ، ومدرسة للتدريب على أعمال الميزانية ، وهناك عدد قليل من الإدارات الكثيرة الخاصة بالقسم الاقتصادي تختص بالمشتريات ، والحسابات ، والتفتيش والمخازن ، والنقل ، ومخازن الحبوب ، والطباق ، وتعد ميزانية البلاد السنوية من واقع الإيرادات والمصروفات التي تقدمها جميع الوزارات ، وفي السنوات الأخيرة زادت الميزانية بانتظام بحيث وصلت إلى درجة تعادل فيها أكثر من أربعة أمثال الميزانية في أية سنة سابقة للحرب العالمية الثانية مباشرة ، وكانت ميزانية عام ١٩٤٩ قد قدرت أن يكون الدخل ١٩٤,٠٠٠,٠٠٠ دولار وأن يكون المنصرف ٢٩٠,٠٠٠,٠٠٠ ، وكانت مصادر الدخل المتوقعة لسنة ١٩٤٩ كالآتي : الدخل من العوائد الجمركية ٢٤ ٪ ، عوائد الطباق واحتكار الأفيون ٢٣,٢ ٪ ، عوائد شركة البترول الإنجليزية الإيرانية ١١,٨ ٪ ، الضرائب المباشرة ١٤,٩ ٪ ، الضرائب غير المباشرة ٧,٥ ٪ الأرباح من العمليات التجارية التي تقوم بها الحكومة ٧,٧ ٪ .

وأهم المصروفات المقترحة لعام ١٩٤٩ تدخل تحت العناوين التالية : وزارة الحرية ٢٢,٣ ٪ ، وزارة المالية ١٣,٥ ٪ ؛ وزارة التربية والتعليم ٨,٦ ٪ ،

وزارات الصحة والبريد والزراعة والعدل كل منها ٢٪ زيادة ، المبالغ المخصصة للمصرف الأهلى لسداد القرض الحكومى ٨,٥٪ .

وقد خصص أكثر من ٣٠٪ من مجموع المصروفات لنفقات قوات الأمن فى البلاد ، بينما تدفع من الـ ٧٠٪ — من مجموع المصروفات — مرتبات الموظفين بما فيهم أفراد القوات المسلحة . وفى خلال السنوات الكثيرة الماضية كانت أوجه العجز المنصوص عليها فى الميزانية أكثر فى نهاية السنة المالية من أن توازن أو تسوى بالدخل المتوقع ، وقد استتبع العجز فى الميزانية ، اضطراب الدولة إلى الاقتراض من المصرف الأهلى الإيرانى ، بحيث أصبحت الحكومة — فى عام ١٩٤٩ — مدينة للمصرف بحوالى ١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار .

وينبغى عند هذا الحد أن يذكر الأساس الذى يقوم عليه النظام المالى ، وأن تعطى قائمة للمصارف التى تدير عمليات الصرف داخل البلاد ، مع ملاحظة أن المصارف المملوكة للحكومة مستقلة فعلا عن وزارة المالية .

وقبل بداية القرن العشرين ؛ لم يكن فى إيران نظام منسق للإيرادات الحكومية ، وكان الدخل القومى يعد دائما ملكا شخصيا للبلوك الذين كانوا يتصرفون بأنفسهم ويقدرون المبالغ اللازمة للاتفاق على الجيش ، أو على أصدقائهم . وقد أدى نقص العملات الحاضرة إلى أن تأخذ الحكومة قروضا من الدول الأوروبية بشروط تجعلها تتنازل عن دخلها من الجمارك أو تضطرها إلى منح امتيازات للدول التى تمنح هذه القروض .

وحينما نفذ الدستور ؛ أيقن الزعماء أن البلاد فى حاجة إلى متخصصين من الدول الأجنبية لمساعدوا على إيجاد نظام ثابت للميزانية ، فاستخدم البلجيكيون والفرنسيون — أولا — وفى عام ١٩١١ استخدم أمريكى يدعى مورجان شوستر Morgan Shuster . وقد أكسبه ولاؤه وإخلاصه حب الإيرانيين . غير أن الضغط الأجنبى على الحكومة الإيرانية قد أجبره على مغادرة البلاد ، وسادت الفوضى حتى عهد رضا شاه ، ثم طلبت المشورة الأمريكية من جديد فجاء أ . س . ملسبو A. C. Millsbaugh — فى عام ١٩٢٢ — على رأس بعثة ،

نجحت في السنوات الخمس التالية في إنشاء ميزانية متوازنة ، وفي تأكيد الأهمية العظيمة لجمع الضرائب العادلة ، وبعد سفر البعثة في عام ١٩٢٧ اعتمدت الحكومة ميزانية متوازنة لمدة سنوات عديدة ، ولكنها اضطرت في النهاية إلى أن تشرف بنفسها على التجارة والصناعة وكانت تحاول بذلك أن تقف في وجه المشاكل التي نجمت عن الأزمة الاقتصادية العالمية بصفة عامة .

وفي أثناء الحرب العالمية الأخيرة ارتفعت نفقات المعيشة حتى بلغت ١٠٠٠٪ ، فثلا كان ثمن البيضة في عام ١٩٤٤ كافيا لشراء مائة بيضة قبل ذلك بخمسة عشر عاما وكانت الأحوال الداخلية أبعد عن أن تكون مرضية .

وقد رجع مستر ملسبو إلى إيران في عام ١٩٤٣ بدعوة من الحكومة الإيرانية وطلب منها سلطات واسعة فتمتحنه الحكومة هذه السلطات ، وقد بذلت الهيئة التي تعمل معه من الأمريكيين — وكان عددهم يبلغ خمسين شخصا — جهدا شاقا لإصلاح النظام المالي بصفة عامة ، وفرضت ضريبة دخل تدريجية . وقد تعثر برنامج بعثة ملسبو وتأخر بسبب ظروف الحرب الاضطرابية ، بحيث جعلت هذه الظروف من الصعب على الإيرانيين ، أن يلاحظوا أى تقدم أحرزته هذه البعثة ، وبدأ البرلمان يحد من السلطات الممنوحة لها ، وكان من نتيجة ذلك استقالة ملسبو ، ومغادرته للبلاد في عام ١٩٤٥ .

وأهم مصرف بين المصارف الأجنبية الموجودة في إيران المصرف الامبراطوري الإيراني^(١) Imperial Bank of Iran وهو مؤسسة إنجليزية أنشئت في نهاية القرن الماضي وكانت عاملا قويا في الحياة المالية والاقتصادية للبلاد ، وفي عام ١٩٤٩ غير مديرو المصرف اسمه إلى « المصرف البريطاني لإيران والشرق الأوسط ، British Bank of Iran and Middle East وذلك على أثر مباحثات دارت بين المصرف والحكومة الإيرانية عقب انتهاء مدة الستين عاما وتمت الموافقة على وضع ٥٥٪ من جملة الودائع ، في صورة

(١) توقف هذا المصرف عن العمل منذ بضع سنوات على أثر إقدام الدكتور مصدق على تأميم شركة البترول الإنجليزية الإيرانية (المترجم) .

حساب حر في المصرف الاهلي الإيراني ، وقد نال المصرف السوفيتي الذي أنشئ منذ مدة طويلة في إيران هذه الحقوق نفسها فيما يتعلق بالودائع .

وقد شجع الدستور الإيراني على إنشاء مصرف للدولة ، ولكن لم يؤسس « بانك ملي إيران ، أو المصرف الاهلي الإيراني ، قبل عام ١٩٢٧ ، وقد نما هذا المصرف بسرعة فائقة ، وحدد رأس ماله المدفوع بمبلغ يزيد على ٩,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، وفي عام ١٩٣٢ أخذ من المصرف الامبراطوري حق إصدار أوراق العملة ، وفي عام ١٩٤٩ كان له ١٤٧ فرعا أو توكيلا في مختلف أجزاء إيران كما كان له مندوبون في عشرين دولة أوروبية تقريبا .

والأرقام التالية تبين العمليات التي اضطلع بها المصرف المذكور ، وهي موضحة بالدولار الأمريكي على أساس أن سعر الدولار ٣٢,٥ ريال إيراني وهو السعر الرسمي للتبادل منذ عام ١٩٤٣ ؛ ففي عام ١٩٤٩ وصل مجموع الموجودات من الأوراق المالية المصرفية إلى ٧١٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار وكانت قيمة أوراق العملة التي أصدرها ٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، أي بزيادة تصل إلى سبعة أمثال ما كان موجودا في عام ١٩٣٩ وذلك لظروف الحرب ، وما أدت إليه من تضخم في الميزانية . وكان غطاء العملة من الأوراق وهو ١٠٠٪ من قيمتها ، وهو الغطاء الذي تتطلبه التنظيمات الحكومية ، يتمثل في عام ١٩٤٩ في صورة ٥٥,٣٩٪ ذهباً ، و ٢٢,٢٥٪ من العملات الأجنبية ، و ٤,٤١٪ من مجوهرات التاج ، و ١٧,٩٥٪ ديون للمصرف على الحكومة يتقاضاها من الزيادة التي تطرأ في ثمن مجوهرات التاج .

وقد شجع المصرف الاهلي على إيداع حسابات للتوفير ، وهو شيء يعد جديداً بالنسبة إلى إيران ؛ ففي عام ١٩٤٠ كان في المصرف ٥٥,١٥٣ حساب يبلغ مجموعها ١,١٦٥,٠٠٠ دولار ، وقد ارتفع عدد هذه الحسابات في عام ١٩٤٦ إلى ٢٩٠,١٢٨ حساب ، وبلغ مجموع ما فيها ٢٠,٣١٧,٠٠٠ دولار . ويبلغ عدد من لهم حسابات توفير في المصرف في مدينة طهران سدس عدد المدينة ، ويبلغ متوسط ما يوفره الفرد ٩٠ دولارا .

ويعد المركز الرئيسى المصرف — فى مدينة طهران — من أنخم الأبنية الجميلة فى المدينة فالبناء الرئيسى أحد الأبنية الحديثة التى تثير الإعجاب ، ويوجد داخل ساحاته الفسيحة ناد لموظفيه ، ومطعم فاخر ، ووسائل لتيسير الألعاب الرياضية من بينها ساحات للعب التنس ، وحوض للسباحة ، وساحات للاسكواش ، وساحة للمصارعة « زور خانه » ومستشفى وأحسن دار للطباعة فى البلاد . وتعد جواهر التاج الإيرانى الرائعة ميراثا وطنيا نفخا جمعه ملوك البلاد منذ القرن الثامن عشر إلى الوقت الحاضر ، وهى معروضة عرضا جميلا فى حجرة حصينة مستقلة ، والواقع أن الوضع المالى المدعم ، والشهرة الممتازة التى يتمتع بهما المصرف الأهلئ الإيرانى مدينتان لجهود مديره العام أبى الحسن ابتهاج .

ومن المؤسسات الأخرى المملوكة للحكومة « المصرف الزراعى الصناعى » الذى أسس فى عام ١٩٣٣ ، والمصرف العقارى المؤسس فى عام ١٩٣٩ ومصرف الجيش « بانك سبه » ومصرف « الصناعة والمعادن » .

ويقدم المصرف الزراعى الصناعى قروضا للزراع وأصحاب الأعمال ، أما المصرف العقارى فيمول مشروعات المبانى ويقدم قروضا تضمناها الأملاك ، أما « مصرف الجيش » فهو مؤسسة صغيرة نسبيا ، وقد أسس ليسهل الأعمال المصرفية والقروض لأفراد الجيش الإيرانى ، ولكنه يقوم الآن بهذه الأعمال للجمهور عامة .

وقد أسس « مصرف الصناعة والمعادن » — فى عام ١٦٤٦ — ليشرف على الصناعات والمصانع والمعادن التى تملكها الدولة ، ولكن أعماله صفيت فى يناير ١٩٥٠ ، وخصصت أرصده لمشروع الإنشاء والتعمير .

وفضلا عن شركات التأمين المهمة المملوكة محليا فى إيران ، فإن كثيرا من شركات التأمين الأوروية تدير قروعا لها فى طهران .

وزارة الداخلية :

تعد وزارة الداخلية مسئولة عن الإدارة الداخلية للبلاد ، وإيران مقسمة إلى عشر ولايات « استان » تطابق حدودها — تقريبا — حدود التقسيم القديم

للبلاد مثل : آذربيجان ، وخراسان ، وكيلان ، وفارس ، وخوزستان ، وسيستان (سجستان) ، ويشرف على كل إقليم حاكم يعين من قبل وزارة الداخلية ، كما أن هناك موظفين كبارا في الأقاليم معينين من قبل هذه الوزارة ، وتختار المدن أعضاء المجالس البلدية ، وترسل جميع الضرائب التي تجمع من الولايات إلى طهران كجزء من الدخل الوطنى .

ويشعر كثير من الإيرانيين أن حكومتهم مركزة جدا في جهة واحدة ، وينص الدستور على أن تكون الانتخابات لأعضاء المجالس المحلية بواسطة سكان الأقاليم والمناطق الموجودة فيها هذه المجالس ، لتسكون المجالس مسئولة عن إصلاح الأحوال في الإقليم ، غير أن هذا النص لم يوضع حتى الآن موضع التنفيذ ، ويبدو أنه من المحتمل جدا أن ينتخب أعضاء هذه المجالس في المستقبل القريب ، وأن يختار هؤلاء حكامهم وأن يخضع هذا لموافقة الوزارة ، وأن تصرف نسبة مئوية معينة من الضرائب التي تجمع في كل إقليم في المشروعات الخاصة به مباشرة .

وتقع مهمة المحافظة على النظام العام في المدن والبلاد والقرى الكبيرة في أيدي رجال الشرطة الذين يبلغ مجموعهم ٢٢,٠٠٠ رجل ، أما حفظ الأمن في الطرق الجبلية والقرى الصغيرة فمتروك لقوات الأمن ويسمون « زاندارمرى » وهم قوة مكونة من ٢٠,٠٠٠ رجل ، ومنذ عدة سنوات حينما كانت بعض الطرق المعينة عرضة لأن يغشاها بعض قطاع الطرق ، كان الحراس يتخذون مواقعهم في أبراج مبنية بالحجارة ، يقيمون فيها بأعداد كثيرة لحراسة الطرق . وتكون كل جماعة منهم على مرمى البصر من الجماعة الأخرى . ومنذ عام ١٩٤٢ ؛ جاءت بعثة أمريكية لتدريب قوات الأمن ، وكان يرأسها أولا الجنرال هـ . نورمان شوارتس كوف (General H. Norman Schwarz Kopf) وهي الآن برئاسة الكولونيل جيمس ر . بيرس (Colonel James R. Pierce) وقد أشارت هذه البعثة بإعادة تنظيم هذا الحرس وترقيته وفقا للأساليب الحديثة ، بحيث أصبح الاتصال والانتقال داخل البلاد آمنا جدا .

وزارة العدل :

وتختص وزارة العدل بتنفيذ القوانين الموجودة في البلاد، والنظام القضائي في إيران يحدو حدو النظام القضائي في فرنسا، وهو عبارة عن مجموعة من المحاكم تتدرج من المحاكم الموجودة في الأقاليم — من أقل مستوى — إلى المحكمة العليا، التي يكون فيها الاستئناف النهائي للأحكام، ولكن هذه المحكمة لا حق لها في تقرير دستورية القوانين الحالية، ويحكم القضاة في جميع القضايا ما عدا عدد قليل منها يدعى فيها المحلفون الذين يعينون غالبا بصفة دائمة .

ومنذ عام ١٩٢٥؛ حدث تطور شامل لدى الرأي العام الإيراني في فكرة القانون، فقبل ذلك الوقت، كانت البلاد تخضع لمواد القانون الديني المستمدة من القرآن، وكانت تفصلها شروح العلماء من رجال الدين، ويطبقها شيوخ المسلمين. وهذا النوع من القانون لم يكن غير متناسب لظروف الحياة في العهد الحاضر فحسب بل ألقى مسئولية كبيرة على رجال الدين، ووضع في أيديهم سلطة كبيرة، وكان من المدهش حقا أن تمحو مجموعة من القوانين الجديدة تراث قرون عديدة بمثل هذه السرعة .

وفي عام ١٩٢٥؛ وافق البرلمان على لائحة مفصلة للقانون التجاري، وأعقب ذلك بالموافقة على لائحة القانون الجنائي في عام ١٩٢٦، ولائحة القانون المدني — في عام ١٩٢٨ — ويقع في تسعمائة مادة . وهذه القوانين الأساسية الثلاثة هي التي قام عليها النظام القضائي، بينما توجد قوانين أخرى ما زال يتطلع إليها حتى يتم تطور إيران، وقد ألغى قانون ١٩٢٨ الامتيازات الأجنبية التي كانت — حتى ذلك الوقت — تمنح الأجانب المقيمين في إيران نوعا من الحصانة ضد القبض عليهم كما كانت تهبهم الحق في أن يحاكموا بواسطة ممثلي بلادهم في القنصليات، كما حددت القوانين التي صدق عليها في عام ١٩٣١ و ١٩٣٥ السن القانونية للزواج، ورفعت الرسم المفروض على الطلاق، وبينت حقوق المرأة في الملكية، كما أبطلت القوانين التي أصدرت في ١٩٢٨ و ١٩٣٥ الزى الإيراني القديم، وجعلت الزى الأوربي والقبعة إجباريين، وقد ألغيت الرتب والألقاب وكل مظهر من مظاهر الأرستقراطية القديمة في عام ١٩٣٥ .

وأخيراً دعيت الوزارة لتنفيذ قوانين من نوع يعد جديداً في هذا الجزء من العالم ، مثل القوانين التي تحرم التخزين ، والتي تشرف على الإيجارات ، وهي خاصة بالحرب الأخيرة ، وقد نفذ القسم الأخير من هذه القوانين — على وجه الخصوص — بكل أمانة ودقة .

وهناك عادة خاصة بالإيرانيين هي عادة الالتجاء إلى المساجد « بست » ، وقد اختفت بعد تنفيذ اللوائح الخاصة بالقانون الجديد ، وهي أن يلتجئ الهارب إلى المسجد فلا يزججه أحد ما دام محتماً بهذا الملجأ .

وتوجد مكاتب للتسجيل في جميع المدن والقرى الكبيرة ، وقد أنشأتها الوزارة لتسجل فيها جميع الوثائق مثل : عقود الزواج ، وشهادات الميلاد ، وعقود الإيجار والملكية ، وحجج الأراضي فهذه جميعها ينبغي أن تسجل في هذه المكاتب ، وهذا العمل ذو أهمية كبيرة في إنشاء سجلات مستوفاة ودائمة للملكية الأرض ، لأن حدود الأراضي في العصور السابقة كان من الصعب تحديدها بما كان يؤدي إلى كثير من المنازعات حول حق ملكيتها .

وزارة التربية والتعليم :

وتختص وزارة التربية والتعليم بالتعليم العام ، والأوقاف الدينية ، والفنون الجميلة .

واصطلاح « الأوقاف الدينية » ترجمة لكلمة عربية معناها « الهبات الممنوحة للتعليم الديني أو للأغراض الخيرية » وقد تكون هذه هبات نقدية ، ولكنها في أغلب الأحيان أراضي زراعية أو دكاكين في الأسواق أو بساتين يخصص دخلها السنوي لعمل خيري وتشتمل بعض المساجد القديمة على كتابات تشرح بالتفصيل الهبات المخصصة لصيانتها الدائمة والهبات الأخرى المخصصة للإنفاق على الحمامات العامة ، والمدارس الدينية والمستشفيات ، وكانت حجج هذه الهبات والأوقاف جميعها ، وطرق إنفاق الأموال تحفظ قديماً لدى الزعماء الدينيين المسلمين ، ولكن هذا العمل حول منذ سنوات عديدة إلى وزارة التربية والتعليم .

وتقوم إدارة الآثار — التي توجد مكاتبها في المتحف الحديث الرائع في طهران — بتسجيل أبنية إيران القديمة ، وصيانتها ، والإشراف عليها ، كما تقوم بالإشراف على التنقيب عن الآثار في جميع أنحاء البلاد .

ويساعد وزارة التربية والتعليم في مشاريعها الكثيرة «المجالس الأعلى للتعليم» وهو مكون من عشرة أعضاء استشاريين ، وعشرة أعضاء مصوتين ، وهو يوافق على القوانين العامة والكتب المقررة ، ويسعى لإدخال الإصلاحات الجديدة والتوسع في نظام التعليم ، ويعد قوة ثابتة في وجه التيارات المتطرفة أو الرجعية .

ويرجع تاريخ التعليم في إيران إلى عهد بعيد جدا ؛ ففي العصر الألفيني كان الشباب لا يتعلمون الركوب والرمية بالقوس فحسب ، بل كانوا يتعلمون أيضا قيمة الصدق ، والتمييز بين الخير والشر . وبعد الفتح الإسلامي واعتناق الديانة الإسلامية ، كان التعليم يقوم على أساس القرآن ؛ كما كان التعليم في أوروبا يقوم على أساس الإنجيل ، فظل شيوخ المسلمين يعلمون قرونا عديدة في مقابل مبلغ قليل من المال يؤخذ من الوالدين ، وفي المدارس التي تسمى «المكاتب» . يستظهر الأطفال القرآن عن طريق ترتيل آياته في مجموعات ، ويتعلمون قراءة الفارسية وكتابتها ، ومبادئ علم الحساب ، وكانت توجد — أيضا — عدة مدارس دينية كبيرة ، وهي شيء أشبه بالجامعات الدينية الغربية ، حيث يجتمع الطلاب الكبار حول الرجال الذين يعينون للتدريس لهم ، ويدرسون موضوعات ؛ كتفسير القرآن ، والتعاليم الدينية ، والفلسفة الدينية ، ولم تكن هناك امتحانات رسمية ، كما لم يكن هناك مكان مخصص للفتيات في هذا النظام من التعليم ، وقد أفسحت المدارس الدينية والمدارس العالية مجالا كبيرا للتعليم الديني ، غير أنها كانت تؤدي وظيفتها — خصوصا في المدن الصغيرة والقرى — لتخريج رجال الدين . ويوجد الآن ٢,٣٩٧ مكتب تضم ٥١,٩٢٢ تلميذ ، و ١٣٨ مدرسة دينية عالية يؤمها ١,٣٤١ طالب .

وقد أنشئت علاقات وثيقة مع عدد من الدول الأوروبية في أوائل القرن السابع عشر؛ ومنذ ذلك الوقت، أخذت العناية بالأفكار الأجنبية، واللغات، وأنسلوب الحياة تزداد في إيران، وبلغت هذه العناية أوجها بحيث أدت — في القرن التاسع عشر — إلى إنشاء مدارس تسير على نمط المدارس الغربية، وقد أسست إحدى هذه المدارس وهي «دار الفنون»، في طهران في عام ١٨٥٢. وكانت في البداية تعمل على التخصص في الموضوعات العسكرية، ولكن سرعان ما توسعت بعد ذلك في الفنون الحرة، وأدت خدمات فعالة في تعليم شباب الأسر الناهية.

وقد أنشئت أول وزارة للتربية والتعليم في عام ١٨٥٥؛ ولكن وجود النظام الأساسي للتعليم في الوقت الحاضر يرجع تاريخه إلى عام ١٨٩٧، حينما أنشئ «مجلس التعليم» في الوقت الذي استقر الرأي فيه على اتخاذ النظام الفرنسي في التعليم كنموذج يحتذى، ولا زال هذا النظام قائماً، وهو يؤكد ضرورة إعطاء أكبر كمية ممكنة من المعلومات، وتوجه المدارس التي تديرها البعثة الأمريكية American presbyterian Mission اهتماماً كبيراً إلى الأساليب الأمريكية في التعليم، وقد فتحت أول مدرسة تابعة لهذه الإرسالية في عام ١٨٣٦، في مدينة رضائية، وفي أوائل القرن العشرين وجدت مدارس أمريكية وإنجليزية وألمانية وفرنسية وروسية في أجزاء مختلفة من البلاد، وفي عام ١٩٤٠ أديرت هذه المدارس بواسطة الحكومة الإيرانية.

والدراسة في إيران تتطلب نفس عدد السنوات اللازمة للدراسة في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعة في بلادنا (أمريكا)، ولكن التقسيم قبل المرحلة الجامعية مختلف بعض الشيء؛ فالمدارس الابتدائية بالمجان، ويوجد منها ١٧٧٩ مدرسة تضم ٨٠٧٧ مدرساً و٢٦٣,٧٥٨ تلميذاً، والدراسة فيها إجبارية، ويدخلها الأطفال في سن السابعة، ويواصلون الدراسة فيها ست سنوات، وفي سنوات الدراسة الأولى يجلس الأطفال والبنات في فصول واحدة، ولكنهم بعد ذلك يجلسون في فصول منفصلة، ويدرس كل فريق في مدرسة خاصة. وتخصص

أغلب حصص الدراسة في البداية لدراسة اللغة الفارسية والعادات والأخلاق والألعاب الرياضية والحساب، ثم تزداد مواد الدراسة بعد ذلك إلى ثلاث عشرة مادة وتكون موضوعاتها هي نفس الموضوعات التي تدرس في المدارس الأمريكية، ويستفيد التلميذ في سنوات الدراسة الأولى من كتب المطالعة استفادة واسعة، ويضم كتاب المطالعة الجزء الثاني، — الآن — مواد قصيرة عن العناية أثناء السير في الشوارع، وحين ملء المصباح بالغاز، وعند اللعب بالقرب من حافة الحوض الذي في وسط فناء المنزل، وقصصا عن الحيوانات، ودروسا في الجغرافية والحيوانات والنباتات، ودروسا في حفظ النظافة، والمساعدات المنزلية، وقصصا مبسطة مستمدة من التاريخ الفارسي والشعر الفارسي. ويشتمل كتاب المطالعة المخصص لسنوات الدراسة المتقدمة على مجموعة من الشعر أكثر من الموجودة في كتب المطالعة الأمريكية.

ومدة الدراسة في المدارس الثانوية ست سنوات وهي ليست إجبارية وليست بالمجان، ويدخلها التلاميذ عادة في سن الثالثة عشرة، وفي نهاية السنة الثالثة من الدراسة يوجد امتحان عام، وقرب انتهاء مرحلة الدراسة، يمكن للطلبة أن يستعدوا لدراسات أوسع بالتخصص في الأدب أو الرياضة أو العلوم التجارية، أو العلوم الطبيعية، وتدرس سبعة عشر موضوعا، ويخصص لكل موضوع من ساعة إلى أربع ساعات أسبوعيا، وتدرس اللغة العربية بتعمق — من بين اللغات الأجنبية — لأنها لغة القرآن، أما اللغة الفرنسية التي كانت في وقت من الأوقات اللغة الأجنبية الأكثر ذيو عاف قد حلت محلها — في السنوات الأخيرة — اللغة الإنجليزية، وتوجد ٤٥٥ مدرسة ثانوية تضم ١٧٤١ مدرسا، و٢٦,٨٠٨ تلاميذ.

وقد أنشئت جامعة طهران في عام ١٩٤٣، ويديرها مجلس الجامعة، مستقلا عن وزارة التربية والتعليم، وهي تضم الآن ست كليات أو مدارس عالية. والتعليم فيها مشترك وهي كليات: المعقول والمنقول (العلوم الدينية)، والطب وطب الأسنان والصيدلة، والطب البيطري، والحقوق والعلوم السياسية، والعلوم

الاقتصادية ، والآداب والعلوم الطبيعية والرياضيات ، والهندسة ، وهناك مدرسة أخرى ملحقة بالجامعة هي مدرسة الفنون الجميلة وقد تلقى كثير من أساتذة هذه الكليات دراساتهم العليا في الجامعات الأمريكية أو الأوروبية ، ومستوى التدريس وتحصيل العلم فيها مرتفع ارتفاعا مناسباً .

وتشرف وزارة التربية والتعليم على مدرسة التمريض ، ومدرسة الموسيقى التي يرجى منها الكثير ، كما توجد مدارس صناعية وتجارية في مستوى المرحلة الثانوية ، وإحدى هذه المدارس مدرسة للصناعة ، تمرن التلاميذ على صناعة نسج السجاد .

ويعتبر إعداد المدرسين أهم نواحي أعمال وزارة التربية والتعليم ، وينبغي على مدرسي التعليم الابتدائي أن يدرسوا ثلاث سنوات في مدرسة ثانوية يلتحقون بعدها بأحد معاهد التربية الابتدائية ليحصلوا بعد دراسة سنتين على شهادة تخول لهم حق التدريس في المدارس الابتدائية ؛ فإذا أرادوا أن يدرسوا في المدارس الثانوية ، فإن عليهم أن يلتحقوا بمعهد التربية للمعلمين ليحصلوا على شهادة أخرى في التربية من هذا المعهد .

وبعد عام ١٩٢٦ ، أخذت الحكومة الإيرانية تختار كل عام مائة طالب تقريباً ، ثم ترسلهم إلى أوروبا أو الولايات المتحدة ، وقد أصبح هؤلاء رواداً للتعليم — بعد عودتهم إلى إيران — واحتلوا الوظائف الحكومية المرموقة ، وكانت الحاجة ماسة إليهم بعد خبرتهم الفنية .

ومن الطريف أن نسجل أن الإيرانيين منحوا موهبة خاصة في تعلم اللغات ، لأن الطلاب الإيرانيين في الخارج كانت ألسنتهم تنطلق دائماً ببلغة البلاد التي يدرسون فيها بفصاحة تامة .

وكانت إحدى نواحي سياسة التربية والتعليم الأساسية في خلال العشرين سنة الأخيرة تشجيع النشاط الجماعي ، ويتمتع الإيرانيون بشخصيات فردية قوية ، ولم تكن هناك تنظيمات يستطيع الطلاب والفتيات أن يمارسوا فيها نشاطهم أو يقوموا فيها بأعمال نافعة فعالة إلى أن أشرفت الحكومة على حركة

الكشافة ، وأحضرت رائدا من الولايات المتحدة لتدريب التلاميذ ، فلم يلبث أن تمتع بحب التلاميذ بدرجة كبيرة ، وكانت ملابس الكشافة هي نفس الملابس التي يرتديها الكشافة الأمريكيون ، وقد أعطيت عناية خاصة للنظافة ، والكشف ، والألعاب الرياضية ، وفقدت هذه الحركة كثيرا من قوتها بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، ولكنها بدأت — الآن — في استعادة قوتها من جديد ؛ وقد شجعت المدارس أيضا الرياضة ويسرت سبلها ، وهي تقيم في كل عام مهرجانا رياضيا يشترك فيه أحسن الرياضيين من كل جزء من أجزاء البلاد ، وقد كان ملك إيران الحالي من كبار الرواد المتحمسين للحركة الكشفية قبل أن يلى العرش وهو شخصا من أكبر الرعاة للرياضة كما أنه لاعب تنس ممتاز جدا ، وأفضل لعبة محببة لدى الناس وأوسعها انتشارا نوع من لعبة كرة القدم يسمى (Soccer)^(١) وتعد في المدارس ساحات اللعب ، وتزاول فيها الألعاب الجماعية . والمصارعة منتشرة ، ولكن الملاكمة أقل انتشارا ، ولا تلعب في إيران كرة القدم ، والباسبول الأمريكية ، ولكن تلعب فيها كرة السلة بمهارة ، ومن الألعاب الرياضية الأخرى التي لا تشرف عليها المدارس مباشرة : التزحلق على الجليد ، والتنس ، والبنج بنج ، والتدحرج على العجلات .

وتوجد حلقات كثيرة لهذا النوع من التدحرج في طهران ، تؤمها مجموعات كبيرة من الناس .

ومن السهل جدا أن تلاحظ أن نظام التعليم في الوقت الحاضر في إيران معد بطريقة تجعله أفضل للبدن والبلاد منه لمجتمعات القرى الصغيرة ، فمثلا المادة الموجودة في كتب المطالعة المدرسية تعد قليلة الفائدة للأطفال القرويين ، وقد اعتقد المسؤولون من رجال التعليم الإيرانيين أن المدارس الموجودة في القرى يجب أن تكون وثيقة الصلة بحياة الناس ، وأن المدرسين الذين يقومون بالتدريس فيها يجب أن يكونوا من نفس الوسط الذي يدرسون فيه وأن برنامج الدراسة في هذه المدارس يجب أن يهدف إلى تحسين وسائل الزراعة

(١) نوع من كرة القدم تضرب فيه الكرة بالرأس والجسم والقدمين (المترجم) .

والأحوال الصحية ؛ ولا توجد في الوقت الحاضر إلا مدرسة واحدة لكل ثمانى أو عشر قرى حتى في المناطق الآهلة بالسكان ، ولذلك فإن نسبة صغيرة من الأطفال القرويين هي التي تتمتع بمزايا التعليم .

وقد اقترح التقدميون من الإيرانيين بأن حل مشاكل التعليم الريفي ، وانتشار الجهل وانعدام الاتحاد بين المواطنين يتيسر بإيجاد نظام شامل للتعليم . وفي عام ١٩٤٣ أجاز البرلمان قانونا يفرض التعليم الإجبارى بالمجان لمدة معينة على كل طفل إيراني ، وهذا القانون يتطلب جهودا كبيرة ، وإنشاء آلاف من أبنية المدارس الجديدة ، ولم تعتمد المبالغ التي تكفل وضع هذا القانون موضع التنفيذ حتى الآن ؛ ولكن المشكلة الرئيسية ليست مشكلة الاعتمادات اللازمة وإنما هي مشكلة إعداد المدرسين اللازمين .

وقد استطاعت المدارس الأمريكية التي تشرف عليها البعثة الأمريكية التي تشرف على مدارس الإرساليات الأجنبية تدريب آلاف من الإيرانيين على النظام ، والخدمة العامة ، والخلق . وقد افتتحت المدرسة الأولى في رضائية (التي سميت بعد ذلك أورمية) في عام ١٩٣٦ . ثم افتتحت مدارس أخرى على نطاق واسع في المنطقة المجاورة لها ، يؤمها الآشوريون والآرمن بكثرة ، ثم أسس الأمريكيون — بالتدريج — مدارس للتلاميذ الأكبر سنا من البنين والبنات في المدن الأخرى ، فأما عدد كبير من الإيرانيين في إقبال متزايد ، وقد شيدت مدرسة للبنين في همدان في عام ١٨٧٠ ، وأخرى للبنات بعد ذلك بأثنتي عشرة سنة ، كما افتتحت مدرسة للبنين في طهران في عام ١٨٧٣ ، وأخرى للبنات في العام التالي ، وافتتحت المدارس في الوقت نفسه في تبريز ، وأنشئت مدرسة كبيرة في رشت ، ثم توزعت — في عام ١٩٠٧ — في مدارس مستقلة للبنين والبنات ، وقد افتتحت آخر مدرسة أمريكية في مشهد في عام ١٩٢٦ . وبدأت المدارس بفصول قليلة للتعليم الابتدائي ، ثم توسعت بحيث أصبحت تشتمل على برنامج كامل لكل من البنين والبنات يمتد من مرحلة رياض الأطفال إلى مرحلة التعليم الجامعي ، وبلغ عدد البنين الذين يدرسون في المدارس الأمريكية

— فى عام ١٩٢٣ — ١٧٠٨ تليذ؁ بينما كان عذء البنات ١٣٤٦ بنت ؛ أى أن عذء الجنسبن كان يزىء على ثلاثة آلاف؁ وقء تسلبت كلية ألبرز فى طهران — وهى اللى كانت المءرسة الأمريكية العليا للبنبن — براءة مؤقتة — فى عام ١٩٣٢ — من مجلس جامعة ولاية نىويورك؁ وأصبءت هذه البراءة دائمة فى عام ١٩٣٢؁ وكان نشر هذا النظام هو الشغل الشاغل لناظر المءرسة صمويل مارتن جورءان (Samuel Martin Jordan) منذ ءولى نظارتها فى عام ١٨٩٩؁ ثم فى أثناء مءة عماءته لها — حينما أصبحت كلية — إلى أن اعءزل الءءمة فى عام ١٩٤٠؁ وكان ءقءىر أهل إيران له وحسن إظهارهم لهذا ءقءىر نءبجة طبعبة لءبهم له . وقء عاد آرءرس بوىس (Arthur C. Boyce) الذى اشءرك مع الءكءور جورءان فى هذا المشروع من إيران أخبرا بعء ءءمة اسءمرت سنبن طوالا فى هذه البلاد .

كما اسءعت — فى الوقت نفسه — كلية البنات الأمريكية (Sage College)؁ وهى اللى كانت فى الأصل مءرسة نوربءخش للفتبات؁ وقء اسءولء الءكومة الإيرانية على جمبع المدارس الأجنبية فى عام ١٩٤٠ .

وزارة الزراعة :

ءنقسم وزارة الزراعة إلى الأقسام الفنية الآءة :

- ١ — الءىوان العام للءقارىر والحساباء والءفءبش .
- ٢ — مكءب ففى لءراسة البنجر؁ وقصب السكر؁ والزهور؁ والخضراواء؁ والغاباء؁ والطب الببىطرى؁ وءناسل الءىوانات؁ وإنشاء الخزاناء ومشروعات الرى؁ وللصناعاء الزراعية .
- ٣ — مكءب ففى آءر للءجارب الزراعية؁ وفءص البءور والأبءاء .
- ٤ — إءارة المعاهء وهى ءشمل : مءرسة زراعية ءانوبة؁ وكلبة للزراعة فى كرج؁ ومعها للصل فى حصارك؁ ومءرسة لءناسل الءىوان فى ءىءر آباء اشرفء على ءطعمب بمءوعة كببرة من الءىوانات فى جمبع أنباء البلاد؁

وإدارة للتأجير في كرج ، ومشروع لإبادة الحشرات في كرج .
وتدرس المدرسة الزراعية ، وكلية الزراعة في كرج للطلاب برنامجا كاملا ،
كما تهيئ لهم تمرينا عمليا كافيا في الحقل والبستان والحديقة ، ولكن أكثر
طلبتها ينتمون إلى طهران والمدن الأخرى ، ولذلك فإن القليل منهم هم الذين
يجدون لذة — بعد التخرج — في العمل في المجتمعات الزراعية الصغيرة .

والأعمال الأساسية للوزارة هي تحسين أنواع الحبوب والحشائش وطرق
إنتاجها ، وتقديم النصائح الزراعية للمتخصصين والزراع ، وتوسيع رقعة الأراضي
المروية ، وقد وجدت الإدارة الخاصة بهذه الأعمال في صورة وزارة مستقلة
لمدة سنوات قليلة فقط ، ولكنها صرفت جل اهتمامها في الأبحاث النظرية
والدراسات الإحصائية ، ووجهت عناية قليلة للاتصال المباشر بالبيئات
الزراعية ، وتعد أعمالها المنشورة عن مصادر الثروة الزراعية في كل قسم من
أقسام البلاد الأسس الثابتة لنشاط عملي أكثر .

وفي عام ١٩٤٣ ؛ اتخذت خطوة هامة إلى الأمام وذلك بإنشاء إدارة للرى
كقسم مستقل عن الوزارة وكانت ذات ميزانية مستقلة ، قدرت في الأصل
بأكثر من مليون دولار سنويا ، ومنذ عام ١٩٤١ إلى عام ١٩٤٦ استخدمت
الحكومة الإيرانية أمريكيا يدعى الأستاذ ل. م. ونسور (L. M. Winsor)
وجعلته مستشارا لها في مشروعات الرى ، وكانت له خبرة بأعمال الرى في غربي
الولايات المتحدة لمدة سنوات عديدة . وسوف تنفذ مشروعات مد المدن
بالمياه النقية بعد أن تيسر الاعتمادات اللازمة لذلك . وقد حفر بئر ارتوازي
بالقرب من طهران ، كما قوبل بإمكان حفر آبار أخرى في أجزاء مختلفة من البلاد
بحماس كبير .

وفي عام ١٩٤٥ ، تم مسح الأرض في إيران بواسطة مؤسسة الشرق الأدنى
(Near East Foundation) ، وهي مؤسسة أمريكية اضطلعت منذ الحرب
العالمية الأولى بمشروعات المساعدات العامة ، والتعليم الريفي والتدريب الزراعي
في الدول التي تقع في النصف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، وقد نفذ

المشروع الإيراني للمؤسسة برغبة شديدة ، ورعاية تامة من الحكومة الإيرانية ، وتم تنفيذه في المدة ما بين ١٩٤٦ و ١٩٤٨ تحت الادارة المباشرة للدكتور ليل ج . هيدن Dr. Lyle J. Hayden والزارع إللينوى برد Illinois-bred ، والمدرّب كورنيل تريند Cornell trained ، وأخذت هيئة موظفيها تعمل بمعاونة كل من وزارتي الزراعة والتربية والتعليم ، وكان هدفها رفع مستوى التعليم ، والصحة العامة ، وطرق الزراعة والإنتاج في عدد من القرى المختارة تتخذ كمعمل للتجارب ، ثم تطبق نتائج هذه التجارب في بقية أجزاء البلاد .

وزارة الصحة :

وزارة الصحة هي آخر الفروع الحكومية التي أصبحت وزارة مستقلة ، وأحرزت نجاحا كبيرا في معالجة مشكلات الصحة العامة منذ عام ١٩٣٥ ، ولكن هناك أعمالا كثيرة أخرى ما زالت تحتاج إلى أداء . وإن انتشار الداء والمرض ليرجعان إلى قلة التغذية وانخفاض مستوى السكن والمعيشة ، وينبغي أن تقوى مصارعة المرض بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التي سوف تساعد على رفع المستوى العام للمعيشة .

ويندر أن توجد الكوليرا في إيران ، وقد انتشر التيفوس في السنوات الأخيرة ، ولكن قوانين الحجر الصحي الدقيقة — في كل مناسبة — كانت تحصر هذه الحالات ، ويوجد في البلاد نوع مؤذ من الجدري بطريقة وبائية ، وكانت في وقت من الأوقات تعد خطرا حقيقيا ، ولكن تطعيم الأطفال — في المدارس — والبالغين قد أثبت أنه فعال جدا في محاربة هذا المرض ، والأمراض التناسلية جميعها مألوفة جدا في البلاد رغم أن أنواع المرض تبدو أقل أضرارا وإبادة من الأنواع الموجودة في الدول الغربية .

والرمد الحبيبي منتشر على نطاق واسع ، كما أن الدمامل منتشرة أيضا ، هذا إلى جانب الدمامل المتقيحة التي تسببها لدغات الحشرات المرعبة الموجودة في الرمال ، وهي تترك غالبا أثرا واضحا .

كما تنتشر الأمراض التي تسبب عن الماء والطعام ، مثل حمى التيفود ،

والدوسنطاريا الاميبية ولكن أضرارها أقل بكثير مما كان يتوقع ، لأنه يبدو أن عند الناس مناعة — إلى حد ما — ضد إصاباتهما .

والتدرون الرئوى يصيب كلا من الفلاحين وأهل المدن ، ولم يعرف إلا أخيرا أن الملاريا هي سبب الحيات التي تنهك قوى نسبة كبيرة من السكان ، وقد عرفت الملاريا بانتشارها على طول الشريط الساحلى الرطب لبحر قزوين غير أنه قد تأكد أخيرا أن الناموس الذى ينقل عدوى الملاريا يعيش أيضا فى القمم المرتفعة ذات الجو الجاف فى الهضبة الإيرانية .

ونسبة عدد الوفيات بين الأطفال كبيرة فى كل من القرى والمدن ، ومتوسط عدد أفراد الأسرة خمسة أشخاص ، وتفقد كل أسرة تقريبا واحدا من أطفالها على الأقل فى سن مبكرة ، وقد قررت المصادر الموثوق بها أن الحالة الصحية العامة بين السكان القرويين سيئة ، ولكن بعض الدارسين يعتقدون أن مثل هذه التقارير مبالغ فيها .

وتحاول إدارة الخدمات الطبية بالوزارة أن تقاوم المرض ، وتحول دون انتشاره ، وقد أفلحت الحملات الأخيرة التى قام بها رجال الصحة فى عربات مجهزة بآلات الرش فى تطهير كثير من المناطق من ناموسة الملاريا ، ولكن القضاء على الميكروبات الموجودة فى المياه مشكلة أكثر صعوبة ، لأن المدن والبلاد والقرى تفتقر جميعها إلى أنابيب للمياه ، ونظام للصرف .

وتشتمل مدينة برجند على أنابيب للمياه ، كما تشتمل مدينة مشهد على هذه الأنابيب فى جزء منها ، وهناك كثير من مجارى المياه يزمع إنشاءؤها فى المدن الأخرى . وقد درست مشروعات كثيرة حديثة لإنشاء شبكة لأنابيب المياه فى طهران دراسة تفصيلية ، ومن المتوقع أن تبدأ الأعمال الإنشائية فى المستقبل القريب^(١) وليس من المحتمل أن يتم إنشاء شبكة للصرف قريبا ، ويعد جو إيران الحار الجاف عاملا ملطفا يعين على منع انتشار العدوى .

(١) كان هذا وقت تأليف الكتاب ، وقد تم إنشاء هذه الشبكة الآن (المترجم) .

وتدير هيئة علمية ممتازة معهد باستير في طهران ، وقد أسس في عام ١٩٢١ ، وأدى خدمات عامة فعالة في دراسة الأمراض المحلية ، وتحضير حقن وأمصال ضد الجدري ، وحمى التيفويد ثم ضد التيفوس في السنوات الأخيرة . وقد أنشأت الحكومة المستشفيات منذ عام ١٩٣٠ ، وتشتمل طهران على عدة مستشفيات كبيرة جدا ، أكبرها وأحدثها مستشفى يسمى « مستشفى الألف سرير » (١) كما توجد أيضا مستشفيات خاصة بالسيدات في طهران ، وتحتوى أغلب المدن الكبيرة على مستشفيات حكومية ؛ ومستشفى مشهد — على وجه الخصوص — حسن الإعداد والإدارة ، كما تشرف الحكومة على عيادات طبية حرة في المدن ، وقد حاولت فتح مثل هذه العيادات في القرى الزراعية ، ولكن قلة الممرضات ، وعدم رغبة الأطباء المهرة في المعيشة في القرى إلى جانب قلة الاعتمادات المالية ، قد عرقلت تنفيذ هذا المشروع . والواقع أن حيطان العيادات الطبية المبيضة في القرى ، ومداخلها النظيفة الخالية من القذارة تعطى درسا عمليا في الوقاية من أسباب المرض في حياة الناس الشخصية والمنزلية ، ولا يتعصب القرويون ضد وسائل العلاج الحديثة ، ولذلك فهم يهرعون إلى العيادات الطبية ، وقد أنشأت الحكومة مصحة للتدرن الرئوى في منطقة عالية عن طهران ، في ساحات أحد القصور الملكية ومبانيه التي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر .

وتشرف الحكومة على المعهد الأقرباذينى الذى أنشئ حديثا ، وهو الذى يستورد الأدوية والمستحضرات الطبية ، ويتولى توزيعها على الجمهور بأسعار منخفضة ، ويشرف على الإنتاج المحلى لبعض المستحضرات الطبية .

ويشرف الأطباء الخصوصيون — الذين تلقوا تحصيلاتهم في الخارج ، أو أخذوا درجاتهم العلمية من كلية الطب بجامعة طهران — على مستشفياتهم وعياداتهم الخاصة ، وبين هذه المستشفيات عدد من مستشفيات النساء والأطفال .

(١) يسمى هذا المستشفى بالفارسية « بیمارستان هزار تختخوابى » (المترجم) .

وقد أدت المستشفيات التي يملكها الأجانب ويقومون بإدارتها خدمات جليلة لأهل إيران ، فمنذ مدة طويلة أنشأ مجلس البعثة الأمريكية الذي يشرف على الإرساليات الأجنبية مستشفيات في شمالي البلاد ، وقام بإدارتها ، ومرن فيها كلا من الأطباء والمرضات ، وحاول في الوقت نفسه أن يستأصل من نفوس الناس الاعتقاد السائد بأن التريض ليس عملاً محترماً ، ثم طلبت الحكومة الإيرانية من المستشفيات الأمريكية أن تؤسس أولى مدارس التريض التي تتولى الحكومة الإشراف عليها وإعاتها ، وتفتح المستشفيات الأمريكية أبوابها في كرمانشاه ، وهمدان ، ومشهد ، وتبريز ولكن المستشفى الكبير في طهران مغلق بسبب قلة الأشخاص اللازمين له ، وتشرف بعثة إنجليزية على مستشفى في إصفهان ، وتنهض بالأعمال الطبية في شيراز وكرمان ، وتقوم روسيا السوفيتية — الآن — بإنشاء مستشفى صغير في تبريز ، وآخر أكبر في طهران وهو مجهز بعناية فائقة ولكن أسعاره أغلى بكثير من أسعار المستشفيات الحكومية أو مستشفيات الإرساليات الأجنبية الأخرى .

وتشغيل الأطفال منظم بواسطة قانون ، ولكنه منتشر فعلاً ، خصوصاً في صناعة نسج السجاد ، حيث تفيد الأيدي الصغيرة في ربط العقد ، كما أن الضغط الاقتصادي في الحياة القروية يجبر الأطفال على المساهمة في حمل نصيبهم من أعباء الحياة ، وذلك بزراعة الحبوب أو رعي الأغنام ، ونظراً لأن هذا النوع من العمل يعد مضرًا للنمو الصحي للأطفال ، فإن وزارة العمل التي أنشئت حديثاً تفكر في وضع التشريعات اللازمة لذلك ، وتنفيذها بدقة .

وقد أدى إدمان تدخين الأفيون منذ عدد كبير من السنين إلى تقويض صحة كثير من الإيرانيين بينما يسر للمدمنين هرباً سهلاً من العناية المميتة . كما أدى استعماله المستمر إلى القضاء على النشاط ، والرغبة في العمل ، هذا فضلاً عن أن ثمن الأفيون قد أزهق دخل الأفراد المحدود ، بحيث أصبح استعماله من وجهة النظر الاقتصادية يهدد بكارثة ، وليس هناك من شك في أن القضاء على هذا الإدمان سوف يصبح أمراً صعباً للغاية ، ولكن ينبغي على الحكومة الإيرانية

أن تثبت أنها أكثر جدية في تحريم زراعة الخشخاش، ومنع تدخين الأفيون، كما أن جمعية محاربة تدخين الأفيون التي كانت نشيطة منذ عدة سنوات يجب أن تضاعف نشاطها في هذا العمل في المستقبل القريب^(١).

وزارة الاقتصاد الوطني :

في يونيو من عام ١٩٤٧؛ قرر مجلس الوزراء إنشاء وزارة للاقتصاد الوطني تضم كل إدارات وزارة التجارة والصناعة والمناجم وأقسامها التي أنشئت منذ زمن طويل، وصدق البرلمان على المشروع بعد ذلك.

وقد خصصت اعتمادات عامة لإرساء قواعد السياسة الاقتصادية للحكومة، وهي كالآتي: الإشراف على التجارة الخارجية ومراقبتها، والإشراف على الصناعات والمناجم المملوكة ملكا خاصا، وتنفيذ مشروع السنوات السبع للإصلاح الاقتصادي وتعمير البلاد، والإشراف على مراقبات النقد الداخلية، وتحسين الزراعة، وطرق المواصلات، كما أن الفنون والحرف تتبع هذه الوزارة، وقد بذلت الوزارة جهدا أكيدا في اجتذاب الرجال ذوي التجربة الواسعة، والخبرة الفنية المعروفة لتولى عدد من المناصب الرفيعة ذات المسؤولية. وتشرف إدارة المناجم على استغلال هذه المناجم المؤجرة للشركات المحلية، وتقوم بمعاينة الموارد المعدنية في البلاد، وتعد خرائط عن مواقع المناجم والتكوينات الجيولوجية.

ونشاط إدارة الفنون والحرف له أهمية خاصة، فقد بذلت محاولات لإحياء بعض الصناعات اليدوية القديمة وتحسين كمية إنتاج الحرف الحمالية ونوعها، وتشرف الإدارة على مدرسة عليا في طهران ومدارس فرعية في مشهد، وتبريز، وإصفهان، وشيراز، وشاهي، وهي تشرف أيضا على مدرسة الفنون الجميلة في طهران التي كانت في وقت من الأوقات تحت إدارة أحد كبار نقاشي الصور الصغيرة (المنمنمات)، كما توجد مدرسة للصباغة، ومدرسة حرف يدوية للبنات، يدرّب فيها الطلبة على نقش الصور الصغيرة، ورسم السجاد ونسجه، وصناعة الفخار

(١) حرمت الحكومة الإيرانية أخيرا زراعة الأفيون وتعاطيه والاتجار فيه. (الترجم)

والآجر ، ونحت الخشب ، ونسج القماش الحريري المشجر ، وأشغال الفضة والترصيع ، وطبع النقوش على الأقمشة بواسطة النماذج الخشبية ، وتهدف هذه المدرسة إلى إقامة مستوى عال للمهارة الفنية ، وأن تعيد للرسم ذوقه الذاتي الجميل كما كان في الماضي ، وهو الطابع الذي فقد أغلبه في أواخر القرن التاسع عشر نتيجة لظهور المنتجات الآلية الأوروبية وهي أقل مرتبة وروعة .

وزارة المواصلات :

أهم الأجهزة التي تديرها وزارة المواصلات : السكك الحديدية للحكومة الإيرانية التي يشرف عليها شباب ذوو خبرة في شؤون السكك الحديدية ، وقد تعاون هؤلاء بإخلاص في أثناء الحرب مع القوات الإنجليزية الروسية الأمريكية المتحالفة ، وكانت كل قوة من هذه القوات تشرف على جزء من الخطوط الحديدية ، وقد تعلمت الهيئة الإيرانية الكثير من النظم الغربية خلال اتصالها المستمر بهذه القوات . وكانت الإدارة تصدر مجلة أسبوعية شاملة تناقش بدقة المشاكل التي تتصل بالعمل ، كما كانت تحاط أولاً بأول بمدى التطور في تأسيس الخطوط الحديدية وترقية نظمها وذلك عن طريق إرسال كبار موظفيها إلى الخارج للقيام بدراسات واسعة عميقة ، وبعد نهاية الحرب ؛ أصبحت هيئة السكك الحديدية للحكومة الإيرانية تمتلك القطارات ، وعربات الشحن ، والأدوات الميكانيكية ، والمعدات من جميع الأنواع ، وقد اشترت الحكومة الإيرانية هذه الأشياء من الجيش الأمريكي .

ومشاكل إدارة خطوط السكك الحديدية في إيران كثيرة وصعبة ، فمثلاً كل الدعامات ينبغي أن تأتي من الساحل القزويني مخترقة الجبال العالية ، ويجب أن توجد ماكينات سحب المياه — في كل منطقة فيها مياه — وأن تكون في حالة جيدة تسمح لها بالعمل ، كما أن القضبان تستورد من الخارج ، ولما كان الخط الحديدي كله انفرادياً ، فإن جداول سير القطارات يجب أن تصمم بدقة ، وأن يحافظ على المواعيد . وليس مقدار البضائع ، وعدد المسافرين كبيرين في الوقت الحاضر للموازنة بين الإيرادات والمصروفات .

والوزارة مسئولة عن توسيع شبكة الخطوط الحديدية، وإدارتها وتوسيع الطرق والممرات الجبلية وتنظيفها، وقد تم تشييد كل من الخطوط الحديدية، والطرق عن طريق العقود المبرمة مع الشركات الخاصة، ولكن صيانة الطرق وإدارتها في جميع أنحاء البلاد موكولتان للوظائف الحكوميين، وجميع الطرق الرئيسية والطرق الفرعية مرصوفة بالحصى على قاعدة من الحجارة المسحوقة، والأدوات المستعملة في تحطيم الأحجار هي الآلات أو الأيدي وتساعد أعمال تنظيف الطرق — التي تقوم بها جماعات العمال المحليين من القرى في نوبات مختلفة على طول هذه الطرق — على تيسير حركة المرور، وتقليل الخسائر، لأنها تضع طبقة جديدة من الحصى على سطح هذه الطرق، وإذا حفظت الطرق التي من هذا النوع بهذه الطريقة فإنها تستطيع أن تتحمل سيارات النقل الثقيلة، وسيارات الركاب التي تستطيع قطعها في وقت مناسب.

وقبل الحرب؛ كانت للوزارة وصلات قصيرة مرصوفة من الممرات الجبلية، وكان للجالس البلدية طرقها الخاصة المرصوفة، وقد رصفت القوات المتحالفة أميالا من الطرق في أثناء الحرب، وأبرمت الحكومة عقوداً لرصف الممرات الجبلية المهمة، وليس من المحتمل أن تستعمل الخرسانة في رصف الممرات الجبلية لأن الأسفلت متيسر فعلا، ويمكن أن يوضع على القاعدة المتينة الموجودة، في حين أن الاسمنت ليس نادرا فحسب بل يتطلب قاعدة خاصة، هذا فضلا عن تكاليف الآلات الباهظة وكميات المياه الكبيرة اللازمة في مثل هذه الحالة.

وزارة البريد والمسرة والبرق:

تخضع نظم البريد والبرق (التلغراف) والمسرة (التليفون) في إيران لإدارة الوزارة المباشرة، وتشرف الوزارة على المدارس الخاصة بهذا النوع من التعليم التي تخرج العمال والفنيين اللازمين لهذه الأعمال.

وقد أدخل أول نظام للبريد — تقليدا للنظم الموجودة في البلاد الأوروبية — في عام ١٨٦٥؛ وأصبحت إيران عضوا في اتحاد البريد العالمي في عام ١٨٧٧،

وينقل البريد داخل البلاد عامة بالسيارات وعربات النقل، كما يوجد بريد جوى داخلى بين طهران والخليج الفارسى، وأجور النقل الداخلية على البريد — حتى بالطائرة — أقل بكثير منها فى الولايات المتحدة .

وقد أنشئ أول خط للبرق فى إيران فى عام ١٨٥٩ ، وفى ذلك الوقت كانت الحكومة البريطانية مياالة جدا إلى إنشاء اتصال برقى على طول الطرق من أوروبا إلى الهند عن طريق الشرق الأدنى ؛ وفى عام ١٨٦٤ وما بعده منحت شركة البرق الهندو — أوروبية (Indo — European Telegraph Company) الحق فى إنشاء خطوط للبرق عبر إيران بشرط أن تعمل داخليا كما تعمل خارجيا ، وقد دخلت هذه الخطوط إيران من الغرب وتفرعت فى نقطة فى وسط الهضبة ، تخرج فرع منها ليتصل بالشبكة الرئيسية عند بوشهر على الخليج الفارسى ، ويواصل الخط الآخر سيره فوق سطح الأرض عبر بلوخرستان إلى الهند ، وقد أنشأت إيران خطوطا إضافية ملكا لها بعد ذلك بكثير ، وأخيرا وافقت بريطانيا العظمى — فى عام ١٩٣٢ — على تسليم خطوط الشركة الهندية الأوروبية للحكومة الإيرانية ، ويوجد فى الوقت الحاضر حوالى ٢٥,٠٠٠ ميل من أسلاك البرق ، تعمل فى داخل البلاد .

وقد أقيمت محطتان للإذاعة فى تبريز وطهران ، عدا محطات الإرسال التى يملكها الجيش الإيرانى ويديرها ، والمحطة التى تملكها الحكومة فى طهران مقامة فى مبنى حديث للغاية ، وهى مجهزة تجهيزا جيدا ، وتدير المراسلات التجارية مع الدول الأجنبية عن طريق الاتصال المباشر بواسطة أسلاك للإرسال والاستقبال مقامة فى أوروبا والولايات المتحدة ، والقوة الموصلة مناسبة لإقامة اتصال دائم فى الظروف الجوية المختلفة .

ويذيع راديو طهران أيضا برامج عامة على الموجة القصيرة وموجات الإذاعة المتوسطة ، وتبدأ الإذاعة كل يوم فى حوالى السادسة صباحا ببرنامج غير عادى يجمع بين التمرينات الرياضية الغربية وبين دقائق الطبول وغناء الأشعار الحماسية التى تناسب حلقات المصارعة ، وتستمر المحطة فى الإذاعة

بعد الظهر حتى العاشرة مساء تقريبا ، والبرامج المثالية فيها هي الموسيقى والأغاني الغربية والإيرانية المسجلة ، وبرامج الأطفال ، وقرارات من الأدب والشعر ، ونشرات الأخبار بالإنجليزية والفرنسية ، والروسية والعربية إلى جانب النشرة الفارسية ، والأحاديث عن الحوادث الجارية ، والموضوعات التي تشغل الرأي العام ، وتعجب الذوق العام .

وتوجد أجهزة الاستقبال قليلة نسبيا ، تقدر بثلاثين ألفا ، مستعملة الآن في إيران ، ويرجع السبب في هذا — أصلا — إلى ارتفاع أثمان أغلب الأجهزة المستوردة ، وإن كان هناك ميل حقيقي عام إلى الإستماع إلى برامج الراديو . وتتابع الصحافة الإيرانية الأخبار التي تذيعها وكالات الأنباء الأجنبية حتى يستطيع القارئ العادي أن يتابع الأحداث العالمية ، ويسمع راديو طهران في جميع أنحاء البلاد ، بينما تسمع محطات مصر ، وتركيا والهند وأوروبا بوضوح في داخل إيران ، ومنذ مارس ١٩٤٩ ؛ يذيع صوت أمريكا كل يوم برامج بالفارسية موجهة إلى إيران .

وتدار شبكة التليفونات بواسطة شركة خاصة بامتياز خاص من الحكومة ، ويوجد حوالي ١٥,٠٠٠ تليفون منها ٦,٠٠٠ في سنترال طهران الأوتوماتيكي . وتدار الخطوط بين المدن بعناية ، كما أن أسعارها منخفضة .

وزارة العمل :

في ١٨ مايو ١٩٤٦ ؛ أقر مجلس الوزراء قانونا شاملا للعمل يهدف إلى مواجهة المطالب الملحة التي تقتضيها الظروف الحديثة ، ولم تكن في إيران أية لائحة للعمل قبل أن يوضع هذا القانون موضع التنفيذ ، ولم تكن هناك شروط ملائمة لتمثيل إيران في منظمات العمل الدولية ، وكان هذا القانون ضروريا جدا لأن قوانين العمل في إيران كانت مخالفة للقواعد الموجودة في الدول الأخرى ، وقد نظمت المواد السبع والأربعون الواردة في هذا القانون ساعات العمل ، والأجور ، والإجازات ، ودفع الأجور في الإجازات ، والعمل بواسطة النساء والأطفال ، ونصت على العقود التي تبرم بين صاحب العمل والموظفين ،

والتأمين على صحة العمال، وعلى إدارة لتشغيل العاطلين، واتحادات للعمال، ومكاتب للصالح وتسوية المشاكل وديا، وجمعيات للادخار، كما نصت على التأمين الاجتماعى.

وفى ١٠ أغسطس ١٩٤٦؛ أنشئت وزارة للعمل بقرار من مجلس الوزراء، ووكّل إليها تطبيق قانون العمل. وتتكون هذه الوزارة — التى وافق البرلمان على إنشائها فى دورته الخامسة عشرة — من قسم إدارى وثلاثة أقسام فنية تشمل العمل، والنشر والدعاية، والإصلاحات والإنشاء. وينقسم الجزء المهم الخاص بالعمل إلى مكاتب مستقلة تعالج الموضوعات التى حددها قانون العمل، ومكتب خاص بالعلاقات الدولية الخاصة بالعمل. وقد اشترك ممثلو إيران — فعلا — فى مؤتمرات العمل الدولية.

وكانت إحدى الخطوات الأولى التى اتخذتها الوزارة الجديدة إصدار قانون يقضى بزيادة أنصبة الفلاحين الذين يعملون فى الحقول التى يملكها الآخرون على أن تكون بمعدل ١٥٪ ابتداء من محصول عام ١٩٤٦.

الفصل التاسع

الشعب

السكان:

يقدر إحصاء قامت به الحكومة — حديثا — عدد سكان إيران بـ ١٦,٥٥٠,٠٠٠ نسمة^(١) منهم حوالي مليونين من القبائل الرحل أو نصف المستوطنة ، ويوجد حوالي ثلاثة ملايين فقط يسكنون المدن التي يزيد عدد سكان كل منها على عشرين ألف ساكن ، ويبلغ عدد سكان طهران العاصمة ٧٥٠,٠٠٠ نسمة^(٢) بينما يبلغ عدد سكان تبريز ومشهد وإصفهان حوالي ٢٠٠,٠٠٠ نسمة^(٣) ، أما باقي السكان فمن الفلاحين ، وهم يسكنون في ٤١,٠٠٠ قرية يبلغ عدد منازل كل منها خمسة عشر منزلا أو أكثر .

ومتوسط كثافة السكان في إيران عشرين نسمة لكل ميل مربع ؛ بينما يصل المتوسط في الولايات المتحدة إلى خمسة وأربعين شخصا للميل المربع ، ويبلغ متوسط كثافة السكان في صحارى إيران الكبيرة والجزء الجنوبي الشرقي أقل من عشرة أشخاص في الميل المربع ، ويصل هذا العدد في القسم الشمالي الغربي ، وعلى طول الساحل القزويني ، إلى مائة نسمة للميل المربع . وقد تعرض سكان البلاد لانقراض شديد في القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ، ولكنهم الآن في ازدياد مطرد وقد كانت هناك حركة هجرة كبيرة من القرى إلى المراكز الصناعية الجديدة ، وقد تضاعف عدد سكان طهران في خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة .

(١) كان هذا وقت تأليف الكتاب أما الآن فقد قدر الإحصاء الذي أجرى في العام الماضي السكان بأكثر من سبعة وعشرين مليونا . (المترجم)

(٢) يقدر عدد سكان طهران وفقا للإحصاء الأخير بما يقرب من مليونين نسمة (المترجم)

(٣) يزيد عدد سكان هذه المدن في الإحصاء الأخير عن هذا الرقم كثيرا . (المترجم)

وينحدر سكان إيران من جماعة الآريين القدماء الذين وفدوا إلى إيران منذ القدم ، في الألف سنة الثانية قبل الميلاد ، ولا يعرف إلا القليل عن سكان إيران قبل الآريين ، وهم الذين يذكرون باسم القزوينيين أو القوقازيين ، ولكن ليس هناك من شك في أنهم تزاجوا مع الآريين واندمجوا فيهم ، وقد دخل كثير من القبائل العربية البلاد خلال القرن السابع بعد الميلاد ، واستقرت في الشمال الشرقي وفي شرقي البلاد ، كما أن القبائل التركية أو التورانية هاجرت إلى إيران في أعداد كبيرة في المدة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، وقد جعلت القبائل الرحل المسائل التي تتعلق بالجنس واللغة معقدة ، فبعضهم يمكن أن نرجح أنهم كانوا يقيمون في إيران منذ عدة قرون ؛ معتمدين على ما يدل عليه التكوين الطبيعي لرؤوسهم (من الناحية الأثروبولوجية) . والآخرون قد جاءوا إلى البلاد في خلال العهد الإسلامي ، ولا يزال البعض يهاجرون أو ينتقلون من جهة في البلاد إلى جهة أخرى ، وبعض هذه الجماعات يتكلم لغات يبدو أنها مقتبسة لأنها لا تتفق مع جنسها الأصلي .

ويتكلم جميع سكان المدن والجماعات الزراعية اللغة الفارسية ، وعددهم يتراوح بين نصف مجموع السكان وثلثيهم . ويتكلم خمس السكان لغة تركية تسمى « الآذرية » ، وهم يسكنون الإقليم الشمالي الغربي من آذربيجان ، وينتشرون بعد ذلك نحو الجنوب في صورة مثلث كبير ، وهي لغة ذات قواعد يسيرة ، تضم كثيرا من الكلمات الفارسية ، وقد تلقن عدد كبير من هؤلاء اللغة التي أعقبت الغزو المغولي أو وجدت بعد ذلك في عصور متأخرة ، ويبدو من الصعب أن تضع خطا يفصل بين العناصر التركية ، والعناصر الإيرانية التي تتكلم الآن اللغة الآذرية ، غير أنه من المحقق أن العنصر التركي يتألف من الأتراك الإيرانيين الذين انحدروا من آسيا الوسطى ، وتربط بينهم وبين الأتراك العثمانيين القاطنين في الجمهورية التركية الحديثة قرابة يسيرة من ناحية الجنس .

ولذلك فإن سكان إيران يمثلون مجموعة الطوائف التي هاجرت إلى هذه البلاد ، وبقايا الغزوات المتلاحقة ، ولكن بينهم — في الوقت نفسه — من

التجانس أكثر مما بين السكان في البلاد الأخرى التي تساوى مساحتها مساحة إيران ، كما يوجد أيضا أساس للاتحاد الوطني ، والوعي القومي في المجتمع الإيراني المتماثل المترابط بفضل اتباع المذهب الشيعي ، وهذا الشعور له تأثير كبير في الأدب الفارسي ، وفي الحضارة والعادات والتقاليد ، وفي أسلوب الحياة في إيران .

و ٩٨٪ من السكان مسلمون ، و ٩٣٪ من هذا العدد شيعة ، و ٧٪ من السننيين ، وينتشر المذهب السني بقوة بين الأكراد ، وتوجد جماعات من الأقليات قليلة نسبيا ؛ وقد كان الإيرانيون دائما متسامحين ، فلم يظهروا نحو الأقليات من الأجناس أو الأديان إلا تعصبا وتمييزا قليلا إذا ما قيسا بالأمم الأخرى ، ويوجد في الشمال الغربي من إيران ٥٠.٠٠٠ أرمني ، وهم — أيضا — تجار أغنياء في المدن الكبيرة ، كما يوجد ٣٠.٠٠٠ من النصاري النسطوريين ، ويقطن اليهود في المدن الكبيرة ، وفي بعض الجماعات الزراعية القديمة ، كما توجد في إيران — أيضا — آلاف قليلة من البروتستانت والكاثوليك ، وتوجد مستعمرات من البارسيين ، وهم الإيرانيون الذين مازالوا يدينون بالدين الزردشي ؛ وهم يقيمون في يزد وكرمان ، وفي مجموعات قليلة في طهران وإصفهان وشيراز ، وهم مشهورون كأصحاب بساتين وتجار .

والإيرانيون سمر ، ذوو شعر بني غامق ، أو أسود ، وعيون بنية غامقة ، وهم ذوو طول متوسط وبنية متوسطة ، ويتدرج لون البشرة بين البياض الناصع والسمرة ، ولونهم العام شبيه بلون الإيطاليين أو اليونانيين .

القبائل البدوية

أهم الجماعات القبلية المشهورة في إيران : الكرد ، واللور ، والبختيارية ، والقشقائية ، والشاهسوانية ، والعرب ، والبلوجية . وقد مالت بعض القبائل ومن بينهم الكرد والعرب إلى الحياة الزراعية المستقرة ، ولكن البدو الحقيقيين مازالوا يلتزمون حياة الرعي ، ويقيمون اقتصادياتهم على القطعان الكبيرة من الغنم والماعز ، ويتكلم الكرد واللور والبختيارية لهجات يبدو أنها مشتقة من

الفارسية القديمة ، أو من أية لغة هندو — أوروبية قديمة أخرى ، ولا يزال العرب القاطنون إلى الشمال من رأس الخليج الفارسي يتكلمون اللغة العربية ، ويتكلم القشقائيون في الجنوب الغربي ، وجزء من طائفة الخمسة — من جيران القشقائيين — والشاهسون طهجة من اللغة التركية ، بينما يتكلم البلوجيون في جنوب شرقي إيران طهجة من اللغة الفارسية . ويعد هؤلاء البدوهم ومجموعات أخرى أقل منهم عددا العنصر الوحيد الجدير بالتصوير من بين سكان إيران ، وهم يمثلون أروع نموذج لقوة الأجسام والشجاعة ، وهم دائما يغذون الجيش الإيراني بأقوى رجاله ، ويعدون عموده الفقري ، وقد انحدرت كثير من الأسر الحاكمة من رجال القبائل المحاربين .

وفي فصل المطر ، تتحرك القبائل البدوية إلى السهول المنخفضة الدافئة بالقرب من حدود العراق ، أو على سواحل الخليج الفارسي ، لتزرع الحبوب وفي الربيع ، يهاجر أفرادها مرة أخرى إلى السهول المرتفعة حيث تستطيع ماشيتهم أن تجد مرعى طيبا طوال فصل الصيف ، ويتركون خلفهم بعض أفراد القبيلة لحصد المحصول . وقد تمتد الهجرات الموسمية إلى مسافة تزيد على مائتي ميل وقد تستغرق أسابيع ، ويمكن أن يحدد معدل التحرك بنسبة التحرك البطيء لقطعان الغنم والماعز التي يسوقها الرجال والصبية أمامهم ، بينما تتركب النساء والأطفال فوق الرحال في وضع قلق على ظهور الخيول والجمال ، وتنصب الخيام كل ليلة على طول جوانب الطريق ، ويستطيع الزائرون لإيران رؤية هذه القبائل في وقت هجراتها فقط ، لأن مراكز إقامتها في الصيف والشتاء بعيدة عن الممرات الجبلية التي يمر منها الزائرون .

وتكون عدة مجموعات أو عشائر من عائلة واحدة قبيلة صغيرة أو قبيلة كبيرة ، ويؤدي هذا بدوره إلى إيجاد مقاطعة مستقلة أحيانا مثل « البختيارية » التي تضم جماعات « هفت لنك^(١) » و « جهار لنك^(٢) » ، الكبيرة ، وللقبائل قانون خاص بها ، وهي تحكم حكما مطلقا بواسطة زعمائها المنتخبين أو الذين يرثون

(١) « هفت لنك » كلمتان فارسيتان معناهما : « العشائر السبع » . (المترجم)

(٢) « جهار لنك » كلمتان فارسيتان معناهما : « العشائر الأربع » . (المترجم)

الزعامة بالوراثة ، ويسمى كل منهم « خان »^(١) ، وكثير منهم رجال ذوو ثقافة ممتازة ، فبعض زعماء القبائل في الوقت الحاضر قد تلقوا تحصيلاتهم في أوروبا ، بينما درس بعضهم الآخر في كلية ألبرز بطهران ، وهم يمتلكون عادة منازل في المدن أو في أراضي القبيلة ، ولكنهم يمضون كثيرا من أوقاتهم في الخيام بين الجماعات القبلية .

ويقضى أفراد القبائل حياتهم العائلية في الخيام السوداء المصنوعة من شعر الماعز الذي تغزله نساء القبيلة ، وتقوم حيطانها الجانبية العمودية ، وسقفها المنحدر قليلا على قوائم سمكة ، ويمكن أن تنصب الخيمة أو تطوى في وقت قصير حتى يسهل نقلها من مكان إلى آخر ، ويكون أثاث الخيام بسيطا للغاية ؛ فتفرش الأرض عادة بالسجاد الذي تنسجه النساء ، أو بواسطة فرش سمكة من اللباد ، وتكوم البطانيات بجوار إحدى الجوانب ، بينما توضع بجوار الجوانب الأخرى الأواني النحاسية والقرب المملوءة بالسوائل ، والجرار الخزفية ، والجوالات المملوءة بالحبوب ، كما يوضع عادة صندوق خشبي للملابس .

وتعد قطعان الماشية عماد الحياة القبلية ؛ فهي التي تمنح اللبن ، والزبد ، واللبن ، وتستخدم أصوافها للنسوجات القبلية بينما تباع الحيوانات وأصوافها في المدن ، وتشتمل أراضي القبيلة — التي تشغلها في الصيف غالبا — على البساتين والحدائق المملوءة بأشجار البندق التي تضيف جزءا آخر إلى الدخل النقدي للقبيلة . وتحرق جذور شجر البلوط للحصول على الفحم النباتي الذي يباع في المدن ، وتستعمل القبائل العملة النقدية في شراء الأشياء التي لا تنتجها القبيلة مثل السكر والشاي والمنسوجات القطنية والأسلحة والذخائر ، والجواهر التي تطلب أفئدة النساء وهي تشتمل عادة على الخواتم ، والنقود الفضية والذهبية القديمة ، وتمثل جميع الثروة التي تتجمع لدى أفراد الأسرة . ومن الممتلكات الأخرى القيمة في القبيلة قطعان الخيل ، والبنادق ، ويجيد الرجال إصابة الهدف ، وهم يخشون جدا بأسلحتهم .

(١) « خان » بمعنى رئيس القبيلة أو الوالي . (المترجم)

ويقوم الرجال بالصيد ، ورعى قطعان الماشية والخيول ، وتجمع النساء الوقود ، ويحملن جرار الماء ، ويقمن بالطبخ ، والحياكة ، والنسج ، ويعد تعدد الزوجات قليلا نسبيا في القبائل ، كما أن النساء غير محجبات ، وتتركز الحياة الاجتماعية في القبيلة حول خيمة الضيافة التي يقيمها زعيم القبيلة ، وهناك تؤدي الرقصات القبلية على نغمات الناي والطبل المثيرة ، وتغنى الأغاني ، وتروى القصص ، والأخبار ، وتبادل الأحاديث والإشاعات ، ويدعى الأصدقاء والأجانب إلى رحاب الضيافة السخية في خيمة الضيوف ، وتعين حدود القبيلة بعناية تامة ، وقد أوشكت المنازعات الداخلية في القبيلة والحروب بين القبائل على الانتهاء في السنوات الأخيرة .

وقد تقوم القبائل أحيانا ببعض أعمال قطع الطريق في الممرات الجبلية ، ولكن هذه الأشياء تعد نوعا من التسلية أكثر منها عملا ثابتا رتبيا .

والمعروف عن القبائل يعد قليلا نسبيا ، وقد كانت العناية قديما تنحصر في تحديد الأسماء الصحيحة لكل قبيلة ، أو بطن من قبيلة أو عشيرة ، وفي تقدير عددها . ولكن هذه المحاولات نفسها لم تكن ناجحة تماما ، لأن تقدير مجموع أفراد القبائل بمليونين ليس إلا تقديرا تقريبيا ، وقد بذلت عناية ضئيلة لدراسة معتقدات القبائل الدينية وقصصها الشعبية ، وخرافاتها ، وأغانها ، وتفاصيل أساليبها في الحياة ، وهي العادات الآخذة في التطور أو الاختفاء ، كما يختلف كل قديم في إيران ويعطى مكانه للجديد ، ورغم هذا فإن مجموعة صغيرة من أغاني هذه القبائل وقصصها قد جمعت وطبعت في طهران ، كما أن المتحف الأتوغرافي في طهران يشتمل على عدد من الحجرات المخصصة للحضارة القبلية ، وقد نصبت فيها الخيام ، ووضع فيها الآثار بصورة معبرة ؛ وهي تضم تماثيل للرجال والنساء بملابسهم العادية ، وبملابسهم الثمينة الزاهية التي تلبس في الأفراح وفي أيام الأعياد .

وبين الجماعات القبلية ، والسكان المستقرين نوع من الشك المتبادل ، وقد حاولت الحكومة المركزية في العهود القديمة ، كسر شوكة القبائل المسلحة

بتحويل جماعات بأكملها إلى الأراضى البعيدة من المواطن التى ألفت الإقامة فيها ، كما تخمد ثورات القبائل فى الوقت الحاضر بعنف ، وتبذل محاولات لإسكان البدو فى القرى التى بنيت حديثاً .

ومسألة الحياة القبلية ذات أهمية حيوية بالنسبة لإيران الحديثة ؛ لأنه لا يستطيع شعب أن يتحد اتحاداً حقيقياً ، ما دام ثمنه يعيش على انفراد عن باقى الشعب ، هذا من ناحية ، كما أنه لا يبدو أن إسكان القبائل فى القرى يعد حلاً مناسباً لهذه المسألة من ناحية أخرى ؛ لأن البدو لن يكونوا مستريحين سعداء منتجين ، وهم يعيشون هذا النوع الغريب عن طبيعتهم ، من الحياة فى القرى ، والواقع أن السبب الرئيسى للحياة البدوية إنما هو النقص الشديد فى الأراضى الزراعية الصالحة ، ولن توجد الأراضى الكافية لمعيشة البدو إلا بعد أن تعالج هذه الحالة بإيجاد مشروعات للرى ، وتوجد اقتراحات فى الوقت الحاضر تدعو إلى منح القبائل نوعاً من التمثيل فى البرلمان ، وإيجاد إدارة حكومية خاصة تهتم بالمسائل القبلية ؛ كما يبدو منطقياً — أيضاً — وجوب تقديم نوع من المساعدات للبدو لتحسين ما شئتهم من حيث الكم والكيف لرفع المستوى العام للمعيشة فى بلاد يحتاج الناس فيها إلى مزيد من اللبن واللحم والصوف .

القرى والحياة القروية :

توجد الجماعات الزراعية العديدة فى إيران حيثما وجد الماء الذى يستعمل فى أغراض الشرب والرى ، وأينما وجدت الأرض الصالحة لزراعة الحبوب ، وتتجمع القرى حول موارد المياه فى الأقاليم التى تكون هذه الموارد بعيدة فيها ، ثم تأخذ هذه القرى فى الاتساع والرواج ، أما فى الأجزاء التى توجد فيها مجارى ونبابيع وقنوات تخترق الجبال ، فإن المزارع الصغيرة تتناثر على مسافات تتراوح بين ميلين أو ثلاثة أميال فقط ، وتزين صفحة المنظر العام ؛ ويستطيع المسافر فى الطرق الرئيسية أن يرى الكثير من مثل هذه القرى ، ولكن العدد الأكبر منها يختفى فى الوديان الجبلية البعيدة ، كما يستطيع أن يرى القرى الخربة والمهجورة ، ويرى آثار الانهيار الاقتصادى ، الذى أوقف فى السنوات العشر الأخيرة فقط .

وتوجد على سواحل بحر قزوين منازل متباعدة مقامة في وسط الحقول ،
أما في جميع أجزاء البلاد الأخرى ، فيعيش الفلاحون في مستعمرات مكتظة
مزدحمة ، ويعملون في الحقول التي قد تقع على مسافة كبيرة من القرى ، وكانت
جميع القرى مصانة من عصابات قطاع الطريق بأسوار عالية من اللبن تخترقها
بوابة واحدة ؛ وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد قريب ، غير أن هذه الأسوار
ليست ضرورية في الوقت الحاضر ؛ فقلما ترى قائمة في حالة جيدة . وتوجد
في كل قرية شبكة غير منظمة من الأزقة الضيقة التي ترصف أحيانا بالحصباء ،
ويوجد عادة شارع رئيسي ، تجرى في محاذاته قناة الماء التي تعد الشيء الذي
لا غنى عنه لحياة القرية ، كما يوجد عادة ميدان فسيح في كل قرية ، وهو عبارة
عن مساحة مفتوحة مستديرة استدارة غير منتظمة ، تظللها أشجار ضخمة ، ويقع
في مواجهتها مسجد القرية ، أو قبة قبر أحد الأولياء المحليين ، وتوجد — في حافة
القرية دائما — الأرض التي تذر الجاعة فيها محصول الحبوب .

وتقع على جوانب الأزقة الضيقة حيطان عالية من الطين تخترقها أبواب
مزدوجة تؤدي إلى فناء كل منزل ، ويشتمل الفناء المثالي للمنزل على بعض
الأشجار والأزهار ، وحوض يملأ بين الحين والحين من القناة التي تمر عبر القرية ،
وهو يمد السكان بالماء اللازم في جميع أغراض المعيشة ما عدا ماء الشرب .
وتبنى بيوت القرية باللبن ، ويختلف طراز البناء باختلاف الأقاليم ؛ ففي المناطق
التي يكثر فيها الخشب تصنع أسقف البيوت من دعائم خشبية متعارضة ومن
حصير من القش وتكون مسطحة عادة ، وتسوى بعد كل مطر بواسطة أسطوانة
حجرية توضع على سطح المنزل لاستعمالها في هذا الغرض ، وتسمى " الأسقف
المسطحة مكانا رطبا تستطيع الأسرة أن تنام فيه في أثناء أشهر الصيف ،
وفي أجزاء أخرى من البلاد ؛ تسقف المنازل بواسطة عقود مقببة أو قباب من
اللبن ينشئها البنائون المحليون ، ويتخذون في بنائها الطريقة القديمة فيبنونها ،
دون عماد تستند إليه .

وتشغل المنازل عادة جانبا صغيرا من الفناء ، ويشتمل كل منها على ثلاث
حجرات أو أربع ، ولكن المنازل الكبيرة تشغل جانبين أو ثلاثة من الفناء ،

وتتجه المنازل نحو الجنوب حتى يمكن لأشعة الشمس الدافئة أن تصل إلى الحجرات مباشرة في فصل الشتاء ، وتوجد سدة على الأبواب لتحجب أشعة الشمس الحارة في فصل الصيف ، حتى تظل الحجرات ممتعة بالظل طوال النهار في أثناء أشهر الحرارة . وتشتمل أحسن المنازل على حجرة استقبال ، أو حجرة للجلوس يمكن أن تعرض فيها جميع شؤون الأسرة المهمة ، ويغطى السجاد — المنسوج محليا — الأرض ، وتوضع الألففة والحشيات والوسادات بعناية في تجويف في الحائط ؛ ويوضع مصباح غازي في مشكاة أخرى ، وتوجد دائما مرآة معلقة على الحائط ؛ كما توضع لوحات فيها صفحات كتب عليها موضوعات دينية ، أو صور ملونة من المجلات الإيرانية والأوروبية ؛ ولا توجد كراسي أو مناضد أو أى أمتعة أخرى من أمتعة الأسرة ، وفي أوقات الطعام تفرش قطعة من القماش على الأرض ، ويجتمع رجال الأسرة حول الطعام الذي يوضع في أطباق أو على صينية نحاسية كبيرة ، وفي وقت النوم تبسط الحشيات والمفارش ، ويأخذ كل واحد مكانه في ساعة مبكرة .

وتشتمل المنازل الكبيرة على حجرة مقببة في أسفل الجزء الرئيسي من البناء يظل هواؤها رطبا محببا حتى في أواسط الصيف ، ويوجد في فناء المنزل تنور مبنى من الآجر تخبز فيه نساء القرية أرغفة الخبز بالطريقة الإيرانية الخاصة — ويتم فيها الطبخ في الأواني النحاسية فوق مواقد بها فحم حجري ، وفي ركن من الفناء توجد ترتيبات صحية يسيرة ، وهى تشبه ما يرتب خارج البيوت في البلاد الأخرى ، وإذا كان لدى الأسرة ثوران أو حمار فإن هذه الحيوانات توضع في جزء مستقل من الفناء ؛ وفي بعض الأقاليم يخصص الطابق الأول جميعه للحيوانات المستعملة في الزراعة ، ويكون الطابق الثانى مخصصا لحياة الأسرة .

وتشتمل كل قرية على حمام ، ويضم بناء الحمام — الذى ينشأ بأموال مالكة — مجموعة من الحجرات تكون غالبا تحت الأرض ، وتبرز فتحاتها الزجاجية المتلاثة فوق سطح الأرض ، ويشرف على الحمام رجل يكلف بنظافته ، وبملاحظة توفير الماء الساخن فيه في أثناء ساعات محددة كل أسبوع ،

ويستطيع القرويون أن يستحموا في الساعات التي يفضلونها ، ويحاول كل منهم أن يعين خادم الحمام بالهبات من القمح أو القش أو الوقود أو الفواكه .
كما تشتمل كل قرية عادة على طاحون ، ويقوم محرك مائي فيها بإدارة حجر كبير فوق حجر ثابت ، ويطحن الطحان القمح والشعير للجماعة في مقابل الحصول على جزء من الدقيق من كل قروي ؛ والمخازن والمدارس أقل ذيوعا في القرى من الحمامات والمطاحن ؛ وقد يوجد دكان صغير في كل سبع قرى أو ثمانى قرى وتنحصر مواد تجارته في : السكر ، والشاي ، والطباق ، والأرز ، والتوابل ، والخيط ، والإبر ، والمسامير ، والملح ، وأدوات الصباغة ، والمنسوجات القطنية ، والكبريت ، والبترو ، وزجاجات المصابيح ، وما شابهها من الأشياء ، ولا توجد المدارس الابتدائية أو المكاتب إلا في كل قرية من بين خمس وعشرين ، أو ثلاثين قرية ؛ والمشاكل الأساسية التي تعترض نشر نظام التعليم العام في القرى هي :

(أولا) إن متوسط عدد الأسر في القرية قليل ، مما يجعل مساعدة الأطفال في زراعة الحقول ضرورة اقتصادية .

(ثانيا) إن منهج الدراسة العام في المدارس المدنية قليل الصلة بالحياة في الجماعات الزراعية . وتقوم بعض المنازل في ضواحي القرى الكبيرة وسط البساتين والحدائق التي تشتمل على شجر الجوز ، ثم تبدأ الأرض الزراعية خلف أسوار القرية مباشرة ، ويحتفظ القرويون بأغنامهم وماعزهم الخاصة ، ويضمونها في الصيف في صورة قطع للقرية كلها ، يرسلونه إلى الجبال للرعى في حراسة شباب القرية ، وأغلب الغنم له ذيول تتفاوت في السمن بحيث يبدو منظرها مضحكا إذا شوهدت لأول مرة ، وقد روى مسافر قديم إلى إيران قصة جديرة بالتصديق إذ يقول : « إن الأغنام ضخمة ضخامة عجيبة ، تجر وراءها ذيولا يبلغ وزن كل منها ثلاثين رطلا من الدهن ؛ وقد تكون في كثير من الأحيان عوائق للأغنام ؛ فإذا لم تخصص عربات صغيرة لحملها ، فإن الأغنام قد تتدحرج على الأرض وتجرح نفسها كلها مرت على حجر حاد أو مكان خشن من الأرض . »

والغذاء الرئيسى لأهل القرية هو الخبز وقد كان ثمن الرطل منه — فى عام ١٩٤٧ — ٣,٥ سنت^(١)؛ أو الأرز، تبعا للجزء الذى توجد فيه هذه القرى من البلاد، واللبن الرائب «ماست»، والجبن والزبد المصفى (السمن)، وينضم إلى غذائهم البسيط أحيانا البيض وصغار الدجاج وقليل من لحم الغنم، والبصل، والخيار، والفجل، والبطيخ، والفواكه، والبندق، والشاي، وإذا مخض اللبن الرائب بشيء من الزبد فإنه يكون شرابا وطنيا يسمى «دوغ» (اللبن الحامض) وقد تستدعى بعض المناسبات إعداد أطعمة أكثر تنميكا على نسق الأطعمة التى تعد — عادة — لدى سكان المدن.

وقد يلبس الفلاحون بعض نماذج معدلة من الزي الأوروبى، ولكن الزي الوطنى يتكون من قميص من القطن، وسراويل سوداء قاتمة أو زرقاء من القطن، وسترة زرقاء طويلة من القطن، وهو زي يلبس بينهم عامة، وتلبس النساء سراويل سوداء — تضيق عند كعوبهن — وقيصا، ويلفن أجسامهن بملاءة من قماش قطنى، وتغطى هذه الملاءة الرأس فتصير غطاء للرأس وحجابا فى وقت واحد، رغم أن نساء القرية لم يكن محبيات تماما كما كانت نساء المدن، ويوجد تقسيم طبيعى للعمل، فالرجال يزرعون فى الحقول، بينما تعنى النساء بشئون المنازل ونسج السجاد، ويرتب الزواج بين رؤساء الأسر، وتعد حفلات الزواج من أبهج المناسبات فى حياة القرية، ويقدم العريس المهر نقدا أو جنسا، وتقوم أسرة العروس بإعداد الألففة والملابس ومعدات المنزل الأخرى البسيطة.

وإن الفضائل الطبيعية والأخلاق التى يتمتع بها سكان القرى لجديرة بالامتداح إلى حد كبير، فلهيهم ذكاء فطرى حاد، وميل طبيعى إلى الفكاهة، وشغف عظيم بالعالم الذى حولهم؛ وهم كرماء إلى حد كبير، ميالون إلى الصداقة والمعاشرة وهم يضعون مواردهم اليسيرة تحت تصرف ضيوفهم المكرميين؛ وحياة القرية منظمة جدا، ومعظم المشاجرات بين الأفراد تنحصر فى المناقشات الحامية، بينما تحل المسائل المهمة بواسطة عمدة القرية، ولا توجد إلا سرقات قليلة داخل

(١) ٣,٥ سنت تساوى فى ذلك الوقت سبعة مليات بالعملة المصرية . (الترجم)

القرى ، كما لا توجد أية رذيلة من الرذائل التي توجد في الحياة المدنية . ويبدو أن العامل الهدام في حياة القرية هو الإدمان على تدخين الأفيون ، وقد كان الأفيون وسيلة للتخلص من المجهود اليومي الشاق ، غير أنه كان يعد أكثر أهمية — في نظرهم — لتسكين آلام المرض ؛ لأن العلاج الطبي — من أى نوع كان — لم يكن متيسرا لهم .

وليس للقرويين إلا اتصال محدود بالعالم الخارجى عنهم ، حينما يسافر الرجال إلى المدن الكبيرة بأحمال القش والوقود ، والفواكه والخضر ، أو حينما تذهب الأسرة — في أحيان قليلة — إلى المدينة لتشتري ما يلزمها من الأسواق .

وقد وضعت فصائل صغيرة من قوات الأمن التابعة للحكومة في قرى معينة ، وهى تقوم بأعمال العسس وحفظ النظام وتضمن جمع الضرائب ، ولكن الفروى العادى عامة يشعر أنه لا يستفيد كثيرا من الحكومة في طهران .

ولا يوجد تمييز — في الحياة القروية — بين ساعات العمل وساعات الراحة والتسلية ، ولا يوجد أى تنظيم للاستفادة من أوقات الفراغ كما يوجد في الدول الغربية ، والحقيقة أنه يوجد وقت قليل للفراغ ، اللهم إلا إذا استثنينا فصل الشتاء . وتعد الأحاديث أهم وسيلة للتسلية والاستجمام ، وذلك حينما تجتمع طائفة من الرجال لاحتساء الشاي ، فيتحدثون عن الأحوال الجوية ويتبادلون الأخبار والأفكار ، وتساعد هذه الاجتماعات على تخليد القصص ، والأغنيات والأهازيج الموجودة في الإقليم ، وبقاء حب الشعر — الذى يعد إحدى الخصائص المميزة للشعب الإيراني — حيا في نفوس الناس .

البلاد والمدن والحياة المدنية :

أغلب المدن الإيرانية من النوع الذى يبلغ متوسط عدد السكان فيه ٤٠٠٠ ساكن ، وتقع المدينة على بعد حوالى ثمانين ميلا على طول الطرق الرئيسية ، وقد اختير أغلب مواقع هذه المدن في هذه الأماكن لأنها كانت في الأصل نقط تقاطع طرق التجارة الرئيسية المهمة ؛ وكان بعضها يستعمل نقط

تجمع وتوزيع الأقاليم الزراعية ، وقد اكتسبت كل من قم ومشهد أهميتها لأن كلا منهما تضم مزاراً مقدساً يحج إليه عدد كبير من الزوار ؛ وقد اشتهر عدد كبير من هذه المدن لأن كلا منها كانت عاصمة للبلاد خصوصاً في العصور الإسلامية حينما كانت العاصمة تنقل من جهة إلى أخرى ، ومن هذه المدن : إصفهان ، وسراغة ، وتبريز ، وسلطانية ، وقزوین ، ومشهد ، وشيراز ، وطهران ؛ وكانت بعض المدن مثل كرمان ويزد ودامغان مقراً لأهم الحكام المحليين .

وتعد كل مدينة شاهد صدق على برنامج الرقي والتحضر الذي تم تنفيذه في عهد رضا شاه ، فقد شقت الطرق الواسعة المستقيمة في الأحياء المزدهرة في المدة من ١٩٢٥ إلى ١٩٤٠ ، فساعدت هذه الشوارع على التخلص من التجمع الشديد في المدن ، وهيات مكاناً لإنشاء الأبنية الحديثة ، غير أن الشوارع الجديدة أذهبت بعض جمال المدينة القديم في قليل من الحالات ففي شيراز ، هدم السوق المقرب الجميل ، وخرب أحد القصور القديمة .

وتوجد في جميع المدن مدارس ابتدائية وثانوية مشيدة حديثاً ، وهي مناسبة تماماً لمواجهة الحاجات المحلية ، وتشتمل كثير من المدن على أبنية جميلة هي أبنية أفرع المصرف الأهلى الإيراني ، ومن بين الأبنية الأخرى : المستشفيات وغيرها من المباني الحكومية ، وتصطف الحوانيت في الأبنية الجديدة ، وتهدف إلى اجتذاب النشاط التجارى بعيداً عن الأسواق القديمة ، وتوجد في الأطراف مخازن بيع العلف التى أنشئت حديثاً ، ومحطة القوى الكهربية ، ومحطة تخزين البترول ، والمصانع .

وتشتمل كل مدينة — مهما كانت مساحتها — على فندق أو أكثر ، وتكون الفنادق عادة صغيرة فيها معدات ، وأثاث يسير ، وحجراتها نظيفة ، والطعام فيها بسيط ولكنه جيد ، كما يوجد مكان على الأقل مجهز بالأدوات اللازمة لإصلاح كل من سيارات الركاب وسيارات نقل البضائع ، ويكون في الوقت نفسه محطة للركاب . وفي بعض المدن ؛ توجد مباني لنزول المسافرين هي خليط من الخانات القديمة التى كانت تنزل فيها القوافل ، ومكان لإصلاح السيارات

بالطرق الفنية الحديثة ؛ ورغم أن الحوانيت تصطف على طول الشوارع فإن جزءاً كبيراً من بيع القطاعى ، وجميع البيع بالجملة يتم تقريباً فى السوق ، وتتكون السوق أساساً من شارع واحد طويل ، يتراوح عرضه بين خمسة عشر وخمسة وعشرين قدماً ، ويكون مغطى إلى نهايته بالقباب المبنية من الآجر حتى تتسنى للتجار وأصحاب الحوانيت الوقاية التامة من حرارة الشمس وأمطار الشتاء ، وهو مرصع على جانبيه بالحوانيت الصغيرة ، التى يبلغ عرضها عادة خمسة عشر قدماً ، ويبلغ طولها عشرين قدماً . وتوجد على مسافات معينة بوابات واسعة تؤدى إلى أبنية تشبه الخانات المخصصة لمبيت القوافل ، ويوجد فى كل بناء منها فناء تحيط به — من جميع جوانبه — مكاتب ومخازن ، وتكون هذه المكاتب والمخازن فى الأسواق الأكثر جمالا مغطاة بقباب من الآجر . وهذه المباني هى مقر تجار الجملة ، وتكون هذه الساحات عادة مكدسة بأكوام من السجاد والجلود ، وجلود الحيوانات ، وبالات القطن والمنسوجات ، وصناديق التوابل والبضائع الأخرى . ويقع مدخل السوق فى الميدان الرئيسى للمدينة ، وقد تواصل السوق امتدادها إلى مسافة ميل إلى أن تنتهى فى الجزء المزدحم بالسكان من المدينة ، وتسير السوق — غالباً — فى طريق ملتو ، وتشتمل الأسواق الكبرى على أفرع ثانوية موازية للشارع الرئيسى ، وفى الزوايا اليمنى له . وتتم الحوانيت بكل من البضائع المحلية والمستوردة ، وتتم المبيعات بالمساومة أكثر مما تتم بأسعار محددة ، ومع هذا فإن كلا من التاجر وصاحب الحانوت يكون ملماً بالسعر الجارى لكل صنف ، ولكن استعمال طريقة المساومة يعد أمراً مستحباً للغاية عند كل من الطرفين .

والحمامات العامة فى المدن أكثر جمالا ورونقا من الحمامات الموجودة فى القرى ؛ فبعضها قد أنشئ حديثا ، ولكن الكثير منها شيد منذ أكثر من مائة سنة ، وتنخفض الحمامات القديمة عن مستوى سطح الأرض مسافة ثلاثين قدماً حتى يتيسر للماء النقى التنظيف أن يصل من القنوات التى تحت الأرض — أو من الآبار — إلى خزانات هذه الحمامات مباشرة . وترصف

أرض الحمامات بالقرميد الملون ، ويبطن أسفل الحيطان ، بالرخام أو المرمر ،
ويطلى أعلى الحيطان وأسقف القباب بالملاط ، وتزين بالصور الملونة ، وتوجد
— عادة — بين مجموعة الحجرات المعدة لمراحل التنظيف المختلفة قاعة فسيحة
تستخدم كمكان عام للاستراحة وتبادل الأحاديث ، وهناك جمل قليلة من تقرير
— عن حمام — كتب في القرن الثامن عشر تعطى وصفا دقيقا له هي : « وتوجد
في داخل ردهة الباب مباشرة قاعة كبرى مسقوفة ، أو حجرة كبيرة جدا يخلع
الناس فيها ملابسهم ، ويتركون ملابسهم بعد خلعها ، وفي وسط هذا المكان
يوجد صهريج كبير من الماء البارد ، يخزن الماء فيه بواسطة عدة أنابيب من الماء ،
وقد صممت جميع حجرات الحمام بحيث تكون مريحة ، وبحيث يستطيع كل واحد
أن ينال ما يناسبه من درجات الحرارة ، لأن البعض يفضل الحمام الساخن ،
بينما يفضل البعض الآخر الحمام الفاتر ، ويميل فريق ثالث إلى الحمام البارد ،
وجميع الأرضية من المرمر ويصب عليها ماء أكثر سخونة ، بينما تظل النار
التي تحت سطح الأرض محتفظة بحرارتها بقدر المستطاع ، وهم يتمددون في النهاية
على هذه الأرضيات الرخامية ، حينما يشعرون أنهم مكثوا في الحمام وقتا كافيا ؛
وحينذاك يأتي الحلاقون وتكون مهمتهم أن يدلوكوا كل عضو ، وكل مفصل
في الجسم من الأمام والخلف ومن كل ناحية برشاقة وخفة ، بحيث يبدو لطيفا
أن تراهم وهم يؤدون هذا العمل ، وهم في نفس الوقت لا يتركون عضلة ولا عصباً
ولا مفصلاً سطحياً إلا جركوه ودلكوه . »

وتكاد البيوت في المراكز السكنية المزدحمة تشبه في تصميمها وإنشائها البيوت
المقامة في القرى ، أما البيوت التي يمتلكها الأغنياء فهي أكثر اتساعاً ، كما أنها
مبنية بالآجر ولكن الفناء المكشوف ، واتجاه المنزل نحو الجنوب ، ووجود
ردهة أمام الباب ، ما زالت العناصر الرئيسية في التصميم ، وتوجد أفضل
المنازل عادة في ضواحي المدينة في وسط الحدائق الواسعة ، كما توجد
بعض العمارات الكبيرة الحديثة ذات الشقق الكثيرة في مدينة طهران في
الوقت الحاضر .

ويعد لباس سكان المدن نتيجة للخطوات التي اتخذت لجعل البلاد عصرية .
وقد صدر قانون في عام ١٩٢٩ ينص على إحلال الزي في الصورة الأوروبية ،
محل الزي الفارسي القديم ، وبعد عام ١٩٣٥ ؛ أصبحت القبعات الأوروبية هي
زي الرأس المختار . ويصنع اللباس على الطريقة الأوروبية ، والمعاطف
والقبعات — من اللباد — في الحوانيت الصغيرة بأعداد وفيرة . وكانت النساء
يلبسن في المدن قبل حكم رضا شاه ملاءات من قماش أسود تسمى « جادر » ،
كانت تغطي الجسم جميعه ، وكانت تسحب فوق الرأس ، وتتخذ كالبرقع فتغطي
جميع الوجه ما عدا العينين ، وكانت النساء اللاتي ينتمين إلى الطبقة الراقية
يلبسن قبعة سوداء تبرز فوق عيونهن ، وقد ألغى الحجاب بعد عام ١٩٣٦ ،
وبقيت الرأس دون غطاء ، أو أخذت تتوج بقبعة من النوع الأوروبي .

ومنذ عام ١٩٤٢ ؛ وجد ميل نحو ملاءة من القماش القطني الملون تلتف
حول الجسم وتحمل فوق الرأس ، ولكن هذه الملاءة لا تستعمل كحجاب ،
ويوجد كثير من الخياطين والحوانيت التي تبيع ملابس النساء في المدن ، مما
يشعر بحاجة ماسة إلى مجلة للأزياء مثل Vogue وغيرها من المجلات المشابهة .

وتتمتع نساء الفرس بدرجة من الحرية والمساواة ، مازالت غير معترف بها
لشقيقاتهن في أغلب البلاد الإسلامية الأخرى ، وقد صدر قانون في عام
١٩٣١ ، جعل الزواج على أساس مدني أكثر منه على أساس ديني ، كما صدر
قانون آخر في عام ١٩٣٥ ، حدد السن الأدنى للزواج بخمس عشرة سنة
بالنسبة للفتيات ، وبثمانية عشر عاما بالنسبة للشباب ، وهناك قوانين أخرى
ما زالت تجعل للمرأة حق السيطرة على أملاكها الخاصة ؛ وما زال تعدد الزوجات
— المذكور في القرآن — موجودا في إيران ، ولكنه يحارب في العصر الحديث
بوضع العراقيل في سبيله فمثلا : لا يجوز للرجل أن يتزوج بامرأة ثانية قبل
علم الزوجتين ورضائهما معا . والواقع عمليا أن تعدد الزواج أخذ في التضاؤل ،
وهذا يرجع إلى أسباب اقتصادية من ناحية ، كما يرجع إلى تغير حالة الناس من
ناحية أخرى .

ويحظى الأطفال بحب والديهم بدرجة كبيرة تفوق حب أى شخص آخر ، ويفضل الذكور بصفة خاصة ، ولكن ليس بدرجة كبيرة جدا ، كما كانت فى العهود القديمة ، حينما كان ميلاد الأنثى يعد مناسبة للعزاء أكثر منه فرصة للتهنئة ، وقد نشأت هذه الحالة نتيجة لوضع المرأة المنحط ، اجتماعيا واقتصاديا رغم أن الإسلام قد أعطاها وضعاً أعلى كثيراً من ذى قبل ؛ لأن الذكر كان أكثر أهمية بالنسبة للأسرة إذ أنه كان يتولى — فى وقت ما — إعالتها ، ولا زالت النساء يعوذن أطفالهن من العين الشريرة والضعف والمرض بالطقوس الخرافية والسحر ، ويصبح الأولاد مستقلين ، معتمدين على أنفسهم فى سن مبكرة جدا ، فيصرون قادرين تماماً على إدارة حانوت ، أو الاشتغال فى تجارة ، أو رعى قطيع من الأغنام فى الجبال المرتفعة .

وقبل الحرب ؛ كان متوسط النفقات فى أسرة متوسطة يتوزع فى ميزانيتها كالاتى : الطعام ٥٦ ٪ ، والسكن ١٠ ٪ ، والوقود والإضاءة ٩,٦ ٪ ، والملابس ١٩,٤ ٪ والمصاريف المتنوعة ٥ ٪ .

أما الـ ٥٦ ٪ التى كانت مخصصة للطعام فكانت تصرف فى الصورة الآتية : الخبز ١٦,٥ ٪ ، والسكر ٨ ٪ والشاي ٢,٥ ٪ ، والزبد وزيت الطبخ ٥,٥ ٪ ، ولحم الضأن ٧,٥ ٪ ، ولحم صغار الدجاج ٤,٥ ٪ ، والأرز ٤ ٪ ، والخضراوات ١ ٪ ، والفواكه ٢,٥ ٪ ، والطباق ٢,٥ ٪ ، والجنين ١ ٪ ، والدقيق ٥,٥ ٪ ، والأشياء الأخرى ٥,١ ٪^(١) .

وكانت نفقات المعيشة فى إيران منذ عشر سنوات منخفضة جدا^(٢) ، غير أن الصدمة التى أصابت الحرب العالمية الثانية البلاد بها قد أدت إلى تضخم هائل فى الأسعار ؛ ارتفع إلى درجة يصعب تصديقها ، وإذا اتخذنا سنة ١٩٣٦ أساساً ، فإن تكاليف الحياة إذا وضعت فى جدول تكون فى الصورة التالية : الأشياء

(١) يبلغ مجموع هذه الأشياء ٥٧ ٪ لا ٥٦ ٪ من الدخل أى نسبة أعدها ليست صحيحة (المترجم) .

(٢) يقصد المؤلف عشر سنوات قبل تأليف الكتاب فى سنة ١٩٤٨ أى سنة ١٩٢٨ (المترجم) .

التي تساوى ١٠٠ في عام ١٩٣٦ تساوى ١٤٢ في عام ١٩٣٩ ، و ١٦١ في عام ١٩٤٠ ، و ٢٤٣ في عام ١٩٤١ ، و ٤٧٦ في عام ١٩٤٢ ، و ١٠٠٣ في عام ١٩٤٣ ، و ١٠٣٠ في عام ١٩٤٤ ، و ٨٨٢ في عام ١٩٤٥ ، و ٨٠٠ في عام ١٩٤٦ وأوائل ١٩٤٧ .

وهذه الأرقام تشير إلى نوع من المقارنة الطريفة بينها وبين أرقام نفقات المعيشة في الولايات المتحدة ؛ ففي الولايات المتحدة ، كان يقابل هذه الأرقام : ٩٩ في عام ١٩٣٦ ، و ١٠٠ في سنة ١٩٤٠ ، و ١١٦ في عام ١٩٤٢ ، و ١٢٥ في عام ١٩٣٣ ، و ١٣٩ في عام ١٩٤٦ و ١٥٣ في أوائل عام ١٩٤٧ .

و غذاء أهل المدن أكثر تنوعا إلى حد كبير من غذاء القرويين ، والأرز هو العنصر الرئيسي في كثير من الوجبات ؛ وهو يطبخ في إيران بحيث لا يكون نديا ولا لزجا بل منتشرًا جافا ، ويكون في مجموعته لذيذا ، والوصفة التالية التي تبين طريقة طبخ الأرز عند الفرس قد تكون ذات فائدة عامة ، وهي كالآتي :
غط رطلا من الأرز بالماء وضع ثلاث ملاعق كبيرة من الملح ، واغمسها فيه في الليلة السابقة لطبخه .

صف الماء ، وضع الأرز في وعاء متوسط الحجم به ماء يغلي ، وضعه فوق نار حامية ؛ وينبغي أن يكون الماء ملح المذاق بعد وضع الأرز ، وتستطيع أن تضع ملحًا أكثر إذا لزم الأمر ، ودع الماء يغلي بشدة ؛ حتى تطفو حبات الأرز إلى السطح ، وفي ذلك الوقت يكون الأرز قد طبخ غالبا ، غير أنه لا يكون قد نضج تماما .

صف الأرز بمصفاة ، واغسله بماء ساخن نقي ، وضعه في وعاء فوق نار ليست حامية ، وأضف إليه كوبين من الماء ، وثلاثة أرباع كوب من السمن ، ثم غطه ، ودعه يطبخ لمدة عشر دقائق على الأقل حتى تتكون قشرة في قاع الإناء ، وحتى تتكاثف قطرات الماء على السطح الداخلي لغطاء الوعاء .

ارفع الإناء من فوق النار ، واثقب ثلاثة ثقوب في الأرز بواسطة سكين ، واثرب فيه ثلاثة أرباع كوب من السمن ، وضع الإناء في تنور منخفض الحرارة ،

ويفضل أن تكون الحرارة في الإناء أكثر منها في أسفله ، ويمكن أن يظل الإناء في الفرن إلى الوقت المناسب لتقديم الأرز ، أى من خمس عشرة إلى ثلاثين دقيقة .

ويكفى هذا القدر طعاماً لعدد يتراوح بين أربعة وستة أشخاص ،

وحيثما يطبخ الأرز باللحم والخضر ، والتوابل يسمى « بلو » ويمكن أن تخلط أطعمة أخرى بالأرز المطبوخ ، أو أن يضاف إليه قدر من الصلصات ، ويقدم نوع منها عادة مع صغار الدجاج المحمر ، ويشتمل على اللوز والفسقنق وقشر البرتقال والبلح ، ويحتوى طبق آخر من الأرز على قطع من السمك المقلّى المقدد ، خليط من قطع البقدونس ، والكرات والشمر والكزبرة ، وهناك نوع من الصلصة الشهية المزة مصنوع من قطع كبيرة من البط ، وعصير الرمان ، ولب الجوز المطحون .

والكباب — وهو قطع من لحم الحمل المحمر على السفود — من أنواع الطعام المحببة ، لدى الإيرانيين ، كما يوجد حساء محبب يسمى « آش » يشتمل على السبانخ وأفرع نبات البنجر الخضراء ، والحمص ، والفول والعدس ، كما يحتوى غالباً على اللبن الرائب (ماست) ، كما يعد البيض المقلّى اللذيذ بحيث يشتمل على البقول والخضراوات .

وإصرار الإيرانيين على تناول الأشياء الحلوة أقل كثيراً من الإصرار الموجود في بلادنا (الولايات المتحدة) ، ولكنهم يأكلون كميات كبيرة من الفواكه في مواسمها الخاصة . والشمام والبطيخ الإيرانيان مشهوران منذ قرون عديدة ويوجد منهما عشرون نوعاً على الأقل ؛ من بينها البطيخ العادى المؤلف ، وإذا أقبل موسم الشمام فإن كل إنسان يبدأ فى أكله ، كما يثبت ذلك تقرير قديم ؛ فقد جاء فيه ما يلى : إنهم يأكلون فى ذلك الوقت ما وزنه عشرة أرطال أو اثنا عشر رطلاً يومياً ، لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع متواصلة ، ويكون سبب أكله فائدته للصحة أكثر من استساغته فى الأذواق ؛ لأنهم يعدونه منقياً للدم وملوناً له ، وبعد ظهور بشائر الشمام يتوالى ظهور الأصناف المختلفة كل يوم ؛

غير أن ما يظهر من هذه الفاكهة في النهاية أحسن مما يظهر منها أولاً ، ويكون آخره ظهوراً ذا لون أبيض ، تستطيع أن تقسم أنه ليس إلا قطعة من السكر الخالص .

وتشتهر إصفهان — خاصة — بشمامها ، ويزرع في منطقة صغيرة شمالي المدينة كثير من أنواعه اللذيذة ، وتكون لطيفة سهلة الانكسار بحيث إذا عدا فارس بجواده بجوار ثمرات الشمام فإنها تنشق وتتقطع في المزرعة .

وفي أثناء القرن السابع عشر ؛ كان الشمام يرسل طول الطريق من إيران إلى بلاط حكام الهند في أكره (Agra) فكان الرجال يحملون حباته ، فيحمل كل منهم سلتين في كل منها حبة من الشمام ، تعلقان في عريش خشبي يحمل على الكتفين ، ويسIRON ثمانين يوماً حتى يصلوا إلى هدفهم المقصود ، وكان الشمام ذو القشر الجامد يخزن في كهوف تحت سطح الأرض ، فيحفظ جيداً طوال أشهر الشتاء .

وما زالت أنواع الشرابات محببة جداً ، ولو أنها أقل استعمالاً الآن مما كانت الحال عليه سابقاً . وكلمة « شربت »^(١) الدالة على هذا النوع من المشروبات كلمة فارسية انتقلت إلى اللغة الإنجليزية انتقالاً مباشراً ؛ وكانت المشروبات تعد في صورة مشروبات مثلبة أو في صورة مادة التركيب الأصلية مذابة في ماء مثلب لذيق ؛ وتصنع المشروبات غالباً من جميع الفواكه المحببة كعصير الرمان والليمون والمواالح والبرتقال التي تجلب إلى الأسواق . وهناك شراب محبب — يصنع من زهرة البنفسج والخل — وعصير الرمان ، وعصير آخر يشتمل على الماء والسكر وعصير الليمون الحامض وقليل من عصير الثوم . كما يوجد شراب معروف خاص بالجو الحار ؛ وهو يصنع من الماء والخل والسكر وشرائح الخيار ، وفي العصور القديمة ؛ كانت هذه المشروبات تقدم في سلاطين صينية ضخمة وترشف من ملاعق كبيرة ذات أياد منقوشة ، وكان صنع هذه الملاعق هو الحرفة التي تخصص فيها ناحتو الخشب في مدينة آباديه ، ولا تزال

(١) هذه الكلمة ليست فارسية أصلية كما يبدو من عبارة المؤلف ، فهي مأخوذة عن العربية (المترجم)

هذه الصناعة موجودة فيها إلى الوقت الحاضر ، وتوجد في المدن الكبيرة آلات ميكانيكية لصناعة الثلج ؛ بينما توجد في أغلب أجزاء البلاد ثلاجات محلية ، أهم مميزاتها حائط من الطين ارتفاعها عشر ياردات على الأقل ، وتقام في اتجاه شرقي غربي وتفتح في الجانب الشمالي من الحائط عدة فتحات مربعة . وتكون البرودة — عادة — كافية لتجميد بوصة أو اثنتين فقط في أثناء الليل ، ويكثر الثلج المتجمع كل يوم ، ويضاف المزيد من الماء كل يوم ، بينما تمنع الحائط المرتفعة أشعة الشمس من أن تذيب الثلج في أثناء النهار ، وبعد أسبوع أو نحو ذلك يصبح سمك كل قطعة من الثلج خمسة أقدام أو ستة ، فتنقل إلى مخزن خاص تحت سقف معزول جيداً بالآلياف والغاب . ويستعمل الثلج في وقت الصيف عامة ، وهو يجمع ثم يخزنه السكان في القرى الجبلية العالية ؛ وحينما يقبل الصيف ، يحمل الثلج على الحمير إلى أقرب مدينة .

وسكان المدن يحظون عادة بتعليم أفضل ، وبمستوى اجتماعي أرقى من القرويين . وهم نتاج استمرار الحضارة في البلاد خلال قرون طويلة ، وقد انتشر التجميل في المجتمع إلى درجة كبيرة كما يبدو مما كتبه زائر لإيران في القرن السابع عشر ، إذ يقول : « إن الفرس أكثر شعوب الشرق تحضراً ، وأكثر شعوب العالم تكريماً وترحيباً » .

وكتب مسافر آخر يقول : « إن تحيات الصداقة والإوانسة لا تروج في مكان أكثر من رواجها بين الفرس ، لأن العوام — الذين يبنون أجلافا شكسين في البلاد الأخرى — يشاهدون في إيران ودودين ، ذوى لطف فهم ليسوا أجلافا أو مشاكسين » .

وفي الحقيقة أن تقاليد الفرس في الأدب والكرم ترجع إلى عهد قديم جداً ، فنحن نقرأ في « العهد القديم » عن التسامح الذي أظهره الفرس نحو الأجناس والأديان الأخرى ، بينما سجل التاريخ أمثلة عن تصرفهم الكريم مع أعدائهم المهزومين ، في وقت كانت القسوة الوحشية مألوفة في العالم القديم . وقد نشأت عبارات التأدب الكثيرة من نص ديني قديم ، وهي غالباً تتنوع

تنوعاً لا حد له ، ولا يمكن طرح هذه التقاليد — التي تلقنها الناس في الحديث — جانباً بسهولة ، ولذلك فإن الناس في الوقت الحاضر — حتى الذين يقودون الثورة على الماضي ويخالفون تقاليده — يبدأون حديثهم بعبارات مثل « أعرض ملاحظة متواضعة ، أو « يرى هذا العبد أن ، وقد تغيرت عبارة أنت وأنا » في الفارسية « بعبارة هي : « هذا العبد وجنابكم ، ورغم هذا ؛ فإن الأسلوب أقل تنميقاً منه في السنوات السابقة القديمة ؛ فلنرى يقال مثلاً : « إن الرجل كان ميتاً » اعتاد المتحدث أن يقول : « لقد منح جزءاً من الحياة التي كان يملكها ، وإلا فقد كان من المحتمل أن يعيش سنوات كثيرة ، ولكن نظراً لما كان يمكنه لك من حب فقد ضم هذه السنوات إلى السنوات التي سوف تعيشها » .

وهناك طريقة تقليدية لإظهار الاحترام والتأدب في الفارسية ؛ هي استعمال ألقاب التعظيم والتشريف ؛ فإذا استعمل الشاه هذه الألقاب في خطابه للقواد والنبلاء ، فإنه غالباً يستعملها بدل الأسماء الشخصية والألقاب المألوفة مثل « قوام السلطنة ، و « ذكاه الملك ، و « نحر الدولة ، وهناك ألقاب أخرى — غير التي يستعملها الشاه — رائجة في الاستعمال ، وقد صنف كتاب في القرن السابع عشر يرتب الألقاب الخاصة بكل طبقة من الرجال ابتداء من الملك إلى صانع الأحذية . ومنذ سنوات قليلة صدر قانون يحرم منح هذه الألقاب واستعمالها ، ولكن أعضاء الوزارة والشيوخ من الأجيال السابقة مازالوا يعرفون بألقابهم . ويصل النشاط الاجتماعي والجماعي إلى أقصى درجات انتشاره في طهران . وتشتمل المدن الكبيرة التي يبلغ عددها خمس عشرة مدينة — تقريباً — على دور للعرض ، وتوجد في طهران عشر دور للعرض فضلاً عن كثير من المسارح ، وتشتهر كثير من الروايات من « شاهنامه » الفردوسي ، ويكون بعضها الآخر تأليفاً حديثاً مبتكراً ، أو ترجمة ، أو اقتباساً من المؤلفات الغربية ؛ كما أن البراج الموسيقية مألوفة في طهران ، وتوجد في المدينة فرقة سمفونية صغيرة لا تقوم بأداء القطع الكلاسيكية التي للمؤلفين الغربيين فحسب ؛ بل تؤدي القطع الإيرانية أيضاً ، وهي القطع التي تقوم على الموسيقى الشعبية للبلاد ،

وهناك حفلات موسيقية تقيمها فرقة معهد الموسيقى ، أو بعض معاهد الموسيقى الأخرى .

وهناك أنواع معينة من التسلية كانت أكثر شهرة في العصور القديمة ، وهي ما زالت توجد في الأحياء السكنية العتيقة في طهران ، وفي المدن الأخرى ، فما زال الساحر يعقد حلقاته ، وما زال المنجم يستهوى رواده ، وهناك الحاوى الذى يقدم استعراضات ويعطى فيها — بطريقة عجيبة جدا — درسا عليها عن حياة أنواع الحيات والشعابين المختلفة ، وأسلوب معيشتها .

وكان الدراويش في ملابسهم الخاصة ، يشاهدون كثيرا إلى عهد قريب — منذ خمس عشرة سنة — ؛ ثم قررت السلطات الحاكمة أنه لا محل لهم في الحياة الحديثة ، فمنعتهم من دخول المدن ، ولكنهم بدأوا الآن يظهرون من جديد . وكلمة درويش كلمة فارسية معناها «متواضع» أو «فقير» أو «الشخص الذى يعيش على الصدقات» . ويشبه الدراويش في الحقيقة الرهبان المسيحيين ، وهم مقسمون إلى فرق دينية كثيرة ، لكل فرقة منها معتقداتها ، وقوانينها . ويعيش الدراويش في إيران حياة هائمة أكثر من حياة الدراويش في الأقطار الإسلامية الأخرى ، وهناك أقلية منهم من الرجال المتدينين جدا الذين أخذوا عهدا على أن يعيشوا في فقر وعفة ، ولكن الأغلبية منهم يعيش أفرادها على التحايل ، وعلى سرعة تصديق العوام لهم . ويتكون زيهم العادى من عباءة طويلة ملفقة من رقع ذات ألوان كثيرة في الأقمشة (دلق) ، تحزم من وسطها بحزام من الحبل ، تتدلى منه حبات مسبحة خشبية ، ويضعون على أكتافهم جلد نمر أرقط أو جلد ذئب مبطن ، وعلى رؤوسهم طاقية موشاة بآيات قرآنية ، ويتدلى شعرهم المجدل على أكتافهم ، وتكون أقدامهم عارية غالبا ، ويلبسون على كتفهم بوقا ، ويحملون سلاحا لحماية أنفسهم من الحيوانات المفترسة ، وكانوا يحملون عادة بلطة من الصلب — من النوع الذى يستعمل في الحروب — أو هراوة خشبية مرصعة بالمسامير ، وسلطانية كبيرة للشحاذة مصنوعة من قرعة مجوفة مزينة بالنقوش الجميلة .

وعندما يدخل الدراويش قرية أو مدينة ينفخون في أبواقهم نفخة قوية ويصيحون « يا حق ، يا حق ، ثم يظهرون كل ما عندهم — بما تخصصوا فيه — للفت الأنظار والحصول على الهبات من الطعام والمال ؛ ويدعى بعضهم أن لديهم خبرة طبية ؛ ويبيعون « حبات السرور » ، وهي مكونة من الحشائش الممزوجة بتراب من أرض المزارات المقدسة . كما يبيعون أيضا الأحذية والطلسمات ، وهي عبارة عن قطع من الورق تشتمل على آيات دينية تساعد على إبعاد العين الشريرة ، وتمنع المرض والأذى ، كما يقرأون الطوالع مستعملين حيلة مختلفة ، أشهرها نرد واحد من النحاس ، يمكن أن يكون أربعة تربط معا في سهم من المعدن — بحيث تكون منفصلة عن بعضها البعض — لتعطى أربعة أرقام متحدة كل رقم منها له تفسير خاص ، كما يقص الدراويش قصصا على الجموع المحتشدة حولهم . والشعر الفارسي هو ميدان تخصصهم وهم لذلك يحفظون أحيانا مئات الآيات من الشاهنامه كما يحفظون مختارات من أشعار وسعدى .

ونادى المصارعة « زورخانه » مؤسسة إيرانية قديمة ، وقد استمر هذا النوع من الرياضة في الازدهار في كل من طهران والأقاليم ، ويشبه نظام هذا النادى نظام جمعية للتربية البدنية ؛ وينحدر أعضاؤه من كل مهنة ومستوى اجتماعي ؛ ومن المعتقد أن نادى المصارعة نشأ منذ عهد قديم ، حينما كانت إيران محتلة بالأجانب ، وكان شباب البلاد يدربون في الخفاء انتظارا لليوم الذى يصيرون فيه قادرين على طرد الغزاة . ويشتمل كل ناد للمصارعة على حفرة مربعة طول ضلعها عشرون قدما ، وعمقها ثلاثة أقدام ، وعلى رصيف مرتفع للضاربين على الطبول ، وعلى ساحة للنظارة ، ويدخل اثنا عشر رجلا — لابسين سراويل قصيرة بهيئة موشاة تصل إلى ركبهم — الحفر ، ويستعدون لمصاحبة دقات الطبول المثيرة ، وغناء أشعار من الشاهنامه ويقومون بتمرينات جماعية ، ويلعبون بالدبابيس الهندية الكبيرة الثقيلة جدا ، ويقفزون إلى ارتفاع شاهق فى الهواء ويدورون ، والأساس العسكرى الذى يقوم عليه نظام نادى المصارعة تثبته التمرينات التى تؤدى بالدروع الخشبية ، والأقواس الحديدية ذات الحلقات

المصنوعة من الحديد بدل الأوتار ، وتعد مباريات المصارعة التي تجرى على الطريقتين الإيرانية والأوروبية نهاية كل اجتماع وغايته .
ومحلات إعداد الشاي والمقاهى هي الأماكن العامة المحببة التي يجتمع فيها الرجال لاحتساء الشاي ، وتبادل أحاديث المودة ، ولعب النرد ، وتدخين النرجيلة . والشاي هو المشروب الإيراني المحبب ، وهو يقدم في أكواب زجاجية ومعه كثير من السكر ، رغم أن الشارب يضع قطعة من السكر بين أسنانه ويمتص الشاي من خلالها ، ويبدو أن عادة شرب الشاي قد انتقلت إلى إيران من روسيا — حديثا نوعا ما — لأن الإيرانيين كانوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر يشربون قدرا كبيرا من القهوة التي لم تكن معروفة للغرب إلى أن اكتشفها المسافرون الأوروبيون في تركيا وإيران ، وفي عام ١٦٥٢ م بدأ مستر د . ادوارد (Mr. D. Edwards) — الذي كان تاجرا يتعامل مع تركيا — يلقب نفسه بـ رجل القهوة ، وبدأ يستورد حبات البن إلى إنجلترا ، حيث أصبح شرب القهوة عادة مستحدثة مألوفة ، وقد كتب إنجليزى زار المقاهى في إصفهان في عام ١٦٢٧ — يقول : « القهوة مشروب أسود كالحباب ، وهى أشبه بالمرق وتراهم يشربونها ساخنة بقدر ما تتحملها أفواههم فى فناجيل صينية صغيرة ، وهى ذات رائحة قوية ، كما أنها مرة بعض الشيء ، وهى تعد من مسحوق حبات البن ، الذى يغلى فى الماء ، وإذا شربت ساخنة فإنها تريح الذهن ، وتساعد المعدة الكسولة ، وتعاون على الهضم ، وتطرد الخمول والنوم ؛ وهى تبدو غير مستساغة فى الذوق فى البداية . ولكنها تصبح ممتعة لذينة بالتعود » .
وتحل المقاهى فى طهران محل أماكن الشاي فى غيرها من البلاد ، وهى تقع فى حدائق غناء ، تزدحم بعد الظهر بالمجموعات العائلية التى تجلس لتشرب القهوة والشاي ، والمشروبات المشبعة ، واللبن المثلوج (Ice cream) والفطائر ، وتوجد المطاعم بطبيعة الحال فى كل مدينة ، ولكن الأسر الإيرانية تفضل الأكل فى منازلها .

ومن أهم تسييلات الأسر المألوفة القيام برحلة إلى الريف فى أيام الإجازات ، والإجازة الأسبوعية للمسلمين يوم الجمعة ، وفيه تحمل الأسر غذاء مناسباً

للرحلات ، وتذهب — بالقطار أو السيارة أو سيرا على الاقدام — إلى حديقة ظليلة بالقرب من حدود المدينة ، وهناك عطلات رسمية عامة يبلغ عددها خمس عشرة عطلة ، جميعها ذات طابع ديني ماعدا العطلات التي تكون بمناسبة ابتداء السنة الجديدة ، وعيد ميلاد الشاه ، والعيد السنوي للدستور .

ويقع النوروز — الذى هو بداية السنة الجديدة — فى ٢١ مارس ، وهو أول أيام الربيع وبداية الاعتدال الشمسى فى الربيع ، وقد احتفل الإيرانيون بحلول الربيع منذ عدة قرون . كما تدل على ذلك صفوف من النقوش المنحوتة فى برسبوليس ، فهى تشير إلى جماعات من الشعوب من جميع أنحاء الدولة الأكينية القوية تحضر الخراج للملك الإيراني فى مثل هذه المناسبة .

وتبدأ الاستعدادات للنوروز قبل حلوله بكثير ؛ فقبل العيد بخمسة عشر يوما تنبت كل أسرة فى سلطانية قليلة الغور حبوبا من القمح أو العدس حتى تذهب عنها — فى الوقت المناسب — عدة أغصان يصل ارتفاعها إلى عدة بوصات ، لتسكون شاهدا على مجئ الربيع ، وتتحول القرى الصغيرة فى عيد النوروز إلى مناظر بهيجة ؛ ويتجول الرجل الذى يحمل البخور (يحرق النار) فى الشوارع مصحوبا بجماعة من العمال المقنعين يلبسون قبعات طويلة وعباءات ذات ألوان مختلفة ، وقد ربطت بها أجراس صغيرة ؛ وقد تضم الجماعة بهلوانا يمشى على الحبل ، ومصارعا ، وقردامدربا ، ودبا يجيد الرقص ، ويضرب واحد منهم لوحين من الخشب ، وينشد :

قد جاء مشعل النار ، وهو يجئ مرة فى العام
أنا مشعل النار وأنا يتيم ، أنا فقير يوما واحدا كل عام
لقد خرجت الأحشاء والأمعاء ، وقد جاء كل من لم يكن هنا

ويقام عيد خاص فى آخر يوم من أيام الأربعاء فى العام المنصرم ، ويسمى هذا اليوم « جهار شنبه صورى^(١) » ، وقد جرت العادة أن تجهز كل أسرة فى مساء ذلك اليوم حزما من الخشب الجاف أو الأعشاب الصحراوية ، وأن

(١) « جهار شنبه صورى » معناها يوم الأربعاء الصورى أو الأخير . (المترجم)

تشعل ناراً للزينة ، ويقفز كل فرد في المنزل فوق شعلة النار بينما يخاطبون النار
بهذين البيتين :

خذي الصفرة مني ، وأنا آخذ حمرك
وخذي البرودة مني ، وأنا آخذ منك الدفء

ولا ينبغي أن يتنفس فوق النار ، وتنتشر مخلفاتها في مفرق الطرق ،
ولا شك أن هذه العادة ليست إلا إحياء للشعائر التي كانت مستعملة منذ
أقدم العصور .

ويمنح الخدم في المنازل وصغار موظفي الدولة مرتب شهر إضافي بمناسبة
النوروز ، وينظف المنزل جيداً ، فيصبح في أبهى صورة ، ويلبس كل إنسان ملابس
جديدة . وينبغي أن تضام كل حجرة في المنزل في ليلة رأس السنة الجديدة ،
وأن تعد منضدة خاصة ، توضع في الجزء الأوسط منها مرآة وشمعدان ، وتوضع
حولها نسخة من القرآن وقطعة كبيرة من الخبز ، وسلطانية من الماء تطفو فوقها
ورقة خضراء ، وكوب من ماء الورد ، وحبات من البندق ، وفاكهة ، وحلوى ،
وبيض ملون ، وكتكوت ، وسمك ، وطبق كبير أو صينية عليها « هفت سين » ،
وهي سبعة أشياء يبدأ اسم كل منها بحرف « س » الفارسي مثل : سبند^(١) ،
وسيب^(٢) ، وسير^(٣) ، وسركه^(٤) ، وسمن^(٥) ، وسبزی^(٦) ، وسماق^(٧) .

وحينما يقترب وقت الاعتدال الشمسي يجتمع جميع أفراد الأسرة حول
المنضدة لينتظروا اللحظة التي يبدأ فيها للعام الجديد ، ويقال إنها تعلم بتحريك
الورقة على سطح الماء أو بدوران بيضة توضع فوق المرآة ، وفي المدن الكبيرة

المترجم : معنى هذه الكلمات كالآتي :

- (١) « سبند » كلمة فارسية معناها « بخور » أو « نبات صجراوى (نبات السذاب) » .
- (٢) « سيب » » » » « تفاح »
- (٣) « سير » » » » « ثوم »
- (٤) « سركه » » » » « خل »
- (٥) « سمن » » » » « ياسمين »
- (٦) « سبزی » » » » « خضرة »
- (٧) « سماق » : السباق .

يطلق مدفع كبير ليعلن بدء السنة الجديدة ولا يجرى الآن جميع هذه المراسيم والاحتفالات الخاصة بالنوروز في المدن ، ولكن الأشياء التي ستذكر فيما يلي هي التي تراعيها كل أسرة :

تبدأ السنة الجديدة بإجازة رسمية لمدة خمسة أيام تخصص للزيارات الاجتماعية ، وفي اليومين الأولين أو الثلاثة أيام الأولى يبقى أكبر أفراد الأسرة سنا في المنزل ليستقبل الزائرين من الأصدقاء والأقارب ؛ وتنفق مبالغ كبيرة في إكرام الضيوف ، ثم تؤدي زيارات ردا على الزيارات الأولى ، ويكون جو هذه الأيام جوا من الابتهاج والفرح .

وفي اليوم الثالث عشر من السنة الجديدة — وهو يعد يوما منحوسا — تلقى أصص النباتات الخضراء التي زرعت في المنازل في الشوارع — وفي الماء الجاري إذا أمكن — ويخرج كل فرد إلى المناطق الخلوية ؛ ليقوم بنزهة في الحقول الخضراء النضرة ، وتحمل كل أسرة معها نوعا من أنواع الطعام المنمق بقدر ما تسمح به مواردها ، وتمضي طول اليوم خارج المنزل . ويعتقد الناس أنهم بهذه الطريقة لا يحتفلون بالربيع فحسب ، بل يحملون الحظ السيئ المقترن باليوم الثالث عشر بعيدا عن منازلهم ، ويتركونه في الخلاء حيث لا يستطيع أن يسبب أي أذى ، وتتشدد الفتيات الصغيرات في هذا اليوم أشعار الحظ الحسن ، وهي :

إن قضاء اليوم الثالث عشر في الخلاء فال جميل .

فقبل مجيء العام التالي

سيجلب لي زوجا عزيزا

وطفلا جميلا أحمله بين ذراعي

وتشرف على أوجه النشاط الاجتماعي نواد وجمعيات من مختلف الأنواع ؛ ففي طهران توجد نواد للسيدات ، وجمعيات أدبية ونواد رياضية ومجموعات موسيقية ، كما — يوجد — أيضا — عدد من التنظيمات الخيرية مثل « جمعية الأسد والشمس الحمراء ^(١) » ، وهي الجمعية الإيرانية المشابهة لجمعية « الصليب الأحمر » .

(١) اسم هذه الجمعية بالفارسية « جمعية شيروخورشيد سرخ » . (المترجم)

والميل العام إلى الأدب قوى ، وقد كتبت بعض الآثار الجميلة في القصة القصيرة والرواية — وهي نوع لم يمارس إلا نادراً — في الكتابة الفارسية حتى الآن .

وتتبع الكتابة في الوقت الحاضر اتجاهين جديدين : الأول الابتعاد عن الأسلوب المنمق التصويرى الذى كان مستعملاً في الآثار القديمة ؛ والثانى إقامة الدليل على التطور الجديد للغة الفارسية بتحويلها إلى فارسية نقية .

وفى عام ١٩٣٧ ؛ قام المجمع اللغوى الإيرانى بدراسة لغة البلاد ، فوجد أن كلمات عربية كثيرة قد استقرت فى اللغة الفارسية خلال القرون الماضية ، بحيث أصبحت هذه اللغة تضم — فعلاً — كلمات عربية أكثر مما تشتمل على كلمات فارسية ، فقد وجد الكتاب أنهم يستطيعون أن يؤثروا فى عدد أكبر من الناس إذا كتبوا باللغة العربية ، وكانت هناك — أيضاً — الحقيقة القائمة ، وهى أن معرفة اللغة العربية وسيلة لإظهار اللوذعية وسعة الاطلاع .

ولا تشتمل الآثار التاريخية وغيرها من الكتب التى وضعت فى القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين (الرابع والخامس الهجريين) إلا على ٥٪ من الكلمات العربية ، بينما كان المؤلفون واسعى الاطلاع فى القرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى) ، فيكانوا يستعملون كلمات عربية تصل إلى ٩٠٪ . وقد أشار المجمع اللغوى إلى أن اللغة ضعيفة فى الاصطلاحات الفنية ، وأنها تقتبس كلمات أوروبية فيما يتعلق بموضوعات مثل : الميكانيكا والطيران ، والهندسة والكيمياء وعلم النبات وعلم الصحة وعلم الطب وتبقيها كما هى دون تغيير . وقد أكد المجمع اللغوى أنه توجد كلمات فارسية فصيحة تقابل جميع الكلمات العربية على نطاق شامل تقريباً . وقرر أن يواجه جميع هذه المشاكل بنشر كتب دورية تضم قوائم بالكلمات الفارسية الفصيحة لتحل محل الكلمات العربية ، وتشتمل على اصطلاحات فنية تعتمد على أصول فارسية صحيحة ، وقد تحقق تقدم مطرد فى تنفيذ هذا البرنامج ، وأصبح للكتابة النثرية أسلوب سهل واضح ، كما صار للشعر — الذى لم تغزه اللغة العربية غزواً تاماً — أسلوب يشبهه فى الوضوح والسهولة .

وتطبع في إيران مائتا جريدة ومجلة على الأقل . وتعد طهران مركزاً لنشرها ، حيث يوجد البرلمان والمصرف الأهلي الإيراني ، وتوجد وسائل حديثة معدة جيداً لطبع الصحف وتلقى الأنباء ، وتحصل الصحف والدوريات على رخصاتها من إدارة بوزارة التربية والتعليم ، وتستطيع هذه الإدارة — أيضاً — أن تلغى هذه الرخصات ، كما أن الحكومة قد تصرفت أحياناً تصرفاً مباشراً في إيقاف بعض الصحف ، ولا يبدو أن القوانين الحالية تكفل حماية كافية في حالات القذف والافتراء .

وهناك جريدة يومية مسائية تصل صفحاتها إلى ست عشرة صفحة^(١) ، ولكن أغلب الصحف تقع في أربع صفحات من حجم أصغر من مستوى حجم الصحف الأمريكية ، ويعد كثير من الصحف أدوات تعبر عن الآراء الشخصية — السياسية أو الاجتماعية — لأصحابها أو لمحريها ، وتكون — عادة — قصيرة الأجل سريعة الزوال ، وتخصص الصحافة الإيرانية أغلب صفحاتها لنشر الأنباء الخارجية أكثر مما تفعل الصحافة الأمريكية ، وتكون هذه الأنباء — غالباً — ترجمة للأخبار التي تذيعها محطات الإذاعة في الدول الأجنبية ، كما أن العرض السياسي للحوادث الجارية يكتب بإسهاب ، بينما تخصص مساحة قليلة للأخبار المتصلة بالأفراد ، أو للقصص الإنسانية الممتعة ، ولم تغز طريقة التبويب الحديثة الصحف الإيرانية اليومية بعد .

وانتشار الصحف ليس أمراً يحقق الربح في إيران ، بل هو نوع من المغامرة الباهظة ، لأن نسبة توزيع أغلب الصحف أصغر من أن تغل دخلاً كبيراً ، كما أن عدد الإعلانات يعد قليلاً نسبياً ، وترتب مواد الطبع باليد لأن آلات اللينوتيب الإيرانية لم تبدأ عملها بعد ، كما أن جميع أدوات الطباعة يجب أن تستورد من الخارج^(٢) .

(١) أغلب الظن أنه يقصد جريدة « اطلاعات » وهي تطبع الآن في عشرين صفحة ، وهناك جريدة « كيهان » وهي تطبع في ست عشرة صفحة ، وجريدة « بست تهران » وهي تطبع في اثني عشرة صفحة . (المترجم)

(٢) هذا تعريفاً بالصحافة الإيرانية في سنة ١٩٥٠ ، وقد تقدمت الصحافة الإيرانية في تبويبها وطباعتها ، والأعداد التي توزعها بعض الصحف والمجلات قدما ملحوظا لا تنطبق عليه هذه المعلومات . (المترجم)

وتسمى وكالة الأنباء الرسمية التابعة للحكومة « پارس » ؛ وهي تنشر الأخبار عن الصحافة الأجنبية ، وتذيع الأنباء المحلية في الخارج على نطاق واسع عن طريق الموجة المتوسطة براديو طهران .

وقد أنشئ اتحاد للصحافة الإيرانية في يونيو من عام ١٩٤٦ م ، ارتبط بعد ذلك باتحاد الصحافة الأجنبية في إيران ، ثم اشترك — منذ ذلك الوقت — في التنظيم الدولي للصحفيين .

ويوجد عدد يتراوح ما بين خمس عشرة وعشرين نشرة من النشرات الدورية تنشر في إيران بانتظام ، وهي : الجرائد الرسمية لأفرع الحكومة المختلفة ، والدوريات الأدبية ، والجرائد العلمية ، والمجلات الزراعية ، ومجلات السينما ، ومجلات الأطفال ، ومجلتان للنساء ، ومجلات تشتمل على موضوعات محبة إلى الذوق العام ، ومن هذه المجموعة مجلة « خواندنيها » (مطالعات) التي تعد أوسع المجلات انتشاراً وتوزيعاً ، وهي مجلة أسبوعية على غرار مجلة (Reader's Digest) وهي تعيد طبع مقالات نشرت في الصحف والدوريات المحلية والأجنبية ، وتخصص جزءاً كبيراً من صفحاتها للترجمات التي تنقلها عن المجلات الأمريكية .

* * *

الدين الرسمي في إيران :

يعتق ٢٢١.٠٠٠.٠٠٠^(١) الإسلام بأركانه الأساسية الخمسة ؛ والإسلام — كما ورد في القرآن — قد أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ويعني الخضوع لإرادة الله ، وأركانه الخمسة هي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصلوات الدينية الخمس كل يوم ، والصوم من شروق الشمس إلى غروبها في أثناء شهر رمضان^(٢) ، وأداء الزكاة المفروضة ، والحج إلى بيت الله في مكة .

(١) هذا إحصاء قديم وتدل الإحصاءات الحديثة على أن عدد المسلمين في العالم يزيد على ستمائة مليون نسمة . (المترجم)

(٢) عبارة المؤلف ليست دقيقة لأن الصوم يكون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كما يوضحه قوله تعالى : « وكلاوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأسود من الخيط الأبيض من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل » سورة البقرة آية ١٨٧ (المترجم) .

وقد ورد الحديث عن تاريخ ظهور الإسلام وحالة هذا الدين في إيران في قسم آخر ، وينبغي أن تركز العناية — الآن — على أصل الشيعة ، ونموهم ، ومعتقداتهم ، لأن ٩١٪ من سكان إيران ينتمون إلى هذا المذهب الذي له أتباع — أيضا — في سورية والعراق وأفغانستان والهند .

وقد توفي أبناء محمد في أثناء الطفولة ، وكانت ابنته فاطمة — التي تزوجت عليا — هي الابنة الوحيدة التي أنجبت له وارثين من الذكور ، وكان ابنا علي منها يسميان الحسن والحسين .

وبعد وفاة الرسول ؛ ظهرت فجأة مسألة خليفة الرسول ، والزعيم الديني لهذا الدين الجديد ، وقد وقع الاختيار على أبي بكر الذي ولى الخلافة في السنتين التاليتين — من ٦٣٢ إلى ٦٣٤ م (١١ — ١٣ هـ) — ثم خلفه عمر الذي قتل في عام ٦٤٢ م (٢٣ هـ) ، ثم خلفه عثمان الصهر الآخر المسن لمحمد . وثار السخط على عثمان في كثير من أنحاء الدولة ، وبدأ أحد صحابة محمد المحترمين ، وغيره من أصحاب النفوذ يدعون لعلي وحقوق أسرته في الخلافة وتولى الزعامة الدينية . وفي عام ٦٥٦ م (٣٦ هـ) قتل عثمان ؛ وتولى علي الخلافة ، فرفض معاوية — والى سورية وابن عم عثمان — الولاء له ، فاشتعلت الحرب بينهما . وفي عام ٦٦١ م (٤٠ هـ) قتل علي بيد أحد أفراد طائفة أخرى معادية ؛ وبعد موته ، اختار الشيعة — أو المشايعة — لأسرة علي — ابنه الحسن خليفة له ، ورغم هذا فإن معاوية تولى السلطة ونقل العاصمة من المدينة في بلاد العرب إلى دمشق ، وقد عرفت أسرته باسم « الأمويين » ؛ وقبل وفاته عين ابنه يزيد خلفا له ، ولكن الحسين الأخ الأصغر للحسن اضطر إلى المطالبة بحقه المشروع في الخلافة ، ولكنه حوصر هو وطائفة صغيرة من أتباعه المخاضين في سهل كربلاء بالعراق ، وبعد مدة عشرة أيام ، قتلوا جميعا .

وفي عام ٧٤٩ م (١٣٢ هـ) أخلى الأمويون المسرح للعباسيين الذين اتصل أسرتههم بعم محمد (العباس) ، وقد أقام الخلفاء العباسيون في بغداد ، وتمتعوا بسلطة زمنية وروحية — كزعماء للمذهب السني — حتى أسقط المغول دولتهم في عام ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) .

وقد واصل المذهب الشيعى قوته فى إيران حينما رعته الدويلات المحلية المتعاقبة ، مثل : الصفاريين ، والسامانيين ، والبويهيين ، عن عقيدة من ناحية ، ولأنه يساعد على فصل إيران عن العالم العربى من ناحية أخرى — رغم أن دولا شيعية أخرى قامت فى مصر وشمال إفريقيا — . ومن الأسباب التى جعلت المذهب الشيعى يلتجئ إلى الإيرانيين الاعتقاد التقليدى بأن الحسين تزوج إحدى بنات يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين .

وأبناء على هم أحق الناس بالخلافة وإمارة المؤمنين تبعا لرأى الشيعة ؛ وهم ينحسرون فى سلسلة الإثني عشر إماما ، وقد عد كل إمام من هؤلاء متمتعا بالعصمة الإلهية ، وأنه يستطيع أن يأتى بالمعجزات ، وأن كل واحد منهم قد عين خلفه ، كما مات كل منهم بسبب الاضطهاد والقسوة ، وقد اختفى الإمام الثانى عشر — المعروف بالإمام الغائب — فى كهف وهو لا يزال شابا ، ويعتقد أنه سيعود فى النهاية فى صورة « المهدي » ، حينما تقترب الدنيا من نهايتها .

وقد ثارت الانقسامات بين أتباع المذهب الشيعى حول مسألة سلسلة الأئمة ؛ فالشيعة الزيدية فى بلاد العرب يدينون بالولاء للأئمة الخمسة الأول ، بينما يعترف القرامطة والإسماعيلية بإمامة السبعة الأول ، وكان الإسماعيلية طائفة قوية فى إيران ، وكان يقودهم الحسن بن الصباح ، وقد عرفوا فى العالم الغربى باسم « السفاحين » ^(١) (Assasins) ، وقد ضاع نفوهم نهائيا على يد المغول الفاتحين .

ويعتقد الشيعة الإيرانيون فى إمامة جميع أعضاء سلسلة الإمامة ، ويعرف مذهبهم باسم « المذهب الجعفرى » ، نسبة إلى الإمام السادس (جعفر الصادق) الذى نسق الفرائض والتعاليم الدينية التى وردت فى القرآن وشرحها ، وقد أصبح المذهب الشيعى ، يتمتع بقوته فى إيران على يد ملوك الصفويين

(١) المراجع : فى رأى أنهم عرفوا لدى الأوروبيين باسم (Assasins) وهى تحوير الكلمة العربية « حشاشين » لأنهم كانوا يستعملون الحشيش .

الذين أعلن جدهم الشيخ صفى الدين أنه ينتسب إلى الإمام السابع^(١)، وبذلك أصبح المذهب الرسمى لإيران منذ عام ١٥٠٠ م، وقد نص الدستور الحديث على أن المذهب الجعفرى هو المذهب الرسمى للبلاد، ونص على أن المادة التى أعلن فيها العهد^(٢) يجب أن تظل سارية المفعول إلى ظهور المهدي «إمام الزمان».

ويختلف الشيعة والسنة في الناحية السياسية أكثر من اختلافهم في المعتقدات، لأن الأحزاب أو الحكومات المتعارضة تستفيد من الانقسام في ترويح سلطانها الزمنى، والشيعة — بطبيعة الحال — يعتقدون في حماس في ضرورة وجود الخلافة في أسرة محمد، وهم لا يعترفون — كما يفعل أهل السنة — بهذا الحق لأصحاب محمد، وهم يعتقدون أن محمدا اعترف بعلى كخليفة له، وبارك أسماء على والحسن والحسين، ويعد الزعماء الدينيون للشيعة ملهمين من الإمام الغائب، وهم يكتسبون لذلك سلطة أعظم بكثير مما لرجال الدين السنيين.

ويقدس الأئمة لأنهم شهداء، ويقوم الشيعة بزيارات لا لمسكة فحسب، بل لقبر على — أيضا — في النجف، وقبر الحسين في كربلاء، وهما معا في العراق، وقبرى على الرضا الإمام الثامن في مشهد، وأخته فاطمة في قم، وهناك — أيضا — مزارات أقل أهمية للأئمة المحليين ويسمى كل منهم «إمامزاده»، أى «ابن الإمام»، وهى منتشرة في جميع أنحاء إيران.

والإجازات الدينية العامة الملاحظة في إيران هى العيد السنوى لميلاد على، وبعثة الرسول محمد، وميلاد الإمام الثانى عشر، وضرب على، و وفاة على، وعيد الفطر — وهو عيد الانتهاء من صوم رمضان، وعيد قربان أو يوم التضحية، وعيد الغدير — أو تعيين على خليفة لمحمد — وتاسوعاء وعاشوراء أو يوم استشهاد الحسين، واستشهاد الحسن، وميلاد محمد.

(١) المقصود هنا بالإمام السابع موسى الكاظم ابن جعفر الصادق وهو أخو اسماعيل الإمام السابع عند الاسماعيلية، وهو في رأيهم أحق منه بالإمامة وهذا هو الذى أدى إلى انقسام الشيعة إلى اسماعيلية وإمامية (اثني عشرية) وعبارة المؤلف في هذه المسألة ليست دقيقة. (المترجم)

(٢) تنص هذه المادة على أن تحكم أسرة رضا بهلوى إلى أن يظهر الإمام الغائب. (المترجم)

ولا توجد حكومة دينية ذات نظام خاص في الإسلام ، غير أن هناك ألقابا معينة أو دلالات خاصة لتمييز أعضاء خاصين من الجماعة الإسلامية في إيران ، فمن يكون من نسل النبي محمد يستعمل لقب « سيد » كجزء من اسمه ، والرحلات الدينية للحج أقل ملاحظة الآن — مما كانت عليه — قديما ، ولكن الرجل الذي يزور مكة يمكن أن يعرف بلقب « حاج » والرجل الذي يزور قبر الحسين في كربلاء ، والشخص الذي يزور قبر الإمام علي الرضا في مشهد ، يعرف بلقب « مشهدي » أو « مشدى » .

ويلقب رجل الدين المسلم الذي له ثقافة محدودة في العلوم الدينية بلقب « ملا » ، بينما يلقب من يدرس في مدرسة عالية مثل « جامعة سبها سالار الدينية »^(١) ، في طهران بلقب « مجتهد » ، وهناك عدد قليل جدا من كبار الزعماء الدينيين المقيمين إما في إيران ، أو في مزارات الشيعة في العراق يحمل كل من أفرادهم لقب « آية الله » للتشريف ، وقد يجتمع المجتهدون العلماء في طهران في « هيئة للعلماء » تصدر الفتاوى الخاصة بالمسائل الدينية ، بينما تختص المحكمة الشرعية في طهران بالمجادلات الدينية البحتة .

وإمام الجمعة في طهران في الوقت الحاضر دكتور في الحقوق من جامعة فرنسية ، وهو أحد أعضاء أسرة « إمام جمعة طهراني » المعروفة^(٢) وهو مختص بإقامة الصلاة والخطبة يوم الجمعة — في المسجد — نيابة عن الملك .

وتصدر ثلاث صحف دينية في طهران ، وللمركز الدولي للدعاية الإسلامية فرع في طهران ، وهو ينشر جريدة أسبوعية ، كما ينشر تقويميا سنويا .

(١) تسمى هذه الجامعة بالفارسية « دانشگاه روحاني » . (المترجم)

(٢) اسم إمام الجمعة هو « سيد حسن إمامي » وهو موجود في هذا المنصب إلى الوقت الحاضر . (المترجم)

مستقبل ایران

11

12

13

الفصل العاشر

المشروعات والآمال المرتقبة

حينما بدأ عام ١٩٥٠ م ، كانت الشخصية الموجهة فوق المسرح الإيراني هي شخصية محمد رضا بهلوي ، وهو لا يزال شابا ، غير أن له خبرة في الحكم تبلغ ثمانى سنوات ، وقد صرح الشاه برغبته الصادقة في الإصلاح ، وبتصميمه الأكيد على تنفيذ الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، وكان قد ازداد قوة — أخيرا — بمنحه حق حل السلطة التشريعية ، فكان في وضع يستطيع أن يطلب فيه عملا إنشائيا ، فأعلن في افتتاح دورتي مجلس النواب والشيوخ الجديدتين — في شهر فبراير — ضرورة تطهير الحياة العامة من الأشخاص الفاسدين والأعمال المشينة ، وكان مثل هذا التطهير ذا قيمة كبيرة ، غير أنه كان من الأمور الأكثر أهمية أن يعد العامة لمساندة الإصلاحات الأساسية المرسومة في « مشروع السنوات السبع للإصلاح والتعمير » .

ومن المتوقع أن تقابل الإصلاحات الجديدة بكل من المعارضة والتأييد في الوقت الحاضر ، ويعتقد — بصفة عامة — أن تأتي المعارضة من بضعة مئات من ملاك الأراضي الأغنياء وعائلات التجار الذين يكونون الطبقة التي تسمى « الطبقة المسيطرة في إيران » ، وهي الطبقة التي تتوقع أن تحد هذه الإصلاحات من قوتها وهيبتها ، وقد كانت هذه الطائفة — ذات نفوذ في البرلمان ، ولكنها قد جردت من نفوذها — بعض الشيء — في الوقت الحاضر ، لأن شخصياتها العامة تتركز في مجلس الشيوخ الجديد ، بينما اشتهر مجلس النواب الجديد بالعناصر التقدمية .

وقد تأتي بعض المعارضة من عدد قليل من الزعماء الدينيين ذوي الآفاق الضيقة — وهم أصحاب نفوذ ، غير أنهم يخشون من النزعات الحديثة على مبادئ

الإسلام وتعاليمه — ومن الأحرار الصادقين الذين يعارضون تشكيل الحكومة وأساليبها أكثر مما يعارضون أهدافها النهائية ، كما أن هناك معارضة مؤكدة من بقايا حزب توده ، وأفرادها مشغولون في الوقت الحاضر بالقيام بدعاية سرية ضد الحكومة والملك وبرنامج الإصلاح الجديد .

والعناصر التي سوف تساند الإصلاح أصعب تحديداً ، رغم أنهم يتضمنون — قطعاً — طبقة الشباب المثقف جيداً ، والطبقة المتوسطة المحدودة الدخل ، وكثيراً من الأشخاص حتى من أعضاء الطبقة التي تسمى بالطبقة المسيطرة وهذه العناصر وما يشبهها — كالزراع — سوف يدعون للعمل معاً بطريقة غير مألوفة بالنسبة لتجارهم ، وللقيام ببعض التضحيات الشخصية في سبيل الصالح العام . وهناك بعض الدلالات على أن شعوراً جديداً بالخدمة العامة ، وبالمسئولية الشخصية ، قد ينتشر في إيران .

ويتقدم الشاه وأسرته الركب ، ويرشدون إلى الطريق مع الهيئـة الامبراطورية للخدمات الاجتماعية ؛ وهي هيئة شكلت لإنفاق إيرادات ممتلكات التاج الإيراني في تنفيذ برنامج صحي عام . وهذه القيادة قد تلاها إنشاء « المؤسسة الإيرانية للنهوض بالصحة والتعليم في إيران » ، وقد أنشئت هذه المؤسسة على يد أسرة تجارية غنية في شيراز ، وقدمت — فعلاً — هبة قدرها ١,٥٠٠,٠٠٠ دولار . وقد أنشأت المؤسسة — تقريباً — شبكة حديثة للمياه في شيراز ، وسوف تبنى قريباً مستشفى هناك ، ولديها مشروعات أخرى على بساط البحث والإعداد .

ويوجه — الآن — اهتمام كبير إلى مشروع السنوات السبع للإصلاح والتعمير الذي ذكر قبل ذلك ؛ ففي أكتوبر ١٩٤٨ م استخدمت الحكومة الإيرانية أعضاء شركة المستشارين لما وراء البحار Overseas Consultants Inc ، وهي هيئة مكونة من إحدى عشرة مؤسسة كبرى من المؤسسات الهندسية الأمريكية ليشموا الأبحاث التي بدأتها شركة موريسون نودسن الدولية Morrison Knudsen — International Company ، وفي أغسطس ١٩٤٩ ، أتم المختصون

فيها أبحاثهم ونشرت الهيئة تقريراً في خمسة مجلدات ، عن الطرق التي ينبغي اتباعها في تنفيذ المشروعات الاقتصادية والاجتماعية ، وقد أقر البرلمان إنشاء تنظيم المشروعات مكون من مجلس أعلى وهيئة للإدارة ، ومدير مشرف . وأصبح لزاماً على هذا التنظيم أن يشرف على تنفيذ هذه المشروعات التي قدرت تكاليفها بمبلغ ٦٥٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار ، أما شركة المستشارين لها وراء البحار — التي كان لها مكتب في طهران — فكانت تمد بالخبراء لتقديم المشورة ، وللعمل مباشرة لتنظيم المشروعات ، وقد وصفت هذه الشركة البرنامج بأنه « أضخم برنامج صناعي في قطر واحد في التاريخ ، وأنه مشروع سيعيد بناء اقتصاد إيران جميعه ، من الأساس إلى القمة » .

وستخصص نسبة ٢٨,٥٪ من مجموع النفقات — تبعاً للتقديرات الحالية — للإصلاحات الاجتماعية والإصلاحات الخاصة بالمجالس البلدية ، و ٢٥٪ للتوسع الزراعي و ٢٤٪ لتحسين وسائل النقل ، و ١٥٪ لترقية الصناعة والمناجم ، و ٤٪ لإنشاء وتشغيل شركة إيرانية للبتروول ، و ٣,٥٪ لترقية وسائل النقل وتوسيعها .

وقد ذيلت الميزانية العامة لسنة ١٩٤٩ ، بميزانية خاصة للتعمير ، قدرها ٤٢,٨٠٠.٠٠٠ دولار ، وهي تضم بين مصادرها ٧٠٪ من ضريبة امتياز البتروول لتلك السنة . وستخصص جميع الإيرادات المتحصلة من امتياز البتروول — ابتداء من عام ١٩٥٠ — ومن العمليات التي تديرها شركة البتروول الأنجلو إيرانية لتمويل هذا المشروع ، وسوف تقترض مبالغ أخرى من المصرف الأهلي الإيراني ، ومن المرجو أن تؤخذ قروض تصل إلى ٢٥٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار من المصرف الدولي للإنشاء والتعمير ، ومن الشركات التجارية الأجنبية ، وهناك بعض مشروعات خاصة تحت التنفيذ من المشروعات التي ووفق عليها ، وينبغي أن تنفذ قريباً ، وهي تعالج المشاكل الحالية مثل : مشكلة البطالة الشديدة ، وارتفاع نفقات المعيشة ، ونقص محصول القمح ، وتدهور التجارة الخارجية ، بينما يتوقع أن يؤدي المشروع في المستقبل البعيد جداً إلى رفع المستويات العامة

للبعيشة عن طريق زيادة الإنتاج وبناء المساكن ، وتحسين الصحة العامة ، ونشر التعليم .

والأمن الداخلى واستقرار الحكم والبناء والاقتصادى السليم هى الأسس الرئيسية للتقدم المطرد فى إيران ؛ فقيما يتصل بالأمن ، كانت الأحوال فى أوائل عام ١٩٥٠ أحسن بكثير مما كانت منذ عدة سنوات ، وقد أعيد تنظيم القوات المسلحة على نطاق واسع ، ووضعت تحت قيادة ضباط شبان وتحت إشراف أدق أنشئ بواسطة تحويل قوات الأمن إلى قيادة الجيش .

وقد أقيمت العلاقات بين القبائل والحكومة ، وبين القبائل والجيش على أساس من الاحترام المتبادل ، وكانت قبل ذلك من مصادر الاحتكاك والتشاحن ، وسوف يختبر استقرار الحكومة قريباً ، والأسئلة التى تثار هنا هى : هل سيعمل مجلس الشيوخ الجديد على ضمان الاتزان فى مجلس النواب وهو أكثر تعجلاً وعنفاً ؟ .. وهل سيتوسع المجلسان فى معاونة الحكومات التى يعهد إليها بالإصلاحات ؟ . . . وهناك تهديد للاستقرار المالى فى البلاد يتمثل فى استنزاف مصادر العملات الأجنبية فى الوقت الحاضر ، وهو أمر متوقع فى المستقبل ، وفى أثناء الحرب ؛ كان شراء القوات المتحالفة المختلفة للريالات الإيرانية قد كون لإيران أرصدة كبيرة من العملات الأجنبية ، وتستطيع إيران أن تستمر فى الاعتماد على مبلغ لا يقل عن ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار سنوياً ، من مدفوعات شركة البترول الأنجلو — إيرانية ، ومن مشترياتها للريالات الإيرانية .

وأكبر بالوعة تستنزف الموارد المتجمعة هى منطة الدولار ؛ فقد كان لإيران — فى عام ١٩٤٩ م — ميزان تجارى سنوى متأرجح مع الولايات المتحدة ، يبلغ حوالى ٧٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار تقريباً ، وهى ما تزال مدينة — جزئياً — بسبب شرائها المعدات الإضافية والمواد من قيادة الخليج الفارسى (Persian Gulf Command) كما أن عليها ديناً قدره ٢٦,٠٠٠,٠٠٠ دولار هو قيمة مشترياتها الحديثة من المعدات العسكرية الأمريكية الإضافية . ويعد

الإيفاق على حوالى ستمائة طالب إيراني — فى الوقت نفسه — فى الولايات المتحدة ناحية كبيرة من النواحي التى يصرف فيها الدولار الأمريكى ، ولما كان مشروع السنوات السبع يحتاج إلى مصاريف باهظة من العملة الأجنبية ، فإنه يجب أن تثبت إيران أن مثل هذه المصادر قد ادخرت بعناية .

ومن المتوقع أن تصبح علاقات إيران بالدول الأجنبية الموجهة ذات أهمية بالغة لتلك البلاد ، فقد تودى إلى تعجيل تنفيذ مشروع السنوات السبع للإصلاح والتعمير أو تعويقه ، وتتبع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا سياسة تهدف إلى تقوية سيادة إيران على أراضيها ، وتشجيع التقدم الاقتصادى ، والاجتماعى فيها .

وتمثل الولايات المتحدة سفارة فى طهران تضم عدداً كبيراً من الموظفين الرسميين ؛ من بينهم هيئة للعلاقات السياسية ، وأخرى للعلاقات الزراعية ، وبعثة عسكرية صغيرة لتدريب الجيش الإيرانى وقوات الأمن « زاندرمرى » .

وقد باعت الولايات المتحدة معدات حربية لإيران ، وهى تنوى تزويدها بمعدات حربية أخرى طبقاً لمشروع المساعدات الحربية (Military Aid Plan) أو المساعدات الأمريكية بناء على طلبات القروض الدولية التى تتقدم بها إيران لتنفيذ مشروع السنوات السبع للإنشاء والتعمير ، وقد عبر الشاه عن هذه الرغبة فى أثناء زيارته لوشنجنطون فى قوله : « نحن نأمل فى الحصول على مساعدة أمريكية فنية ومادية ، كما نأمل — فى ظل الأمن الداخلى الشامل — أن نجذب المستثمرين الأمريكين فى إيران ، ونعتقد أن إيران تعد حقلاً طيباً لتنفيذ المشروعات العظيمة التى تضمنتها النقطة الرابعة (Point 4) كما يبدو من الخطاب الافتتاحى للرئيس ترومان » .

ولا تستطيع إنجلترا أن تساهم فى معاونة إيران ؛ لأنها مبتلاة بأزمات اقتصادية مستمرة ، تجعلها فى وضع لا يسمح لها بتقديم المعاونة إلا نادراً ، رغم أن المصالح الإنجليزية التى أنشأت منذ وقت طويل فى تلك البلاد — مثل المصرف الإنجليزى فى إيران والشرق الأوسط ، وشركة البترول الأنجلو — إيرانية — لا تزال بالغة الأهمية بالنسبة للطرفين .

وفي صيف عام ١٩٤٩م؛ دارت مباحثات بين الحكومة الإيرانية والمسؤولين في شركة البترول الأنجلو — إيرانية لمحاولة عقد اتفاقية تزيد الإيرادات التي تحصل عليها إيران من امتياز البترول إلى حوالى ضعف ما تحصل عليه الآن سنويا ، وقد فشلت الدورة البرلمانية الخامسة عشرة في التأثير في الموقف ولكن الاتفاقية نفسها أو صورة معدلة منها سوف تعدها الدورة البرلمانية السادسة عشرة^(١)، وسوف يؤدي التصديق عليها إلى تخصيص المبالغ التي يمكن الحصول عليها لمشروع الإنشاء والتعمير .

ومن الواضح ؛ أن العلاقات بين إيران وروسيا السوفيتية سوف تستمر معقدة ، قلقة غير مطمئنة ، وقد تتسع الاحتكاكات البسيطة إلى حالات أخرى من نوع خاص ، وقد وجهت الحكومة الإيرانية — في يولييه ١٩٤٨م — مذكرة إلى الحكومة الروسية تسألها عما إذا كانت ترغب في إغلاق القنصليات الروسية العشر التي أنشئت في إيران في زمن الحرب ، أو أن تبقئها مفتوحة على أن تسمح لإيران بفتح عدد من القنصليات بمائل لهذا العدد في روسيا ، ولم تتلق إيران ردا على هذه المذكرة ، ولا على مذكرة أخرى أرسلتها ، فطلبت من الحكومة الروسية — في مارس ١٩٤٩م — أن تغلق جميع القنصليات ماعدا القنصلية التي كانت مفتوحة في إيران قبل الحرب ، وقد وجد هذا الطلب ردا سريعا أشارت فيه الحكومة الروسية إلى تصرفات الحكومة الإيرانية المنافية للصداقة ، والتي اتسمت بالعداء في عدد من الحالات ، وذكرت أن جميع القنصليات الروسية في إيران سوف تغلق ، وطلبت من الحكومة الإيرانية أن تغلق قنصليتها الوحيدة في باكو .

وتحاول الحكومة الإيرانية منذ أوائل عام ١٩٤٧م أن تسترد من روسيا ١١,٠٠٠,٠٠٠ جرام من الذهب ، و ٩,٠٠٠,٠٠٠ من الدولارات و ١١,٠٠٠,٠٠٠ من الريالات ، ورغم أن هذه المبالغ مستحقة لإيران بمقتضى شروط الاتفاقية

(١) كتب المؤلف ما يتعلق بهذه المسألة حتى عام ١٩٥٠ وهو زمن تأليف الكتاب ، وقد حدث بعد ذلك تأميم شركة البترول بواسطة حكومة مصدق والأحداث المعروفة التي أعقبت ذلك ، والتي أدت إلى الوضع الحالي في إيران . (المترجم)

المالية التي عقدت بين الدولتين في عام ١٩٤٢ م ، فإن الحكومة الروسية استمرت في الامتناع عن الدفع . وحدثت اشتباكات مسلحة على طول الحدود بين الدولتين في فترات مختلفة خلال عام ١٩٤٩ م ، اشترك فيها جماعة من الجنود الايرانيين والروس على السواء ، وقد حدثت هذه الاشتباكات — وفقا لما تقوله الحكومة الايرانية . حينما عبر الجنود الروس الحدود ، أما وجهة النظر الروسية في هذه الحوادث فهي غير معروفة لأن الروس تجنبوا الإشارة إلى وقوعها في صحافتهم وإذاعتهم .

وحوالي أواخر عام ١٩٤٩ م ، بدأ أن حدة التوتر آخذة في الزوال ، فقد باعت الحكومة الروسية لإيران ١٠٠.٠٠٠ طن مما تحتاج إليه من القمح ، وتقدمت المباحثات لعقد اتفاقية تجارية بين البلدين ، وكانت التجارة بينهما في حالة توقف منذ عدة شهور .

وتعد الحوادث التي ذكرت — فيما سبق — وحدها دالة على تصرفات الحكومة الروسية نحو إيران ، ومن الواضح أن الغرض الأساسي للروس هو إغراء — أو إجبار — إيران على إنشاء حكومة موالية للاتحاد السوفيتي ، ومن مظاهر هذا الاتجاه أن الروس يحاولون تشجيع الفوضى وعدم الاستقرار في إيران حتى يتمكن زعماء حزب توده الهاربون — الذين أنكروا قبل ذلك وجود أية علاقة بين حزبهم وبين الاتحاد السوفيتي — من الانضمام حينذاك إلى نظام الكومنفورم (Cominform Line) وأن يصروا على عدم اشترك الايرانيين في حرب ضد الروس ، وأن يستعملوا أساليب الدعاية السرية لمحاولة إثارة الشعب الإيراني ضد حكومته .

وتهاجم محطات الإذاعة الروسية في موسكو ، وفي منطقة آذربيجان الروسية الحكومة الايرانية ، والشاه ، والخطط الأمريكية والإنجليزية الموجهة ضد إيران ؛ وتوجه نداءات ملتهبة إلى العناصر المختلفة في الشعب الإيراني ؛ أما فيما يتعلق بالاشياء المتصلة بالمستقبل القريب لإيران بصفة خاصة ، فإن الصحافة والإذاعة الروسيتين توجهان هجوما عنيفا لمشروع السنوات السبع للإنشاء

والتعمير وتصويرانه في صورة مشروع ذى هدف بعيد ترمى به الولايات المتحدة الرأسمالية إلى تسخير إيران وخفض مستوى المعيشة فيها .

وفي مارس ١٩٥٠ م ، نشرت صحافة الكومنغورم في بخارست — مثل جريدتى « نحو سلام دائم » (For a Lasting Peace) ، و « نحو ديمقراطية شعبية » (For a Peoples Democracy) — هذا البيان : « إن الولايات المتحدة قد أعدت العناصر المعادية لإيران من العسكريين ، والمدنيين تحت ستار ترقية البلاد وإعادة بنائها ، وإن المشروع الذى يسمى « مشروع السنوات السبع » ، يهدف إلى إنشاء الطرق والمطارات والموانئ للأغراض الحزبية ، ويرمى إلى تثبيت المركز الاقتصادى لكبار ملاك الأرض ، والإقطاعيين الذين يتصلون اتصالا مباشرا بالدوائر الرأسمالية . »

ويبدو واضحاً أن الحكومة الروسية لا تشجع النجاح المطرد فى إيران فى الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ، وإن هذا التصرف من جانب روسيا مطابق لسياستها نحو دول أخرى فى أنحاء مختلفة من العالم .

وصفوة القول أن احتمالات تحقق تقدم سريع مفيد لإيران يتوقف على إجابة على الأسئلة الآتية :

- ١ — هل توجد هيئة كافية من الشعب الإيرانى لديها التصميم والإصرار اللازمان لتنفيذ برنامج شامل للإصلاح والتعمير ؟
- ٢ — هل ستنجح بمجهودات الدعاية التى تقوم بها الحكومة الروسية فى عرقلة مشروع التعمير ؟
- ٣ — هل ستتخذ الحكومة السوفيتية إجراءات عسكرية أكثر شدة ، أم هل ستعقد اتفاقات دولية شاملة تؤدى إلى رفع الضغط السوفيتى عن إيران ؟

ملحق

العلم الإيراني :

نص الدستور الإيراني على أن يكون الشعار الذي يتخذه العلم الرسمي لإيران مكونا من أسد ذهبي وشمس ، فوق صفحة ملونة بخطوط خضراء وحمراء وبيضاء ، وأن يوضع الأسد فوق الجزء الأوسط من الصفحة ، وهو الجزء الملون باللون الأبيض ، وأن يكون رافعا سيفا في أحد مخالبه المرفوعة ، وأن تشرق الشمس فوق ظهره .

وللشعار تاريخ قديم جدا ، فقد وصف الفردوسي — في القصة التي أوردها عن سهراب ورستم — أعلام القواد المشهورين ، فسكان من بينهما علم يحمل صورة الأسد ، وآخر يحمل صورة الشمس الصفراء ، والجمع بين الأسد والشمس على أنهما علامة لمنطقة البروج يتضح في منتجات الفن الإيراني ، ولكن أقدم استعمال معروف لهذا الشعار — على أنه اختراع خاص بإيران — يوجد في قطعة من العملة الفضية الخاصة بغياث الدين كيخسرو ، ضربت بعد عام ١٢٠٠ م (٥٩٧ هـ) بقليل ، وهناك قطعة من القرמיד على شكل نجمة تحمل العلامة نفسها ، يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) . كما أن الصور الصغيرة (المنمنمات) — التي يرجع تاريخها إلى عصور متأخرة — تظهر الجنود الإيرانيين يحملون علما مزينا بصورة الأسد والشمس ، وتحمل نقود الصفويين — أيضا — هذا الشعار ، وقد وضع السيف في يد الأسد منذ العصر القاجاري حينما كان كثير من أنواع النقود يحمل الشعار نفسه .

التقويم الإيراني :

يكون عدد أيام كل شهر من الأشهر الستة الأولى — في السنة الإيرانية — واحدا وثلاثين يوما ، وعدد أيام كل شهر من الأشهر الخمسة التالية لها ثلاثين يوما ، وعدد أيام الشهر الأخير تسعة وعشرين يوما ، أو ثلاثين يوما في السنة الكبيسة ، وتبدأ السنة في أول يوم من أيام الربيع ، أي في ٢١ أو ٢٢ مارس .

وأسماء الشهور بالترتيب هي : فروردين ، أردببهشت ، خرداد ، تير ، مرداد ، شهر يور ، مهر ، آبان ، آذر ، دى ، بهمن ، اسفند .

وقد اتخذ هذا التقويم الشمسى — بقانون صدر فى عام ١٩٢٥ م — ليحل محل التقويم العربى القمرى ، وحينذاك أحييت أسماء الأشهر الشمسية التى كانت مستعملة فى الأزمنة القديمة .

العملة الإيرانية

النقود :

النقود الذهبية :

جنيه بهلوى — نصف جنيه بهلوى :

يحتوى الجنيه البهلوى على ٧,٣٢٢ جرام من الذهب الخالص ، وهو لهذا يساوى ما يحتويه الجنيه الإنجليزى (صورة الملك) من الذهب ، وكان يباع فى عام ١٩٤٧ م بمبلغ ٦٠٠ ريال إيرانى ^(١) .

النقود الفضية :

عشرة ريالات — خمسة ريالات — ريالان — ريال :

وقف سعر الريال الرسمى فى التبادل — فى المدة من عام ١٩٤٣ م إلى ١٩٤٩ م — عند ٣٢,٥ ^(٢) ريال لكل دولار أمريكى ، ويشار إلى الريال دائماً باسم « قران » وإلى العشرة ريالات باسم « تومان » .

النقود الأخرى :

قطع نحاسية قيمتها ٥٠ دينارا — ويساوى الريال ١٠٠ دينار ، وهو يقسم عادة إلى ما يسمى « شاهى » . ولذلك فإن كل قطعة قيمتها ٥٠ دينارا

(١) يساوى هذا المبلغ ٤٥٥ قرشا بالعملة المصرية . (المترجم)

(٢) كان هذا قبل خفض العملة فى سنة ١٩٥٠ ، وكان سعر الجنيه المصرى حينذاك

١٣٢ ريال . (المترجم)

تسمى « ١٠ شاهی »^(١)، وتسمى القطعة التي قيمتها ١٠ دنانير « ٢ شاهی »^(٢)، والقطعة التي قيمتها ٥ دنانير « شاهی »^(٣) واحد، — وقطع من النحاس والالمنيوم قيمتها ٥٠ و ١٠ و ٥ دينار.

أوراق العملة (البنكنوت) :

تصدر أوراق العملة في فئات هي : ٥ و ١٠ و ٢٠ و ٥٠ و ١٠٠ و ٥٠٠ و ١٠٠٠ ريال.

وتكون الأوراق ذات القيمة النقدية الكبيرة أكبر حجماً، وهي تحمل صوراً مائة لرضا شاه أو محمد شاه، أو مناظر من الطبيعة الإيرانية أو السكك الحديدية الإيرانية، أو الآثار التاريخية في إيران.

الموازين والمقاييس الإيرانية :

منذ عدة سنوات؛ اتخذت إيران النظام المترى، ورغم هذا فإن النظام المحلى القديم ما زال يستعمل على نطاق واسع، وقد عرفنا هنا ببعض الوحدات المعروفة مع نسبتها إلى النظام المترى.

الموازين :

١	سير	يساوى	٧٥ جراما
١٠	سير	»	١ جارك ^(٤)
١	جارك	»	٧٥٠ جرام
٤	جارك	»	١ من تبريزى
١	من	»	٣ كيلو جرام
١٠٠	من	»	١ خروار
١	خروار	»	٣٠٠ كيلو جرام

(١) تسمى هذه العملة بالفارسية « ده شاهی » . (المترجم)

(٢) « دو شاهی » . (المترجم)

(٣) « يك شاهی » . (المترجم)

(٤) « جارك » كلمة فارسية مخففة من « جهار يك » أى « ربيع » ويقصد بها ربع المن . (المترجم)

المقاييس :

۱	زار	يساوى	۱۰۴ سنتيمتر
۶۰۰۰	زار	•	۱ فرسخ
۱	فرسخ	•	۶۲۴۰ متر
۱	فرسخ	•	الفرسخ ۶ كيلو مترات تقريبا وحوالى ۴ أميال.

المصادر

- Afschar, M. *La Politique Européenne en Perse*, Berlin, 1921 — ١
- A Gift from Radio Teheran, Teheran, 1940. — ٢
- Ayrian Almanac سالنامه آیریان ، بالفارسية ، طبع حديثا في طهران — ٣
- Bank Melli Iran Bulletin, Teheran, 1934—49. — ٤
- Beroukhim, M., *La Pensée Iranienne a travers l'Histoire*, —
Paris, 1938.
- Boyce, A. C., «Education in Iran» *Iran and the U. S. A.* — ٦
(January 1947), Teheran.
- Chardin, J., *Voyages en Perse, et autres lieux de l'Orient*, — ٧
Amsterdam, 1811.
- Djazeri, C., *La Crise Économique Mondiale et ses Repercussion* — ٨
en Iran, Paris, 1938.
- Filmer, H., *The Pageant of Persia*, New York, 1936. — ٩
- Gray, F.A.G. *Report on Economic and Commercial Conditions* — ١٠
in Iran, during 1937, London, 1938.
- Hadary, G, «Iran—A Survey of Agriculture,» *Foreign Agriculture*, — ١١
XIII, 9 (September, 1949).
- Hamzavi, A.H., *Persia and the Powers*, London, 1946. — ١٢
- Hayden, L. J., «Living Standards in Rural Iran,» *The Middle* — ١٣
East Journal, 111,2 (April 1949).
- Hedayat, S., — ١٤ هدايت : نيرنگستان ، بالفارسية ، طهران ، ١٩٣٣
- Herbert, I., *A relation of some yeares travaille, begunne anno* — ١٥
1526-into Africa and the greater Asia, London, 1634.
- ١٦ ایران امروز (اليوم) ، بالفارسية ، مجلة شهرية من مايو ١٩٣٨ إلى أبريل ١٩٤٢
- Herzfeld, E.E. *Archaeological History of Iran*, London, 1935. — ١٧
- Kasrovi, M., — ١٨ كسروي : تاريخ مختصر شيروخورشيد ، بالفارسية ، طهران ، ١٩٤٤
- Keyhan, M. — ١٩ م. كيهان : جغرافياي مفصل ایران (الفارسية) طهران ، ١٩٣١
- Lenczowski, G. *Russia and the West in Iran, 1918—1948*, — ٢٠
Ithaca, 1949.

- Lotz, J. D., «The Iranian Seven Year Development Plan — ٢١
Problems and Proposals», Middle East Journal, IV, 1
(January, 1950).
- Millsbaugh, A.C., Americans in Persia, Washington, 1946. — ٢٢
- Nakhai, M., L'Évolution Politique de l'Iran, Brussels, 1938. — ٢٣
- Nakhai, M., Le Petrole en Iran, Paris, 1938. — ٢٤
- Navai, M., Les Relations Economiques Irano-Russes, Paris, 1935. — ٢٥
- Pars Almanac. — ٢٦ سالنامه پارس طبع في طهران حديثاً (بافارسية)
- Pirnia, H., A Short Survey of the Economic Conditions of — ٢٧
Iran, Teheran, 1945.
- Pope, A. U., Editor, A Survey of Persian Art, London and — ٢٨
New York, 1938.
- Relations Consulaires du Gouvernement Imperial de l'Iran — ٢٩
avec l'Union des Republiques Sovietiques Socialistes
Ministere des Affaires Etrangères, Teheran, 1949
- Report on Program for the development of Iran, International — ٣٠
Engineering Company, Inc., for Morrison-Knudsen
International Company, Inc., July, 1947.
- Report on seven Year Development Plan for the Plan — ٣١
Organization of the Imperial Government of Iran,
Volume 1. Summary and General Conclusion,
Overseas Consultants, Inc., New York, 1949.
- Roberts, N. S.: Economic and commercial conditions in Iran, — ٣٢
H. M. Stationery Office, London, 1948.
- Sadiq, I., «The Country and People of Iran» Iran and U.S.A. — ٣٣
(July and August 1946), Teheran.
- Saleh, A. P. «Iran as viewed by American Authors», Iran — ٣٤
and the U.S.A. (May 1946) Teheran.
- Saleh, A. P., «A Bibliography of American Authors on Iran» — ٣٥
Iran and the U.S.A. (December 1946), Teheran.
- Sandjahi, K., Essai sur l'Économie Rurale et le Régime Agraire — ٣٦
de la Perse, Paris, 1934.
- Shafaq, S.R. «The Iranian Seven Year Development Plan : — ٣٧
Background and Organization», Middle East Journal, IV, 1
(January 1950).

Sotoudeh, H., L'Évolution Economique de l'Iran et ses — ٢٨١
problèmes, Paris, 1937.

Statistique annuelle du commerce extérieur de l'Iran, Ministère — ٢٩
des Finances. Administration générale des douanes,
Teheran, various years through 1946.

United Nations : Report by the Security Council to the — ٤٠
General Assembly covering Period from 17 January
1946 to 15 July, 1946.

Upton, J., «Archaeology in Iran,» Iran and the U. S. A. (June — ٤١
1946), Teheran.

World Oil (International Operation Issue), July 15, 1949. — ٤٢

Young. T. C., «The Race between Russia and Reform in Iran» — ٤٣
Foreign Affairs, January, 1950.

ثبت بأسماء الأعلام

(١)

ارتا كزرسيس الأول : ٣٠ ، ٣٢
 ارتا كزرسيس الثالث : ٣٠ ، ٣٣
 أردبيل : ٨٩ ، ٩٤
 أردشير : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦
 أرس : ١٤
 أرسطو : ٧٣ ، ٩١
 أرغون (المغولي) : ٦٧
 أرمينية : ٢٦ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٥
 أرنولد (ماتيو) : ٥٦
 إريوان : ٩٧
 استياجس : ٢٨
 أسد آباد : ٢٣
 اسماعيل الساماني : ٥٢
 اسماعيل الأول (الصفوي) : ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٦
 اسماعيل الثاني (الصفوي) : ٨٧
 أشرف (الأفغاني) : ٩٠ ، ٩٥
 اصطخر : ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٢
 إصفهان : ١٥ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٢ ،
 ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٩
 ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ ،
 ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٣١ ، ١٤٣
 ، ١٥٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٠
 ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩
 أغسند : ٦٤
 أفلاطون : ٧٣

آباد : ١٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤
 آبا قاخان (المغولي) : ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢
 آب دز (نهر) : ١٤ ، ١٤٣
 آذربيجان : ١٩ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٦ ،
 ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥
 ، ١٢٦ ، ١٥٥ ، ١٧٧
 ١٨٩ ، ٢١١ ، ٢٥٣
 آشوب : ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٠
 آقا محمد خان (القاجاري) : ٩٦
 أمل : ٦١ ، ٦٤
 آهورا مزدا : ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧
 ابتهاج (أبو الحسن) : ١٨٨
 ابن سينا : ٥٣ ، ٩١
 أبو القاسم الفندرسكي : ٩١
 أبو بكر (الخليفة) : ٤٩ ، ٢٤١
 أبو سعيد (المغولي) : ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣
 أبو نصر بارسا : ٨٣
 أترك : ١٤
 آنسز : ٦٢
 أحمد بن بويه : ٥٣
 أحمد شاه (القاجاري) : ١٠٤ ، ١٠٧
 أدنه : ٩٩
 ادوارد : ٢٣٤
 أرك : ٣٦

ألغ بيك (التيموري) : ٨٠ ، ٧٩	أكره : ٢٢٩
الغزالي : ١١٤ ، ١١٣	أكزسيس : ٣٢ ، ٢٩ ، ٤
الفرات : ١٧٤	الإسكندر (المقدوني) : ٣٦ ، ٣٤ ، ٤
الفردوسي (الشاعر) : ١٠٩ ، ٥٥	٦٢ ، ٣٧
٢٥٥ ، ٢٣١	الإسكندر سفروس : ٤٢
القادسية : ٤٩	الأفستا : ٥٥ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٣٢
القاهرة : ٨٥	الأهواز : ١٦٨ ، ١٩ ، ١٥ ، ١٤
القدس : ٤٨	١٧٤ ، ١٧٢
القسطنطينية : ٩٥ ، ٤٨	ألب أرسلان : ٦٣ ، ٦٠
الليوى : ٩٩	البتكين : ٥٤
الليوى برد : ٢٠٠	البحرين : ١٢٨ ، ٩٥
المدائن (طيسفون) : ٤٩ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٣٩	أبرز : ١٣٨ ، ١٣١ ، ٨٢ ، ١١
المدينة : ٥٠ ، ٤٩	١٤٤ ، ١٤٠
الموصل : ٩٦ ، ٦١	البصرة : ١٧٢ ، ٩٦
النجف : ٢٤٣	البيروني : ٧٥ ، ٥٥
أناراك : ١٣١	الجامي (الشاعر) : ٨٢ ، ٨١
أنتوني شيرلي : ٨٨	الحسن بن الصباح : ٢٤٢ ، ٦١
أنديمشك : ١٨	الحسن بن بويه : ٥٣
أنطاكيا : ٣٨	الحسن بن علي : ٢٤٣ ، ٢٤١ ، ٧٠
أهرمن : ١١٣	الحسين بن علي : ٢٤٢ ، ٢٤١
أولجايتو : ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧	٢٤٤ ، ٢٤٣
إيفانز (فيرنون) : ١٨٣	الجويني : ٧١
(ب)	الرودي (الشاعر) : ٥٣
بابل : ٣٨ ، ٣٦ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٢٥	الري : ٧٥ ، ٧٤ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٥٩ ، ٥٤ ، ٥٢
بازار جاده : ٣٧ ، ٣٣	السلطانية : ٢٢٢ ، ٦٩
باكو : ٢٥٢	السوس : ٣٥ ، ٣٤ ، ٣١ ، ٢٥ ، ٢٣
بام : ١٧٢	١٦٣ ، ٣٧ ، ٣٦
بايدو (الغولي) : ٦٧	العباس (عم الرسول) : ٢٤١
	العنصري (الشاعر) : ٥٥

بندر کاز : ۱۷۳	باریس : ۱۰۰
بهرام الأول : ۴۵	بایسنقر (التیموری) : ۸۰
بهزاد (الرسام) : ۸۱ ، ۸۲ ، ۸۴ ، ۸۵	بحار : ۱۶۰
بهستون (الزیاری) : ۵۳	بحر قزوین : ۱۳ ، ۱۵ ، ۱۸ ، ۱۹ ،
بوشهر : ۱۷۲ ، ۱۷۳ ، ۲۰۷	۳۸ ، ۵۳ ، ۶۳ ، ۶۶ ،
بیروت : ۱۶۸	۶۹ ، ۷۰ ، ۷۵ ، ۹۰ ،
بویس (آرثر) : ۱۹۸ ، ۵	۹۷ ، ۱۰۱ ، ۱۰۵ ، ۱۱۶ ،
بیرس (جیمس) : ۱۸۹	۱۱۸ ، ۱۳۵ ، ۱۳۶ ، ۱۳۷ ،
بیزنطة : ۴۲ ، ۴۳	۱۳۹ ، ۱۴۰ ، ۱۴۴ ، ۱۶۶ ،
(ت)	۱۶۸ ، ۱۶۹ ، ۱۷۰ ، ۱۷۱ ،
تاج الملك الشیرازی : ۶۴	۱۸۳ ، ۲۰۱ ، ۲۱۷ ،
تای آباد : ۸۳	بخارست : ۲۵۴
تبریز : ۶۷ ، ۶۸ ، ۷۴ ، ۷۵ ، ۷۸ ،	بخاری : ۵۰ ، ۵۲ ، ۵۹ ، ۶۵ ، ۸۱ ،
۷۹ ، ۸۳ ، ۸۶ ، ۸۷ ، ۸۹ ،	۸۲ ، ۸۵ ، ۷۵ ،
۹۷ ، ۹۹ ، ۱۰۲ ، ۱۰۴ ، ۱۰۵ ،	بدخشان : ۷۰
۱۰۶ ، ۱۲۶ ، ۱۳۱ ، ۱۶۰ ، ۱۶۹ ،	برجند : ۱۵۹ ، ۲۰۱ ،
۱۷۰ ، ۱۷۱ ، ۲۰۳ ، ۲۰۴ ، ۲۰۷ ،	برسبولیس : ۱ ، ۲۳ ، ۳۱ ، ۳۳ ،
۲۱۰ ، ۲۲۲ ،	۳۴ ، ۳۶ ، ۱۶۳ ،
تراجان : ۳۹	بسطام : ۷۴
تربت شیخ جام : ۸۳	بغداد : ۵۱ ، ۵۲ ، ۵۳ ، ۵۹ ، ۶۲ ،
ترومان : ۲۵۱	۶۶ ، ۶۸ ، ۷۶ ، ۷۸ ، ۸۳ ،
تشرشل : ۴ ، ۱۲۳	۱۶۶ ، ۱۶۸ ، ۱۷۲ ، ۲۴۱ ،
تکودار (المغولی) : ۶۷	بلخ : ۲۹ ، ۳۷ ، ۳۸ ، ۴۲ ، ۶۱ ،
توده (حزب سیاسی) : ۱۲۴ ، ۱۲۶ ،	۶۵ ، ۸۳ ،
۱۲۷ ، ۱۲۹ ، ۱۵۵ ،	بلوختان : ۱۶۹ ، ۲۰۸ ،
۱۷۷ ، ۲۴۸ ، ۲۵۳ ،	بندر بهلوی : ۱۰۶ ، ۱۱۸ ، ۱۷۳ ،
تیمور : ۷۶ ، ۷۷ ، ۷۸ ، ۸۱ ،	بندر شاپور : ۱۷۰ ، ۱۷۳ ، ۱۷۴ ،
۸۲ ، ۸۳	بندر شاه : ۱۷۰ ، ۱۷۳ ،
	بندر عباس : ۸۸ ، ۱۰۵ ، ۱۰۳ ، ۱۷۴ ،

(ج)

جاج رود (نهر) : ١٥ ، ١٤٤
 جاسك : ١٧٣
 جالوس (نهر) : ١٤ ، ١٥٣
 جرجان (مدينة) : ٢٣ ، ٥٢
 جرجان (نهر) : ١٤
 جرماغون (الغولي) : ٦٦
 جرو (روبرت) : ١٨٣
 جعفر الصادق : ٢٤٢
 جغتای (الغولي) : ٧٦
 جلال الدين الرومي : ٧١ ، ٧٢
 جلفا : ٧٩ ، ١٠٦ ، ١٦٩
 جندی شاپور : ٤٤
 جنكيزخان (الغولي) : ٤ ، ٦٥ ، ٦٦
 ٧١ ، ٧٦
 جنسوه : ٦٧
 جهانشاه (القره قويونلي) : ٨٣
 جوردان (صمويل مارتني) : ١٩٨
 جيحون : ٥٠ ، ٥٩

(ح)

حافظ الشيرازي : ٨١ ، ٨٢
 حسين بايقرا : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥
 حسين بيرنيا : ٥
 حصارك : ١٩٨
 حلب : ٦٨ ، ٨٣
 حمد الله مستوفي القزويني : ٧١

(خ)

خاتقين : ١٣٥
 خراسان : ١٩ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢
 ٥٤ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١
 ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٧
 ٩٥ ، ٩٦ ، ١٨٩
 خرگرد : ٨٠
 خرم آباد : ١٦٨
 خرمشهر : ١٩ ، ١٢١ ، ١٦٨ ، ١٧٢
 ١٧٣ ، ١٧٤
 خسرو الأول : (أنوشيروان) : ٤٣
 خسرو الثاني : ٤٣ ، ٤٨
 خوارزم : ٢٩ ، ٥٠ ، ٦٢ ، ٧١
 خواندمير : ٨١
 خوزستان : ١٢ ، ٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٨٩

(د)

دارا الأول : ٤ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥
 دارا الثاني : ٣٥
 دارا الثالث : ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧
 دامغان : ٢٣ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٢٢٢
 دجلة : ١٣ ، ٤٥ ، ١٧٤
 دشت كوير : ١٦ ، ١٧
 دشت لوت : ١٦ ، ١٧
 دماوند : ١١
 دمشق : ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ١٦٨ ، ٢٤١
 دهلي : ٩٥
 ديموت : ٧٥

(ر)

رزجت : ۵۸

رشت : ۱۰۴ ، ۱۶۶ ، ۱۶۹ ، ۱۹۷

رشیدالدین فضل الله : ۶۸ ، ۶۹ ، ۷۰ ، ۷۱

رضائية : ۱۳ ، ۱۶ ، ۱۶۹ ، ۱۹۳ ، ۱۹۷

رضا شاه بهلوی : ۱۱۷ ، ۱۱۸ ، ۱۱۹

، ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۲۲

، ۱۲۳ ، ۱۴۹ ، ۱۵۰

، ۱۵۵ ، ۱۶۶ ، ۱۷۷

، ۱۷۸ ، ۱۷۹ ، ۲۲۲

۲۵۷

روزفلت : ۴ ، ۱۲۳

روشنک (روکسانا) : ۳۷

روما : ۴۲

رومانوس دیوجینیسیس : ۶۰

رویتز : ۱۰۰

(ز)

زاجروس : ۱۱

زاهدان : ۱۶۹ ، ۱۷۲ ، ۱۷۳

زاینده رود (نهر) : ۱۵ ، ۸۹ ، ۱۴۳

۱۴۴

زردشت : ۳۲ ، ۴۵ ، ۱۳۲

زنجان : ۱۳۱

زواره : ۶۳

(س)

سارجون (الملك الآشوري) : ۲۷

ساره : ۷۵ ، ۱۴۳

سبزوار : ۱۳۱ ، ۱۶۰

ستالین : ۴ ، ۱۲۳

سجستان (سیستان) : ۴۰ ، ۴۱ ، ۵۲

۱۸۹ ، ۷۶ ، ۵۴

سربل : ۲۳

سردیس : ۳۱ ، ۱۶۳

سروستان : ۴۵ ، ۴۶

سعدی (الشاعر) : ۷۱ ، ۷۲ ، ۱۱۳

سفید رود (نهر) : ۱۴

سلامیس : ۳۰

سلطانحسین (الصفوی) : ۹۰ ، ۹۵

سلوکیه : ۴۰

سلیم الأول : ۸۷

سلیمان القانونی (السلطان العثماني) : ۸۷

سلیمان (الصفوی) : ۹۰

سمرقند : ۶۵ ، ۷۶ ، ۷۷ ، ۸۰ ، ۸۱

۱۰۱ ، ۸۲

سمنان : ۱۳۶

سمنجر (السلجوقي) : ۶۱ ، ۶۲

سوادکوه : ۱۱۶

سیاکزارس (ملك ميديا) : ۲۷

میکس : ۱۰۵

(ش)

شاپور (مدينة) : ۴۴ ، ۴۵

شاپور الأول : ۴۲ ، ۴۵

شاپور الثاني : ۴۲

شاهرخ (الأفشاري) : ۹۶

شاهرخ (التيموري) : ۷۹ ، ۸۰

شاهرود : ۱۷۱ ، ۱۷۲

طهران : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،
 ١٩ ، ٤١ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ،
 ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
 ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
 ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ،
 ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
 ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،

طهماسب الأول الصفوى : ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٣
 طهماسب الثانى الصفوى : ٩٥

(ع)

عباس أفندى ابن بهاء الله : ٩٩
 عباس الأول الصفوى : ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
 ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٦ ،
 عباس الثانى الصفوى : ٩٠
 عباس الثالث الصفوى : ٩٥
 عبد الله الأنصارى : ٨٣
 عبدان (آبادان) : ١٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤
 عثمان (الحليفة) : ٥٠ ، ٢٤١
 عضد الدولة البويهى : ٥٤

شاه مظفر (الرسام) : ٨١
 شاهناز : ١٧٩
 شامى : ١٦ ، ٢٠٤
 شتين (أورل) : ٢٣
 شرف الدين على اليزدى : ٨٣
 شريف آباد : ١٢٤
 شستر (مورجان) : ١٠٥ ، ١٨٥
 شوارتس كوف (نورمان) : ١٨٩
 شيخ بهائى : ٩١
 شيراز : ١٨ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٨١ ، ٨٤ ،
 ٨٩ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٣٨ ، ١٦٠ ،
 ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٢
 شيكاغو : ٢٣ ، ٣٦

(ص)

سنى الدين الأردبيلى : ٨٦ ، ٩٣
 سنى (الشاه الصفوى) : ٩٠

(ط)

طاق بوستان : ٤٨
 طاق كسرى : ٤٦
 طاهر (ذو اليمينين) : ٥١
 طباطبائى (ضياء الدين) : ١١٦ ، ١٢٦ ،
 ١٧٨
 طبرستان : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤
 طرابلس : ٧٢
 طقشند : ١٠١
 طغرل بك السلجوقى : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤

عكا : ٩٩

علاء الدين جهانسوز : ٥٥

علي بن أبي طالب : ٢٤٣، ٢٤١، ١١٢

علي الرضا : ٢٤٤، ٢٤٣، ١٠٥، ٨٩، ٧٩

عليشاه (الوزير المغولي) : ٧٤، ٧٠، ٦٩

علي (باشا) صالح : ٥

عليشير نوائي : ٨٥، ٨١

عمر (الخليفة) : ٢٤١

عمر الحيام : ١١٣، ٦٣، ٦٠

عمرو بن الليث الصفاري : ٥٢

عيسى صادق : ٥

(غ)

غازان خان (المغولي) : ٦٨، ٦٧، ٦٨

٧٤، ٧٠، ٦٩

غزنه : ٩٥، ٥٥، ٥٤

غياث الدين الجامي (النساج) : ٩٣

غياث الدين علي اليزدي : ٩٤

(ف)

فارس : ٤٤، ٤٢، ٤١، ٣٨، ٢٩، ٢٨

٨٦، ٧٠، ٥٤، ٥٢، ٤٦، ٤٥

١٨٩، ١٦٨

فاروق : ١٧٩

فاطمة (بنت رسول الله) : ٢٤١

فاطمة (أخت علي الرضا) : ٢٤٣

فايريان : ٤٢

فتحعلي شاه : ٩٧

فرايتس : ٣٩

فردوس : ١٧

فروغی : ١٢٢

فريد الدين العطار : ٦٢

فلسطين : ٩٩، ٦٦، ٤٩، ٢٩

فوزية : ١٢٩

فيروز آباد : ٤٦

فيلاذلفيا : ٢٣

فيليب : (أبو الاسكندر) : ٣٦

فيتسيا : ٧٠، ٦٧

(ق)

قابوس بن وشمكير (الزياري) : ٥٣

قارون (نهر) : ١٤٤، ١٤٣، ١٤، ١٣

قاسم علي (الرسام) : ٨٥

قاين : ١٨

قباد (الساساني) : ٤٥

قتيبة (القائد العربي) : ٥٠

قره يوسف : ٧٨

قزوين (مدينة) : ٢٢٢، ١٦٨، ١١٦

قصر شيرين : ٤٦، ٤٥

قلعت نادري : ٩٥

قم : ١٧٢، ١٦٦، ١٥٩، ٧٥، ١٦، ١٥

٢٤٣، ٢١٢، ١٨٦، ١٨٥

قندهار : ٩٥، ٩٠

قوام السلطنة : ١٧٨

قورش : ٤٩، ٣٧، ٣١، ٢٩، ٢٨، ٤

(ك)

كابل : ٩٥

كاشات : ٧٥، ٧٤، ٦٤، ١٥

١٧٢، ١٦٠

محمد (رسول الله) : ۲۴۰، ۱۱۲، ۴۸

۲۴۴، ۲۴۳، ۲۴۱

محمد (السلطان السلجوقی) : ۶۳

محمد (السلطان الخوارزمی) : ۵۷

۶۶، ۶۵

محمد خدا بنده (الصفوی) : ۸۷

محمد (القاجاری) : ۹۹، ۹۸

محمد رضا بهلوی : ۶، ۱۲۲، ۱۲۹

۲۵۷، ۲۴۷، ۱۷۹

محمد ساعد : ۱۲۹

مشهد : ۶۳، ۷۹، ۸۷، ۸۹، ۹۵، ۱۰۴

۱۰۵، ۱۵۹، ۱۹۷، ۲۰۱

۲۰۲، ۲۰۳، ۲۲۲، ۲۴۴

مشهد سر : ۱۷۴

مظفر الدین شاه (القاجاری) : ۱۰۲، ۱۰۳

معاویة : ۲۴۱

مقصود الکاشانی : ۹۳

مكة : ۴۹، ۴۷، ۵۷، ۸۹، ۲۴۰

ملا صدرا : ۹۱

ملایر : ۱۶۸

ملسبو : ۱۸۵، ۱۸۶

ملک شاه (السلجوقی) : ۶۰، ۶۱، ۶۲

مہجارا : ۵۴

موسکو : ۱۲۵، ۲۵۳

میانه : ۱۷۱

میرانشاه بن تیمور : ۷۸

میرخواند : ۸۱، ۸۲

میرزا حسین (بهاء الله) : ۹۹

میرزا علی (الباب) : ۹۸، ۹۹

میرزا یحیی (خلیفة الباب) : ۹۹

کانساس : ۲۳

کربلاء : ۲۴۱، ۲۴۳، ۲۴۴

کرج (نهر) : ۱۵، ۱۹۸، ۱۹۹

کرمان : ۵۲، ۵۴، ۷۰، ۸۶، ۹۰

۹۷، ۱۳۱، ۱۳۵، ۱۴۲

۱۵۹، ۱۷۲، ۱۸۹، ۲۰۳

۲۱۲، ۲۲۲

کرمانشاه : ۱۸، ۲۰۳

کریم خان (الزندی) : ۹۶، ۹۷

کورانبجون : ۲۲

کورنیل تریند : ۲۰۰

کوهر شاد (زوجة شاه رخ) : ۷۹

کیخاتو (المغولی) : ۶۷

(ل)

لار (نهر) : ۱۴۴

لازم : ۵۸

لطفعلی (الزندی) : ۹۷

لمباردیا : ۷۰

لندن : ۱۳۳

لنکه : ۱۷۴

لورستان : ۲۳، ۲۵، ۲۷

لیا کھوف : ۱۰۴

(م)

ماراثون (موقعة) : ۲۹

مازندران : ۷۶، ۱۱۶، ۱۳۲

مانی : ۴۵

ما وراء النهر (إقليم) : ۵۲، ۵۴، ۵۸

۶۱، ۷۶، ۷۸

(ن)

نائبین : ۵۸
 نابليون : ۹۷
 نادر (الأفشاری) : ۹۵ ، ۹۶
 ناصر خسرو : ۶۳
 ناصر الدين شاه (القاجاری) : ۹۹ ،
 ۱۰۰ ، ۱۰۲
 نخبوان : ۶۴ ، ۹۷
 نصر بن أحمد السامانی : ۵۲
 نصير الدين الطوسي : ۷۲
 نظام الدين الشامي : ۸۲
 نظام الملك (الوزير) : ۶۰ ، ۶۴
 نظامی المروزی السمرقندی : ۶۳
 نظامی الكنجوی (الشاعر) : ۶۲
 نظنز : ۷۴
 نقش رستم : ۲۳۳
 نهاوند : ۴۹
 نوشهر : ۱۷۴
 نيسور : ۴۰
 نيريز : ۵۷
 نيسابور : ۵۱ ، ۵۸ ، ۶۱ ، ۶۵ ، ۷۵
 نيفادا : ۱۸
 نينوى : ۴۳
 نيويورك : ۱۸۲

(هـ)

هابله (نهر) : ۱۵
 هارون الرشيد : ۵۱
 هراة : ۵۲ ، ۶۱ ، ۷۵ ، ۷۸ ، ۷۹ ، ۸۰
 ۸۲ ، ۸۳ ، ۸۴ ، ۸۵ ، ۸۶ ، ۸۷
 ۹۰ ، ۹۵ ، ۹۸ ، ۹۹

هرتسفلد (أرست) : ۲۳

هرقل : ۴۳ ، ۴۹

هرمز (جزيرة) : ۸۸ ، ۱۳۱

هرمزد الأول (الساسانی) : ۴۵

هرميتاج : ۴۸

هزير : ۱۲۹

همدان : ۷۵ ، ۸۶ ، ۱۶۰ ، ۱۶۸ ،

۱۹۷ ، ۲۰۳

هولاكو (المغولی) : ۶۶ ، ۶۷ ، ۷۳

هيدن (ليل) : ۲۰۰

هيرودوت : ۳۰ ، ۳۱ ، ۱۰۸

(و)

وارقه : ۴۰

واسموس : ۱۰۵

ورامين : ۷۴ ، ۱۴۴

وشمكير (الزيارى) : ۵۳

وشنجتون : ۱۸۲

ولمت (مدينة) : ۹۹

وليام دى آرسى : ۱۳۳

ونسور : ۱۹۹

(ى)

يزد : ۱۷ ، ۱۸ ، ۷۰ ، ۷۵ ، ۱۷۲ ،

۲۱۲ ، ۲۲۲

يزدجرد الثالث : ۴۳ ، ۲۴۲

يزيد بن معاوية : ۲۴۱

يستكند : ۶۴

يعقوب بن الليث الصفارى : ۵۲

يوسف ايتون : ۵

فهرس الكتاب

صفحة	
ج — ز	تقديم : بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشورابي
ح	خريطة إيران
٦ — ١	مقدمة المؤلف
٧ — ١١٤	تراث إيران
٩ — ٢٠	الفصل الأول : المميزات الطبيعية
٩	الموقع
١٠	الجيولوجيا والطبوغرافيا
١٣	الري والصرف
١٤	الأنهار
١٥	البحار والبحيرات
١٦	الصحارى
١٧	المناخ
٢١ — ١٠٦	الفصل الثانى : التاريخ
٢١	إيران فى عصر ما قبل التاريخ
٢٥ — ٢٠	إيران قبل الأكمينيين
٢٨	العصر الأكمينى
٣٦	العصر السلوقى
٣٨	عهد البارثيين
٤١	العصر الساسانى
٤٨	الفتح العربى لإيران
٥١	السياسة الدويلات المحلية فى إيران
٥٩	العصر السلجوقى
٦٥	العصر المغولى

صفحة	
٧٦	العصر التيمورى
٨٦	(العصر الصفوى)
٩٥	عصور الأفشاريين والزنديين والقاجاريين .
١١٤ - ١٠٧	الفصل الثالث : طابع الحضارة الإيرانية ✓
٢٤٤ - ١١٥	إيران الحديثة
١٢٩ - ١١٧	الفصل الرابع : العصر البهلوى
١٤٨ - ١٣٠	الفصل الخامس : موارد الثروة
١٣٠	أنواع التربة والمعادن والأحجار
١٣٢	البترول
١٣٦	النبات والتربة
١٤٢	موارد المياه ونظام الري
١٤٨	وسائل الزراعة
١٦٢ - ١٤٩	الفصل السادس : الصناعات والتجارة الداخلية والتبادل التجارى .
١٤٩	الصناعة والتجارة
١٥٥	التجارة الخارجية
١٥٦	الواردات
١٥٧	الصادرات
١٧٤ - ١٦٣	الفصل السابع : النقل
١٦٣	الطرق
١٦٨	السكك الحديدية
١٧٢	الخطوط الجوية
١٧٣	الملاحة

صفحة	
٢٠٩ - ١٧٥	الفصل الثامن : نظم الحكم في إيران
١٧٥	الحكومة النيابية
١٧٨	الشاه
١٨٠	رئيس الوزراء ومجلس الوزراء
١٨٠	الوزراء بلا وزارة
١٨٠	وزارة البلاط
١٨١	» الخارجية
١٨٢	» الحرية
١٨٤	» المالية
١٨٨	» الداخلية
١٩٠	» العدل
١٩١	» التربية والتعليم
١٩٨	» الزراعة
٢٠٠	» الصحة
٢٠٤	» الاقتصاد الوطنى
٢٠٥	» المواصلات
٢٠٦	» البريد والمسرة والبرق
٢٠٨	» العمل
٢٤٢ - ٢١٠	الفصل التاسع : الشعب
٢١٠	السكان
٢١٢	القبائل البدوية
٢١٦	القرى والحياة القروية
٢٢١	البلاد والمدن والحياة المدنية
٢٤٠	الدين الرسمى في إيران
٢٥٤ - ٢٤٥	مستقبل إيران

صفحة	
٢٥٤ - ٢٤٧	الفصل العاشر : المشروعات والآمال المرتقبة
٢٥٨ - ٢٥٥	ملحق
٢٥٥	العلم الإيراني /
٢٥٥	التقويم الإيراني ل
٢٥٦	العملة الإيرانية ✓
٢٥٧	الموازن والمقاييس الإيرانية
٢٦١ - ٢٥٩	المصادر
٢٧٠ - ٢٦٢	ثبت بأسماء الأعلام

مطبعة نهضة مصر

Central Commission of the Alexandrian
Library (CCAL)
Bibliotheca Alexandrina



ایران
ماضیہا
حاضرہا